

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تفسير سورة طه

سورة طه مكية^(١) في قول الجميع، نزلت قبل إسلام عمر ؓ. روى الدارقطني في «سننه»، عن أنس بن مالك ؓ، قال: خرج عمر متقلداً السيوف، فقبل له: إن خَتَنَكَ وأَخَتَكَ قد صَبُؤَا^(٢)، فأتاهما عمر وعندهما رجلٌ من المهاجرين يقال له: خَبَابٌ، وكانوا يقرؤون «طه»، فقال: أعطوني الكتاب الذي عندكم فأقرأه - وكان عمر ؓ يقرأ الكتب - فقالت له أخته: إنك رجس، ولا يَمَسُّه إلا المطهرون، فقم فاغسل، أو توضأً. فقام عمر ؓ فتوضأً، ثم أخذ الكتاب^(٣) فقرأ: «طه»^(٤).

وذكره ابن إسحاق مطوَّلاً: وأن عمر خرج متوشحاً سيفه يريد رسول الله ﷺ وقتلته، فلقيه نعيم بن عبد الله، فقال: أين تريد يا عمر؟ قال: أريدُ محمداً هذا الصابئ الذي فرَّق أمر قريش، وسفّه أحلامها، وعاب دينها، وسبَّ آلهتها فأقتله. فقال له نعيم: والله، لقد غرَّرتك نفسك من نفسك يا عمر، أترى بني عبد مناف تاركيك تمشي على الأرض وقد قتلت محمداً؟! أفلا ترجعُ إلى أهلِكَ^(٥) فتُقيم أمرهم؟! فقال: وأي أهل بيتي؟ قال: خَتَنُكَ وابنُ عمِّكَ سعيد بن زيد، وأخَتُكَ

(١) المحرر الوجيز ٣٦/٤، وزاد المسير ٢٦٨/٥.

(٢) صبأ، كمنع وكزَّم: خرج من دين إلى دين آخر. القاموس المحيط (صبا).

(٣) في (د) و(م): وتوضأ وأخذ الكتاب، وفي (ظ): فتوضأ وَاغْتَسَلَ ثم أخذ الكتاب، والمثبت من (خ) و(ز)، وهو الموافق لسنن الدارقطني.

(٤) سنن الدارقطني (٤٤١)، وقد تفرَّد بروايته القاسم بن عثمان، وسيرد الكلام عليه في الرواية المطولة الآتية.

(٥) في السيرة النبوية: أهل بيتك.

فاطمة بنت الخطاب، فقد والله أسلماً وتابعا محمداً على دينه، فعليك بهما. قال: فرجع عمر عامداً إلى أخته وختته، وعندهما خَبَابُ بِنِ الْأَرْتِ معه صحيفةٌ فيها «طه» يُقْرِنُهُمَا إِيَّاهَا، فلما سمعوا حِسَّ عمر تغَيَّبَ خَبَابٌ فِي مَخْدَعِ لَهْمٍ أَوْ فِي بَعْضِ الْبَيْتِ، وَأَخَذَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ الْخَطَّابِ الصَّحِيفَةَ فَجَعَلَتْهَا تَحْتَ فِخْذِهَا، وَقَدْ سَمِعَ عُمَرُ حِينَ دَنَا إِلَى الْبَيْتِ قِرَاءَةَ خَبَابٍ عَلَيْهِمَا، فَلَمَّا دَخَلَ قَالَ: مَا هَذِهِ الْهَيْئَةُ^(١) الَّتِي سَمِعْتُ؟ قَالَا لَهُ: مَا سَمِعْتَ شَيْئاً. قَالَ: بَلَى، وَاللَّهِ لَقَدْ أُخْبِرْتُ أَنْكُمَا تَابِعْتُمَا مُحَمَّدًا عَلَى دِينِهِ. وَبَطَشَ بِخَتْنِهِ سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ، فَقَامَتْ إِلَيْهِ أخته فاطمة بنت الخطاب لِتَكْفُهُ عَنْ زَوْجِهَا، فَضْرَبَهَا فَشَجَّهَا. فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ قَالَتْ لَهُ أخته وختته: نَعَمْ، قَدْ أَسْلَمْنَا وَأَمَّنَّا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَاصْنَعْ مَا بَدَأَ لَكَ. وَلَمَّا رَأَى عُمَرُ مَا بِأخته مِنَ الدَّمِ نَدِمَ عَلَى مَا صَنَعَ، فَارْعَوَى، وَقَالَ لِأخته: أَعْطِينِي هَذِهِ الصَّحِيفَةَ الَّتِي سَمِعْتُكُمْ تَقْرَؤْنَهَا أَنْفَاءً أَنْظُرَ مَا هَذَا الَّذِي جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ - وَكَانَ عُمَرُ كَاتِباً - فَلَمَّا قَالَ ذَلِكَ قَالَتْ لَهُ أخته: إِنَّا نَخْشَاكَ عَلَيْهَا. قَالَ لَهَا: لَا تَخَافِي. وَحَلَفَ لَهَا بِأَلْهَتِهِ لَيْرَدْنَهَا إِذَا قَرَأَهَا، فَلَمَّا قَالَ ذَلِكَ طَمِعَتْ فِي إِسْلَامِهِ، فَقَالَتْ لَهُ: يَا أُخِي، إِنَّكَ نَجِسٌ عَلَى شِرْكَكَ، وَإِنَّهُ لَا يَمَسُّهَا إِلَّا الطَّاهِرُ. فَقَامَ عُمَرُ فَاغْتَسَلَ، فَأَعْطَتْهُ الصَّحِيفَةَ وَفِيهَا «طه»، فَقَرَأَهَا، فَلَمَّا قَرَأَ مِنْهَا صَدْرًا قَالَ: مَا أَحْسَنَ هَذَا الْكَلَامَ وَأَكْرَمَهُ! فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ خَبَابٌ خَرَجَ إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ: يَا عُمَرُ، وَاللَّهِ إِنِّي لِأَرْجُو أَنْ يَكُونَ اللَّهُ قَدْ خَصَّكَ بِدَعْوَةِ نَبِيِّهِ، فَإِنِّي سَمِعْتُهُ أَمْسٍ وَهُوَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ أَيِّدِ الْإِسْلَامَ بِأَبِي الْحَكَمِ بْنِ هِشَامٍ، أَوْ بِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ». فَالَلَّهُ اللَّهُ يَا عُمَرُ. فَقَالَ لَهُ عِنْدَ ذَلِكَ: فَدُلَّنِي يَا خَبَابُ عَلَى مُحَمَّدٍ حَتَّى آتِيَهُ فَأَسْلَمَ؛ وَذَكَرَ الْحَدِيثَ^(٢).

(١) أي: الصوت الخفي. القاموس (هنم).

(٢) السيرة النبوية ١/٣٤٣ - ٣٤٥، وأخرج الخبير بطوله ابن سعد في الطبقات ٣/٢٦٧ - ٢٦٨، والبيهقي في الدلائل ٢/٢١٩. وفي إسناده القاسم بن عثمان البصري، قال البخاري: له أحاديث لا يتابع عليها، وقال الذهبي في الميزان ٣/٣٧٥: حدث عنه إسحاق الأزرق بمتن محفوظ وبقصة إسلام عمر، وهي منكورة جداً. اهـ. وقوله: «اللهم أيّد الإسلام بأبي الحكم بن هشام أو بعمر بن الخطاب» أخرجه بنحوه أحمد (٥٦٩٦)، والترمذي (٣٦٨١) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما. وأخرج أحمد (٤٣٦٢) ضمن حديث لابن مسعود يذكر فيه فضائل عمر رضي الله عنهما قوله ﷺ: «اللهم أيّد الإسلام بعمر».

مسألة: أسند الدارمي أبو محمد في «مسنده» عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تبارك وتعالى قرأ «طه» و«يس» قبل أن يخلق السماوات والأرض بألفي عام، فلما سمعت الملائكة القرآن قالت: طوبى لأمة ينزل هذا عليها، وطوبى لأجواف تحمل هذا، وطوبى لالسنة تتكلم بهذا»^(١).

قال ابن فورك^(٢) معنى قوله: «إن الله تبارك وتعالى قرأ «طه» و«يس»، أي: أظهر وأسمع وأفهم كلامه من أراد من خلقه من الملائكة في ذلك الوقت، والعرب تقول: قرأت الشيء: إذا تتبعته، وتقول: ما قرأت هذه الناقة في رجمها سلى^(٣) قط، أي: ما ظهر فيها ولد. فعلى هذا يكون الكلام سائغاً، وقراءته: إسماعه وإفهامه بعبارة يخلقها وكتابة يحدثها، وهي معنى قولنا: قرأنا كلام الله، ومعنى قوله: ﴿فَأَقْرَهُوَا مَا يَنْسَرُ مِنَ الْقُرْآنِ﴾ [المزمل: ٢٠]، ﴿فَأَقْرَهُوَا مَا يَنْسَرُ مِنْهُ﴾ [المزمل: ٢٠].

ومن أصحابنا من قال: معنى قوله: «قرأ» أي: تكلم به، وذلك مجاز كقولهم: دقت هذا الأمر^(٤) ذوقاً بمعنى اختبرته. ومنه قوله: ﴿فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٢] أي: ابتلاهم الله تعالى به، فسمى ذلك ذوقاً، والخوف لا يُذاق على الحقيقة؛ لأن الذوق في الحقيقة بالضم دون غيره من الجوارح.

قال ابن فورك: وما قلناه أولاً أصح في تأويل هذا الخبر؛ لأن كلام الله تعالى أزلّي قديم سابق لجملة الحوادث، وإنما أسمع وأفهم من أراد من خلقه على ما أراد

(١) مسند الدارمي (٣٤١٤). وأخرجه أيضاً العقيلي في الضعفاء الكبير ٦٦/١، وابن عدي في الكامل ٢١٨/١، وابن حبان في المجروحين ١٠٨/١. وفي إسناده إبراهيم بن مهاجر بن مسمار، قال البخاري: منكر الحديث. وقال ابن عدي: لم أجد له حديثاً أنكر من حديث: قرأ: «طه» و«يس». وقال ابن حبان: وهذا متن موضوع.

(٢) في مشكل الحديث ص ٢٨٩ - ٢٩٠، والكلام منه إلى آخر المسألة.

(٣) السلى: الجلد الرقيق الذي يخرج فيه الولد من بطن أمه ملفوفاً فيه، وقيل: هو في الماشية السلى، وفي الناس المشيمة. النهاية (سلي).

(٤) في (د) و(م): القول؛ والمثبت من (خ) و(ز)، وهو الموافق لمشكل الحديث لابن فورك.

في الأوقات والأزمنة، لا أن عين كلامه يتعلق وجوده بمدّة وزمان.

قوله تعالى: ﴿طه﴾ ① مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ② إِلَّا نَذِيرًا لِمَنْ يَخْشَى ③
 ④ تَزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى ⑤ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ⑥ لَهُ
 مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى ⑦ وَإِنْ يَجْهَرُ بِالْقَوْلِ
 فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ⑧ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ⑨ ﴿٨﴾

قوله تعالى: ﴿طه﴾ اختلف العلماء في معناه، فقال الصديق رضي الله تعالى عنه: هو من الأسرار، ذكره الغزنوي. ابن عباس: معناه: يا رجل، ذكره البيهقي^(١). وقيل: إنها لغة معروفة في عُكَلٍ. وقيل: في عَكَّ. قال الكلبي: لو قلت في عَكَّ لرجل: يا رجل، لم يُجب حتى تقول: طه^(٢). وأنشد الطبري في ذلك فقال:

دعوتُ بطه في القتال فلم يُجِبْ فخفتُ عليه أن يكون مُؤاِئِلاً^(٣)
 ويروى: مُزايلاً.

وقال عبدُ الله بنُ عمرو: يا حبيبي؛ بلغة عَكَّ، ذكره الغزنوي. وقال قطرب: هو بلغة طيِّئ^(٤)، وأنشد ليزيد بن المهلهل:
 إِنَّ السَّفَاهَةَ طَهَ مِنْ شَمَائِلِكُمْ لا بَارِكَ اللهُ فِي الْقَوْمِ الْمَلَاعِينِ^(٥)
 وكذلك قال الحسن: معنى «طه»: يا رجل. وقاله عكرمة^(٦)، وقال: هو بالسريانية

(١) في دلائل النبوة ١/١٥٨ - ١٥٩، وفي إسناده محمد بن السائب الكلبي، وهو متهم بالكذب كما في تقريب التهذيب.

(٢) ذكره البيهقي في دلائل النبوة ١/١٥٩ بعد خبر ابن عباس رضي الله عنهما السالف.

(٣) نسبه الطبري ٨/١٦ لمتمم بن ثويرة، ونقله المصنف عنه بواسطة ابن عطية في المحرر الوجيز ٤/٣٦. والمؤائل: الطالب للنجاة. القاموس (وأل).

(٤) يعني: يا رجل. كما في النكت والعيون ٣/٣٩٣.

(٥) النكت والعيون ٣/٣٩٢، وتفسير الطبري ٨/١٦، والمحرر الوجيز ٤/٣٦.

(٦) أخرجه عنهما الطبري ٦/١٦ - ٧.

كذلك^(١)؛ ذكره المهدوي، وحكاه الماوردي عن ابن عباس أيضاً ومجاهد^(٢). وحكى الطبري^(٣): أنه بالنَّبْطِيَّة: يا رجل. وهذا قولُ السديِّ وسعيد بن جبير وابن عباس أيضاً، قال:

إن السفاهة طه من خلائقكم لا قدس الله أرواح الملاعين^(٤)
وقال عكرمة أيضاً: هو كقولك: يا رجل؛ بلسان الحبشة^(٥)؛ ذكره الثعلبيُّ.
والصحيح أنها وإن وُجدت في لغة أخرى؛ فإنها من لغة العرب كما ذكرنا، وأنها لغة يمنية في عكِّ وطَيِّ وعُكْل أيضاً.

وقيل: هو اسمٌ من أسماء الله تعالى، وقَسَمَ أقَسَمَ به. وهذا أيضاً مروى عن ابن عباس رضي الله عنهما^(٦). وقيل: هو اسمٌ للنبي ﷺ؛ سماه الله تعالى به كما سماه محمداً^(٧). وروى عن النبي ﷺ أنه قال: «لي عند ربي عشرة أسماء»؛ فذكر أن فيها طه ويس^(٨). وقيل: هو اسمٌ للسورة، ومفتاحٌ لها. وقيل: إنه اختصارٌ من كلام الله خصَّ

(١) زاد المسير ٢٦٩/٥.

(٢) النكت والعيون ٣/٣٩٢، وأخرجه الطبري ٦/١٦.

(٣) في تفسيره ١٦/٥-٦.

(٤) نقله المصنف عن الماوردي في النكت والعيون ٣/٣٩٢، وسلف قبله برواية أخرى.

(٥) أورده ابن الجوزي في زاد المسير ٢٦٩/٥.

(٦) النكت والعيون ٣/٣٩٣. وأخرجه عنه الطبري ٧/١٦، ولم يرد أن (طه) اسم من أسماء الله تعالى في حديث صحيح يُستند إليه، ولا شك أن أسماء الله عز وجل توقيفية.

(٧) المحرر الوجيز ٤/٣٦.

(٨) أخرجه ابن عدي في الكامل ٣/١٢٧٣، وأبو نعيم في دلائل النبوة (٢٠) من طريق إسماعيل بن إبراهيم أبي يحيى التيمي عن سيف بن وهب عن أبي الطفيل قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لي عند ربي عشرة أسماء». قال أبو الطفيل: قد حفظت منها ثمانية: محمد، وأحمد، وأبو القاسم، والفتاح، والخاتم، والماحي، والعاقب، والحاشر. قال أبو يحيى: وزعم سيف أن أبا جعفر الهاشمي قال له: إن الاسمين الباقيين: يس وطه. وسيف هالك فيما نقله ابن عدي عن يحيى بن سعيد القطان. ويُغني عنه حديث جبير بن مطعم ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لي أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يُحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب» أخرجه البخاري ومسلم وسلف ٤٥١/١٠.

اللهُ تعالى رسوله بعلمه.

وقيل: إنها حروف مُقَطَّعة، يدل كلُّ حرفٍ منها على معنى^(١). واختلف في ذلك، فقيل: الطاء شجرة طوبى، والهاء النار الهاوية، والعرب تُعَبِّرُ عن الشيء كله ببعضه؛ كأنه أقسم بالجنة والنار. وقال سعيد بن جبير: الطاء افتتاح اسمه طاهر وطيب، والهاء افتتاح اسمه هادي. وقيل: «طاء» يا طامع الشفاعة للأمة، «هاء» يا هادي الخلق إلى الله. وقيل: الطاء من الطهارة، والهاء من الهداية؛ كأنه يقول لنبيه عليه الصلاة والسلام: يا طاهراً من الذنوب، يا هادي الخلق إلى عَلامِ الغيوب.

وقيل: الطاء طُبولُ العُزاة، والهَاءُ هَيِّبُهُمْ في قلوب الكافرين، بيانه قوله تعالى: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ [آل عمران: ١٥١] وقوله: ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾ [الأحزاب: ٢٦].^(٢)

وقيل: الطاء طربُّ أهل الجنة في الجنة، والهَاءُ هَوَانُ أهل النار في النار^(٣).

وقول سادس: إن معنى «طه» طوبى لمن اهتدى، قاله مجاهد ومحمد بن الحنفية^(٤). وقول سابع: إن معنى «طه» طأ الأرض؛ وذلك أَنَّ النبي ﷺ كان يَتَحَمَّلُ مشقة الصلاة حتى كادت قدماه تَتَوَرَّم^(٥)، ويحتاج إلى الترويح بين قدميه، فقيل له: طأ الأرض؛ أي: لا تتعب حتى تحتاج إلى الترويح، حكاه ابن الأنباري^(٦).

وذكر القاضي عياض في «الشفاء» أن الربيع بن أنس قال: كان النبي ﷺ إذا صَلَّى

(١) النكت والعيون ٣/٣٩٣.

(٢) ذكر هذه الأقوال الرازي في تفسيره ٣/٢٢، وليس فيها ولا في ما سيذكره المصنف بعدها في معناها ما يصح. وقال الرازي: إن أمثال هذه الأقوال لا يجب أن يعتمد عليها.

(٣) تفسير أبي الليث ٣/٣٣٦، وزاد المسير ٥/٢٧٠.

(٤) نسبة الماوردي في النكت والعيون ٣/٣٩٣ لمحمد الباقر زين العابدين ﷺ.

(٥) أخرج البخاري (٤٨٣٦)، ومسلم (٢٨١٩) من حديث المغيرة بن شعبة ﷺ قال: قام النبي ﷺ حتى تَوَرَّمَت قدماه.

(٦) النكت والعيون ٣/٣٩٣.

قام على رجلٍ ورفَع الأخرى، فأنزل الله تعالى: «طه»، يعني طًا الأرض يا محمد؛ ﴿مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾^(١).

الزمخشري^(٢): وعن الحسن: «طه»، وفُسر بأنه أمرٌ بالوطف، وأن النبي عليه الصلاة والسلام كان يقوم في تهجدٍ على إحدى رجليه، فأمر أن يطأ الأرضَ بقدميه معاً، وأن الأصل: طًا، فقلبت همزته هاءً أو قلبت^(٣) [الفأ] في «يطأ» فيمن قال: لا هَنَّاكَ المَرْتَعُ^(٤)

ثم بنى عليه هذا الأمر، والهاء للسكت.

وقال مجاهد: كان النبي ﷺ وأصحابه يربطون الحبالَ في صدورهم في الصلاة بالليل من طول القيام، ثم نُسخ ذلك بالفرض، فنزلت هذه الآية^(٥).

وقال الكلبي: لما نزل على النبي ﷺ الوحي بمكة اجتهد في العبادة، واشتدَّت عبادته، فجعل يصلي الليلَ كلَّه زماناً حتى نزلت هذه الآية، فأمره الله تعالى أن يُخفِّف عن نفسه فيصلِّي وينام^(٦)؛ فَنَسَخَتْ هذه الآيةَ قيامَ الليل؛ فكان بعد هذه الآية يُصلي وينام.

وقال مقاتل والضحاك: فلما نزل القرآن على النبي ﷺ قام هو وأصحابه فصلَّوا، فقال كفارُ قريش: ما أنزل الله هذا القرآنَ على محمدٍ إلا ليشقى؛ فأنزل الله تعالى:

(١) الشفا ١٠٧/١ وهو ضعيف لإرساله.

(٢) في الكشاف ٥٢٨/٢.

(٣) في (خ) و(د): وقلبت، وفي (م): كما قلبت، والمثبت من (ز) و(ظ) و(ف)، وهو الموافق للكشاف، وما بين حاصرتين التالي منه. وقراءة الحسن في القراءات الشاذة ص ٨٧.

(٤) هذا جزء من بيت للفردق، وهو في ديوانه ٤٠٨/١ ولفظه:

ومضت لمسلمة الركاب مؤدعاً فارعي فزارة لا هَنَّاكَ المَرْتَع

وسلف عجزه ٢٧٣/١١

(٥) تفسير مجاهد ٣٩٣/١

(٦) تفسير البغوي ٢١١/٣

«طه» يقول: يا رجل، ﴿مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾^(١) أي: لتتعب، على ما يأتي. وعلى هذا القول: إن معنى^(٢) «طه»: [طأها، أي: ^(٣) طأ الأرض، وتكون الهاء والألف ضمير الأرض، أي: طأ الأرض برجليك في صلاتك، وخُففت الهمزة فصارت ألفاً ساكنة.

وقرأت طائفة: «طَه»^(٤)، وأصله: طأ، بمعنى: طأ الأرض، فحذفت الهمزة، وأدخلت هاء السكت^(٥).

وقال زُرُّ بن حُبَيْش: قرأ رجلٌ على عبد الله بن مسعود: ﴿طه مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾ فقال له عبدُ الله: «طِه» [بالكسر، قال: [فقال: يا أبا عبد الرحمن، أليس قد أمر أن يطأ الأرض برجله^(٦) - أو بقدميه؟ فقال: «طِه»، كذلك أقرئها رسولُ الله ﷺ^(٧). وأمال أبو عمرو وابن أبي إسحاق^(٨) الهاءَ وفتحًا الطاء. وأمالهما جميعاً أبو بكر وحمزة والكسائي والأعمش. وقرأهما أبو جعفر وشيبة ونافع بين اللفظين^(٩)، واختاره أبو عبيد. الباقر بالتفخيم. قال الثعلبي: وهي كلها لغاتٌ صحيحةٌ فصيحة. النحاس^(١٠): لا وجه للإمالة عند أكثر أهل العربية لعلتين: إحداهما أنه ليس

(١) أخرجه الواحدي في أسباب النزول ص ٣١٣.

(٢) لفظة: معنى، من (ظ).

(٣) ما بين حاصرتين زيادة ليست في النسخ. وأثبتناها من الدر المصون ٦/٨.

(٤) قرأ بها الحسن، وسلفت قريباً.

(٥) المحرر الوجيز ٣٦/٤.

(٦) في (م): برجليه.

(٧) أخرجه الفراء في معاني القرآن ١٧٤/٢، وما بين حاصرتين منه.

(٨) في (د) و(م): أبو إسحاق. بدل: ابن أبي إسحاق.

(٩) قرأ نافع في رواية ورش، وأبو عمرو: بفتح طا وإمالة ها، وعاصم في رواية شعبة، وحمزة والكسائي وخلف بإمالة طا وها معاً، والباقر من العشرة - ومنهم أبو جعفر - بفتحهما. السبعة ص ٤١٦،

والتيسير ص ١٥٠، والنشر ٦٧/٢.

(١٠) في إعراب القرآن ٣١/٣.

ها هنا ياء ولا كسرة فتكون الإمالة، والعلة الأخرى أن الطاء من الحروف الموانع للإمالة، فهاتان علتان يبتتان.

قوله تعالى: ﴿مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾، وقرأ: «مَا نُزِّلَ عَلَيْكَ الْقُرْآنُ لِيَشْقَى»^(١). قال النحاس^(٢): بعض النحويين يقول: هذه لام النفي، وبعضهم يقول: لام الجحود. وقال أبو جعفر: وسمعت أبا الحسن بن كيسان يقول [في مثلها]: إنها لام الخفض، والمعنى: ما أنزلنا عليك القرآن للشقاء. والشقاء يمد ويقصر، وهو من ذوات الواو.

وأصل الشقاء في اللغة العناء والتعب^(٣)، أي: ما أنزلنا عليك القرآن لتتعب. قال الشاعر:

دُوَّ الْعَقْلِ يَشْقَى فِي النَّعِيمِ بِعَقْلِهِ وَأَخُو الْجَهَالَةِ فِي الشَّقَاوَةِ يَنْعَمُ^(٤)
فمعنى لـ «تشقى»: لتتعب بفرط تأسفك عليهم وعلى كفرهم، وتحسرك على أن يؤمنوا، كقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا كَبُخَّ نَفْسَكَ عَلَى آثَرِهِمْ﴾ [الكهف: ٦] أي: ما عليك إلا أن تبلى وتذكر، ولم يكتب عليك أن يؤمنوا لا محالة بعد أن لم تُفرط في أداء الرسالة والموعظة الحسنة.

وَرُوي أن أبا جهل - لعنه الله تعالى - والنضر بن الحارث قالا للنبي ﷺ: إنك شقي، لأنك تركت دين آبائك^(٥)؛ فأريد رد ذلك بأن دين الإسلام وهذا القرآن هو السلم إلى نيل كل فوز، والسبب في درك كل سعادة، وما فيه الكفرة هو الشقاوة بعينها.

(١) نسبها أبو حيان في البحر المحيط ٦/٢٢٤ لطلحة.

(٢) في إعراب القرآن ٣/٣٢، وما سيرد بين حاصرتين منه. وأبو جعفر الآتي ذكره هو النحاس.

(٣) تفسير البغوي ٣/٢١١.

(٤) البيت للمتنبي، وهو في ديوانه ٤/٢٥١.

(٥) ذكره الواحدي في أسباب النزول ص ٣١٣ عن مقاتل، والزمخشري في الكشاف ٢/٥٢٨ - ٥٢٩ والكلام الذي قبله وبعده منه.

وعلى الأقوال المتقدمة أنه عليه الصلاة والسلام صَلَّى بالليل حتى اسمغدت^(١) قدماه، فقال له جبريل: أبقِ على نفسك، فإنَّ لها عليك حقاً^(٢). أي: ما أنزلنا عليك القرآن لِتُنْهَكَ نفسك في العبادة، وتُدَيِّقُهَا المشقَّة الفادحة، وما بُعثتَ إلا بالحنيفية السَّمحة.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَذَكَّرَ لِمَنْ يَخْشَى﴾ قال أبو إسحاق الزجاج: هو بدلٌ من «تسقى»، أي: ما أنزلناه إلا تذكرةً. النحاس^(٣): وهذا وجهٌ بعيد. وأنكره أبو عليٍّ من أجل أن التذكرة ليست بشقاء، وإنما هو منصوبٌ على المصدر، أي: أنزلناه لِتُذَكَّرَ به تذكرةً، أو على المفعول من أجله، أي: ما أنزلنا عليك القرآن لِتُسْقَى به، ما أنزلناه إلا للتذكرة^(٤). وقال الحسين بن الفضل: فيه تقديمٌ وتأخير، مجازه: ما أنزلنا عليك القرآن إلا تذكرةً لمن يخشى، ولئلاً تسقى^(٥).

﴿تَنْزِيلًا﴾ مصدر، أي: نزلناه تنزيلاً^(٦). وقيل: بدل من قوله: «تذكرة»^(٧). وقرأ أبو حيوة الشامي: «تنزيلٌ» بالرفع على معنى: هذا تنزيل^(٨).

﴿مَمَّنَ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى﴾ أي: العالية الرفيعة، وهي جمع العُلَيَا، كقوله:

(١) في (د) و(م): تورَّمت، وفي (ظ): ورمت، والمثبت من (خ) و(ز) و(ف) وهو الموافق للكشاف، وكلاهما بمعنى، وهي بالعين المهملة، وبالغين المعجمة أيضاً. القاموس (سمعد).

(٢) قال الحافظ ابن حجر في الكافي الشاف ص ١٠٨: لم أره هكذا، وفي الدعوات الكبير للبيهقي عن عائشة قالت: لما كانت ليلة النصف من شعبان - فذكر حديثاً طويلاً - وفيه: فما زال يصلي قائماً وقاعداً حتى أصبح، وحتى اسمعدت قدماه.. الحديث. وليس فيه كلام جبريل. اهـ.

(٣) في إعراب القرآن ٣/٣٢، وعنه نقل المصنف قول الزجاج السالف.

(٤) الكلام بنحوه في تفسير الطبري ١٦/١٠، وينظر الدر المصون ٨/٨ - ٩.

(٥) مجاز القرآن لأبي عبيدة ١٥/٢.

(٦) إعراب القرآن للنحاس ٣/٣٢.

(٧) الكشاف ٢/٥٢٩.

(٨) ذكرها الزمخشري في الكشاف ٢/٥٢٩ دون نسبة، ونسبها أبو حيان في البحر ٦/٢٢٥ لابن أبي عبله.

كُبْرَى وَصُغْرَى، وَكُبِّرَ وَصُغِرَ^(١). أَخْبِرَ عَنِ عَظَمَتِهِ وَجَبْرُوتِهِ وَجَلَالِهِ، ثُمَّ قَالَ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ وَيَجُوزُ النَّصْبُ عَلَى الْمَدْحِ^(٢). قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ^(٣): وَيَجُوزُ الْخَفْضُ عَلَى الْبَدَلِ مِنْ «مَنْ»^(٤). وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ مَسْعُودَةَ^(٥): الرَّفْعُ بِمَعْنَى: هُوَ الرَّحْمَنُ. النَّحَاسُ: يَجُوزُ الرَّفْعُ بِالْإِبْتِدَاءِ^(٦)، وَالْخَبِيرُ: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾، فَلَا يُوقَفُ عَلَى «اسْتَوَى»^(٧). وَعَلَى الْبَدَلِ مِنَ الْمُضْمَرِ فِي «خَلَقَ»^(٨) فَيَجُوزُ الْوَقْفُ عَلَى «اسْتَوَى». وَكَذَلِكَ إِذَا كَانَ خَبِيرَ إِبْتِدَاءٍ مَحذُوفٍ، وَلَا يُوقَفُ عَلَى «الْعَلَا». وَقَدْ تَقَدَّمَ الْقَوْلُ فِي مَعْنَى الْإِسْتَوَاءِ فِي «الْأَعْرَافِ»^(٩). وَالَّذِي ذَهَبَ إِلَيْهِ الشَّيْخُ أَبُو الْحَسَنِ^(١٠) وَغَيْرُهُ أَنَّهُ مَسْتَوٍ عَلَى عَرْشِهِ بِغَيْرِ حَدٍّ وَلَا كَيْفٍ كَمَا يَكُونُ اسْتَوَاءُ الْمَخْلُوقِينَ.

وقال ابن عباس: يريد: خلق ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة وبعد القيامة. ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾ يريد ما تحت الصخرة التي لا يعلم ما تحتها إلا الله تعالى. وقال محمد بن كعب: يعني الأرض

(١) تفسير البغوي ٢١١/٣، وزاد المسير ٢٧٠/٥.

(٢) يعني في اللغة لا في التلاوة.

(٣) هو الزجاج، وكلامه في معاني القرآن ٣٥٠/٣.

(٤) نسبها ابن خالويه في القراءات الشاذة ص ٨٧ لجناح بن حبيش.

(٥) هو الأخفش، وقوله في معاني القرآن ٦٢٩/٢.

(٦) إعراب القرآن للنحاس ٣٢/٣ - ٣٣ وقد نقل المصنف عنه قولي الزجاج والأخفش السالفين.

(٧) لم نقف على من ذكر أن قوله ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ...﴾ هو الخبير. وقال السمين: والجملة من قوله: «على العرش استوى» خبر لقوله: «الرحمن».

(٨) إعراب القرآن للنحاس ٣٣/٣، والمحزر الوجيز ٣٧/٤، قال أبو حيان في البحر ٢٢٦/٦: وأرى أن مثل هذا لا يجوز؛ لأن البدل يحل محل المبدل منه، و«الرحمن» لا يمكن أن يحل محل الضمير؛ لأن الضمير عائد على «مَنْ» الموصولة، و«خلق» صلة، والرباط هو الضمير، فلا يحل محله الظاهر لعدم الرباط.

(٩) ٢٣٨/٩ وما بعدها.

(١٠) هو الأشعري، وينظر رسالة أهل الثغر ص ٢٣٣ - ٢٣٦.

السابعة^(١). ابن عباس: الأرضُ على نون، والنونُ على البحر، وإن طرفي النون رأسه وذنبه يلتقيان تحت العرش، والبحرُ على صخرة خضراء خضرة السماء منها، وهي التي قال تعالى فيها: ﴿فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ﴾ [لقمان: ١٦]، والصخرةُ على قرن ثور، والثورُ على الثرى، وما يعلم ما تحت الثرى إلا الله تعالى^(٢). وقال وهب بن مُنبّه: على وجه الأرض سبعةُ أبحرٍ، والأرضون سبعٌ، بين كلِّ أرضين بحرٌ، فالبحر الأسفل مطبّق على شفير جهنم، ولولا عظمه وكثرة مائه وبرده لأحرقت جهنم كلَّ من عليها. قال: وجهنم على متن الرياح، ومتنُ الرياح على حجاب من الظلمة لا يعلم غلظه^(٣) إلا الله تعالى، وذلك الحجاب على الثرى، وإلى الثرى انتهى علمُ الخلائق.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَجْهَر بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ قال ابن عباس: السر ما حدّث به الإنسان غيره في خفاء، وأخفى منه ما أضمر في نفسه مما لم يُحدّث به غيره. وعنه أيضاً: السرُّ حديثُ نفسك، وأخفى من السرِّ ما سحدّث به نفسك مما لم يكن وهو كائن، أنت تعلم ما تُسرُّ به نفسك اليوم، ولا تعلم ما تُسرُّ به غداً، والله يعلم ما أسررتَ اليومَ وما تسرُّ غداً؛ والمعنى: الله يعلم السرَّ وأخفى من السرِّ.

وقال ابنُ عباس أيضاً: «السرُّ»: ما أسرَّ ابنُ آدم في نفسه، «وأخفى»: ما خفي على ابن آدم مما هو فاعله وهو لا يعلمه، فالله تعالى يعلم ذلك كله، وعلمه فيما مضى من ذلك وما يستقبل علمٌ واحد، وجميعُ الخلائق في علمه كنفسٍ واحدة. وقال قتادة وغيره: «السرُّ»: ما أضمره الإنسان في نفسه، و«أخفى» منه ما لم يكن ولا أضمره أحدٌ.

(١) أورده ابن كثير في تفسيره ٥/ ٢٧٣.

(٢) تفسير البغوي ٣/ ٢١٢، وأخرجه ابن مردويه كما في روح المعاني ٢١/ ٨٨. قال الألوسي: الأقوى عندي وضع هذه الأخبار. وأورده بنحوه ابن القيم في المنار المنيف ١/ ٧٨ وقال: والعجب من مُسوّد كتبه بهذه الهذيان!

(٣) في (د) و(م): عظمه.

وقال ابن زيد: «السُّرُّ»: سرُّ الخلائق، «وأخفى» منه سرُّه عزَّ وجلَّ، وأنكر ذلك الطبري^(١)، وقال: إن الذي هو^(٢) «أخفى» ما ليس في سرِّ الإنسان وسيكون في نفسه، كما قال ابن عباس.

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ «الله» رفع بالابتداء، أو على إضمار مبتدأ، أو على البدل من الضمير في «يعلم»^(٣).

وَحَدَّ نَفْسَهُ سُبْحَانَهُ؛ وذلك أن رسولَ الله ﷺ دعا المشركين إلى عبادة الله تعالى وحده لا شريك له، فكبر ذلك عليهم، فلمَّا سمعه أبو جهل يذكر الرحمن، قال للوليد ابن المغيرة: محمدٌ ينهانا أن ندعو مع الله إلهاً آخرَ وهو يدعو اللهَ والرحمن، فأنزل الله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾، وأنزل: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾^(٤) [الإسراء: ١١٠]، وهو واحدٌ وأسماءُه كثيرةٌ. ثم قال: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾. وقد تقدَّم التنبيهُ عليها في سورة الأعراف^(٥).

قوله تعالى: ﴿وَهَلْ أُنْتَلِكُ حَدِيثُ مُوسَى﴾ ① إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُتُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدٌ عَلَى النَّارِ هُدًى ② فَلَمَّا أَنهَا تُودِي يَمُوسَى ③ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ④ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ⑤ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ⑥ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى ⑦ فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى ⑧

قوله تعالى: ﴿وَهَلْ أُنْتَلِكُ حَدِيثُ مُوسَى﴾ قال أهل المعاني: هو استفهامٌ إثبات

(١) في تفسيره ١٦/١٣ - ١٧، وفيه الأخبار السابقة. وينظر النكت والميون ٣/٣٩٤.

(٢) لفظ: هو، ليس في (د) و(م).

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٣/٣٣.

(٤) ذكره البغوي في تفسيره ٣/١٤٢، وليس فيه ذكر قوله تعالى ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾.

(٥) ٣٩١/٩ وما بعدها.

وإيجاب، معناه: أليس قد أتاك؟ وقيل: معناه: وقد أتاك، قاله ابن عباس^(١). وقال الكلبي: لم يكن أتاه حديثه بعد، ثم أخبره^(٢).

﴿إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُتُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِبَيِّنٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾ قال ابن عباس وغيره: هذا حين قضى الأجل وسار بأهله وهو مُقبلٌ من مدين يريد مصر، وكان قد أخطأ الطريق، وكان موسى عليه السلام رجلاً غيوراً، يصحب الناس بالليل ويُفارقهم بالنهار غيرةً منه، لئلا يروا امرأته، فأخطأ الرفقة - لما سبق في علم الله تعالى - وكانت ليلةً مظلمة^(٣). وقال مقاتل: وكانت ليلة الجمعة في الشتاء^(٤).

وهب بن منبه: استأذن موسى شعبياً في الرجوع إلى والدته، فأذن له، فخرج بأهله بغنمه، وولد له في الطريق غلامٌ في ليلة شاتية باردةٍ مثلجية، وقد حاد عن الطريق وتفرقت ماشيته، فقدح موسى النار، فلم تور المقدحة شيئاً، إذ بصُر بنار من بعيد على يسار الطريق ﴿فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُتُوا﴾ أي: أقيموا بمكانكم^(٥) ﴿إِنِّي آنَسْتُ نَارًا﴾ أي: أبصرت^(٦). قال ابن عباس: فلما توجه نحو النار؛ فإذا النار في شجرة عُنَابٍ، فوقف متعجباً من حُسن ضوء تلك النار^(٧)، وشدة خُضرة تلك الشجرة، فلا شدة حرّ النار تُغيّر حُسن خُضرة الشجرة، ولا كثرة ماء الشجرة ولا نعمة الخُضرة تُغيّران حُسن ضوء النار^(٨).

(١) الوسيط للواحدى ٢٠١/٣، وزاد المسير ٢٧١/٥.

(٢) ذكره الرازي في تفسيره ١٤/٢٢.

(٣) أخرجه الطبري ١٩/١٦ بنحوه، وذكره الواحدى في الوسيط ٢٠١/٣.

(٤) النكت والعيون ٣/٣٩٥.

(٥) زاد المسير ٢٧٢/٥، وأخرجه الطبري ١٩/١٦ بنحوه.

(٦) غريب القرآن لابن قتيبة ص ٢٧٧.

(٧) في (خ) و(ز) و(ف): من حسن ضوء ذلك النار، وفي (د) و(م): من حسن ذلك الضوء، والمثبت من (ظ).

(٨) الوسيط للواحدى ٢٠٢/٣، وتفسير الرازي ١٥/٢٢ - ١٦.

وذكر المهدوي: فرأى النار - فيما روي - وهي في شجرة من العُلْيُق، فقصدتها فتأخرت عنه، فرجع وأوجس في نفسه خيفةً، ثم دنت منه، وكلمه الله عز وجل من الشجرة^(١). الماوردي^(٢): كانت عند موسى ناراً، وكانت عند الله تعالى نوراً.

وقرأ حمزة: «لِأَهْلِهِ امْكُثُوا» بضم الهاء^(٣)، وكذا في «القصص»^(٤). قال النحاس^(٥): وهذا على لغة من قال: مررت به يا رجل، فجاء به على الأصل، وهو جائز؛ إلا أن حمزة خالف أصله في هذين الموضعين خاصة.

وقال: «امكثوا» ولم يقل: أقيموا؛ لأن الإقامة تقتضي الدوام، والمكث ليس كذلك^(٦).

«وَأَنْسَتْ»: أبصرت، قاله ابن الأعرابي. ومنه قوله: ﴿فَإِنْ أَنْسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا﴾ [النساء: ٦] أي: علمتم^(٧). وأنستُ الصوت: سمعته^(٨)، والقَبَس: شعلة من نار، وكذلك المِقباس. يقال: قَبَسْتُ منه ناراً أقبس قَبَساً فأقبسني، أي: أعطاني منه قَبَساً، وكذلك اقتبست منه ناراً، واقتبستُ منه علماً أيضاً، أي: استفدته، قال اليزيدي: أقبستُ الرجل علماً وقبستُه ناراً؛ فإن كنت طلبتها له قلت: أقبستُه. وقال الكسائي: أقبستُه ناراً أو علماً سواء. وقال: وقبسته أيضاً فيهما^(٩). «هُدًى» أي: هادياً.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَنْهَأَ﴾ يعني النار ﴿نُورِي﴾ أي: من الشجرة، كما في سورة

(١) أخرجه الطبري ٢٢/١٦ عن وهب بن منبه.

(٢) في النكت والعيون ٣/٣٩٥.

(٣) السبعة ص ٤١٧، والتيسير ص ١٥٠.

(٤) الآية (٢٩).

(٥) في إعراب القرآن ٣/٣٣.

(٦) النكت والعيون ٣/٣٩٥.

(٧) غريب القرآن لابن قتيبة ص ٢٧٧.

(٨) الصحاح (أنس).

(٩) الكلام بنحوه في تهذيب اللغة ٨/٤١٩.

القصص^(١) أي: من جهتها وناحيتها على ما يأتي ﴿يَمُوسَىٰ إِنَِّّي أَنَا رَبُّكَ﴾.

قوله تعالى: ﴿فَأَخْلَعَ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ فيه خمس مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿فَأَخْلَعَ نَعْلَيْكَ﴾ روى الترمذي عن عبد الله بن مسعود، عن النبي ﷺ قال: «كان على موسى يوم كلمه ربّه كساءً صوفٍ، وجُبّةٌ صوفٍ، وكُمَّةٌ صوفٍ، وسراويلٌ صوفٍ، وكانت نَعْلَاهُ من جلد حمارٍ ميت» قال: هذا حديثٌ غريب لا نعرفه إلا من حديث حُميدٍ الأعرج [وحُميد هو ابنُ عليّ الكوفي] منكر الحديث، وحُميد بن قيس الأعرج المكي صاحبُ مجاهد ثقة، والكُمَّةُ: القَلَنْسُوةُ الصغيرة^(٢).

وقرأ العامة: «إني» بالكسر؛ أي: نودي فقيل له: يا موسى إني، واختاره أبو عبيد. وقرأ أبو عمرو وابن كثير^(٣) وابن محيصن وحُميد: «أني» بفتح الألف؛ بإعمال النداء.

واختلف العلماء في السبب الذي من أجله أمر بخلع النعلين - والخلع: التَّزَعُّعُ، والتَّلْعَلُ: ما جعلته وقايةً لقدميك من الأرض -:

فقيل: أمر بطرح النعلين لأنها نجسة؛ إذ هي من جلدٍ غير مُدَكِّي؛ قاله كعب وعكرمة وقتادة.

وقيل: أمر بذلك لينال بركة الوادي المقدّس، وتمسّ قدماه تربةً الوادي؛ قاله عليّ بن أبي طالب ﷺ والحسن وابن جُريج^(٤).

وقيل: أمر بخلع النعلين للخشوع والتواضع عند مناجاة الله تعالى. وكذلك فعل السلف حين طافوا بالبيت^(٥).

(١) الآية (٣٠).

(٢) سنن الترمذي (١٧٣٤)، وما بين حاصرتين منه.

(٣) السبعة ص ٤١٧، والتيسير ص ١٥٠، وينظر الكشف عن وجوه القراءات ٩٦/٢.

(٤) النكت والعيون ٣/٣٩٦.

(٥) الكشف ٢/٥٣١.

وقيل: إعظاماً لذلك الموضع؛ كما أن الحرَمَ لا يُدْخَلُ بنعلين إعظاماً له^(١). قال سعيد بن جبير: قيل له: طَأَّ الأَرْضَ حافياً كما تدخل الكعبة حافياً^(٢).

والعُرف عند الملوك أن تُخَلَعَ النُّعال، ويبلغ الإنسان إلى غاية التواضع، فكان موسى عليه السلام أمر بذلك على هذا الوجه، ولا يُبَالَى^(٣) كانت نَعْلَاهُ من ميتة أو غيرها. وقد كان مالكٌ لا يرى لنفسه ركوب دَابَّةٍ بالمدينة برأً بتربتها المحتوية على الأَعْظَمَ الشريفة، والجُثَّةَ الكريمة^(٤).

ومن هذا المعنى قولُه عليه الصلاة والسلام لبشير ابن الخَصَاصِيَّة وهو يمشي بين القبور بنعليه: «إِذَا كُنْتَ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَكَانِ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ». قال: فخلعتهما^(٥).

وقول خامس: إن ذلك عبارة عن تفرغ قلبه من أمر الأهل والولد. وقد يعبر عن الأهل بالنعل. وكذلك هو في التعبير: من رأى أنه لا بسُّ نعلين، فإنه يتزوَّج^(٦).

وقيل: لأن الله تعالى بسط له بساط النور والهُدَى، ولا ينبغي أن يسطأ على بساط ربِّ العالمين بنعله^(٧). وقد يَحْتَمِلُ أن يكون موسى أمر بخلع نعليه، وكان ذلك أوَّلَ فرض عليه، كما كان أوَّلَ ما قيل لمحمد ﷺ: ﴿مَرَّ فَأَنْذِرْ . وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ . وَبِأَبِكَ فَطَهِّرْ . وَالرَّجَرَ فَأَهْجِرْ﴾^(٨) [المدثر: ٢-٥]، والله أعلم بالمراد من ذلك.

(١) تفسير الرازي ١٧/٢٢ .

(٢) أخرجه الطبري ٢٩/١٦ .

(٣) في (ز) و(م): ولا تبالي، وفي المحرر الوجيز ٣٩/٤ (والكلام منه): ولا نبالي.

(٤) أحكام القرآن لابن العربي ٣/١٢٤٤ .

(٥) أخرجه بهذا اللفظ ابن عبد البر في التمهيد ٧٨/٢١، وأخرجه بنحوه أحمد (٢٠٧٨٧)، وأبو داود (٣٢٣٠)، والنسائي ٩٦/٤ .

(٦) تفسير الرازي ١٧/٢٢ .

(٧) لطائف الإشارات ٤٤٨/٢ .

(٨) أحكام القرآن لابن العربي ٣/١٢٤٥ .

الثانية: في الخبر أنّ موسى عليه السلام خلّع نعليه وألقاهما من وراء الوادي^(١). وقال أبو الأحوص: زار عبدُ الله أبا موسى في داره، فأقيمت الصلاة^(٢)، فقال أبو موسى لعبد الله: تقدّم. فقال عبد الله: تقدّم، أنت في دارك. فتقدّم وخلع نعليه، فقال عبد الله: أبا الوادي المقدّس أنت؟!^(٣).

وفي «صحيح» مسلم: عن سعيد بن يزيد قال: قلت لأنس: أكان رسولُ الله ﷺ يصلّي في نعلين؟ قال: نعم^(٤). ورواه النسائي^(٥) عن عبد الله بن السائب: أن النبيّ ﷺ صلّى يومَ الفتح، فوضّع نعليه عن يساره.

وروى أبو داود^(٦) من حديث أبي سعيد الخدريّ ﷺ قال: بينما رسولُ الله ﷺ يُصلّي بأصحابه، إذ خلّع نعليه، فوضعهما عن يساره، فلمّا رأى ذلك القومُ خلعوا^(٧) نعالهم، فلمّا قضى رسولُ الله ﷺ صلاته قال: «مَنْ حَمَلَكم على إلقاءكم نعالكم؟» قالوا: رأيناك ألقيت نعليك فألقينا نعالنا. فقال رسولُ الله ﷺ: «إنّ جبريل أتاني فأخبرني أن فيهما قدرًا». وقال: «إذا جاءكم أحدكم المسجدَ فليُنظر، فإن رأى في نعليه قدرًا أو أذى فليمسحه وليُصلِّ فيهما». صحّحه أبو محمد عبد الحق^(٨). وهو يجمع بين الحديثين قبله، ويرفع بينهما التعارض. ولم يختلف العلماء على جواز

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف ٥٣١/٢.

(٢) بعدها في (د) و(م): فأقام أبو موسى.

(٣) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (١٥٠٧)، وابن أبي شيبة ٤١٨/٢، وأخرجه من طريق آخر عن ابن مسعود ﷺ أحمد (٤٣٩٧)، وفيه قول ابن مسعود بعد ذلك: لقد رأيتُ رسول الله ﷺ يصلّي في الخفين والنعلين.

(٤) صحيح مسلم (٥٥٥)، وأخرجه أحمد (١١٩٧٦)، والبخاري (٣٨٦).

(٥) في المجتبى ٧٤/٢، وفي الكبرى (٨٥٤)، وهو عند أحمد (١٥٣٩٢)، وأبي داود (٦٤٨).

(٦) في سننه (٦٥٠)، وأخرجه أحمد (١١١٥٣) بنحوه.

(٧) في (م) وسنن أبي داود: ألقوا.

(٨) في الأحكام الشرعية الصغرى ١٩٦/١.

الصلاة في النعال^(١) إذا كانت طاهرة من ذكّي^(٢)، حتى لقد قال بعض العلماء: إن الصلاة فيهما أفضل، وهو معنى قوله تعالى: ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ على ما تقدم^(٣). وقال إبراهيم النخعي في الذين يخلعون نعالهم: لَوَدِدْتُ أَنْ مُحْتَاجاً جَاء فَأَخَذَهَا^(٤).

الثالثة: فإن خلعتهما فاخلعهما بين رجليك، فإن أبا هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ فَلْيَجْعَلْ^(٥) نَعْلَيْهِ بَيْنَ رِجْلَيْهِ»^(٦). وقال أبو هريرة للمقبري: اخلعهما بين رجليك، ولا تؤذ بهما مسلماً^(٧).

وما رواه عبد الله بن السائب رضي الله عنه أنه عليه الصلاة والسلام خلعهما عن يساره^(٨). فإنه كان إماماً، فإن كنت إماماً أو وحدك؛ فافعل ذلك إن أحببت، وإن كنت مأموماً في الصف فلا تؤذ بهما من على يسارك، ولا تصغهما بين قدميك فتشغلاك، ولكن قدّام قدميك.

وروي عن جبير بن مطعم أنه قال: وضع الرجل نعليه بين قدميه بدعة^(٩).

الرابعة: فإن تحقّق فيهما نجاسةٌ مُجمَع على تنجيسها؛ كالدم والعذرة من بول بني آدم؛ لم يطهرها إلا الغسل بالماء عند مالك والشافعي وأكثر العلماء، وإن كانت النجاسة مُختلفاً فيها؛ كبول الدواب وأروائها الرطبة؛ فهل يطهرها المسح بالتراب من

(١) في (م): النعل.

(٢) المفهم ١٦١/٢.

(٣) ١٩٣/٩.

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ٤١٦/٢.

(٥) في (د) و(م): فليخلع.

(٦) أخرجه ابن شيبة ٤١٨/٢، وأخرجه أبو داود (٦٥٥) بنحوه.

(٧) أخرجه ابن أبي شيبة ٤١٨/٢.

(٨) سلف في المسألة السابقة.

(٩) أخرجه ابن أبي شيبة ٤١٨/٢ عن نافع بن جبير بن مطعم.

النعل والحُفَّ أو لا؟ قولان عندنا. وأطلقَ الإجزاء بمسح ذلك بالتراب من غير تفصيل الأوزاعي وأبو ثور. وقال أبو حنيفة: يُزيله إذا بيس الحكِّ والفرك، ولا يُزيل رطبَه إلا الغسل؛ ما عدا البول، فلا يُجزئ عنده فيه إلا الغسل. وقال الشافعي: لا يطهر شيئاً من ذلك كله إلا الماء. والصحيح قول مَنْ قال: بأن المسح يطهره من الخفِّ والنعل؛ لحديث أبي سعيد^(١). فأما لو كانت النعل والحُفَّ من جلد ميتة فإن كان غير مدبوغ فهو نجسٌ باتفاق^(٢)، ما عدا ما ذهب إليه الزهريُّ والليث، على ما تقدّم بيانه في سورة النحل^(٣). ومضى في سورة براءة القول في إزالة النجاسة، والحمد لله^(٤).

الخامسة: قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ المقدّس: المطهر. والقُدس: الطهارة، والأرض المقدّسة، أي: المطهّرة^(٥)؛ سُميت بذلك لأن الله تعالى أخرج منها الكافرين وعمّرها بالمؤمنين^(٦). وقد جعل الله تعالى لبعض الأماكن زيادة فضلٍ على بعض، كما قد جعل لبعض الأزمان زيادة فضلٍ على بعض، ولبعض الحيوان كذلك. ولله أن يُفضّل ما شاء. وعلى هذا فلا اعتبار بكونه مقدّساً بإخراج الكافرين وإسكان المؤمنين، فقد شاركه في ذلك غيره.

و«طُوًى»: اسم الوادي؛ عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما^(٧). وقال الضحّاك: هو وادٍ عميقٌ مستدير مثل الطّوي^(٨).

(١) سلف في المسألة الثانية.

(٢) إكمال المعلم ٤٨٨/٢، والمفهم ١٦١/٢ - ١٦٢.

(٣) ٣٩٨/١٢، ومذهب الزهري والليث جواز الانتفاع بجلود الميتة وإن لم تدبغ. فيما ذكره المصنف ثمة.

(٤) ٣٨٢/١٠ وما بعدها.

(٥) الصحاح (قدس).

(٦) فضائل القدس لابن الجوزي ص ٦٧.

(٧) أخرجه الطبري ٢٨/١٦ عنهما.

(٨) تفسير البغوي ٢١٣/٣، والطّويّ: البئر المطوّية بالحجارة. اللسان (طوى).

وقرأ عِكْرَمَةَ: «طَوَى»^(١). الباقون: «طَوَى»^(٢). قال الجوهري: و«طوى» اسم موضع بالشام، تُكسر طأؤه وتُضَمُّ، ويصرف ولا يصرف، فمن صرفه جعله اسمَ وادٍ ومكان وجعله نكرة، ومن لم يصرفه جعله [اسم] بلدة ويقعة وجعله معرفة. وقال بعضهم: «طَوَى» مثل «طَوَى»، وهو الشيء المَثْنِيُّ، وقالوا في قوله: «المُقَدَّسِ طَوَى»: طَوَى مرتين، أي: قُدَّس. وقال الحسن: تُنْبِتُ فِيهِ الْبُرْكَهَ وَالتَّقْدِيسَ مَرَّتَيْنِ^(٣).

وذكر المهدوي عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه قيل له: «طوى» لأن موسى طواه بالليل إذ مرَّ به، فارتفع إلى أعلى الوادي، فهو مصدرٌ عمل فيه ما ليس من لفظه، فكأنه قال: «إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ» الذي طويته طَوَى، أي: تجاوزته فطويته بسيرك^(٤). الحسن: معناه: أنه قُدَّسَ مَرَّتَيْنِ^(٥)، فهو مصدر من طويته طَوَى أيضاً.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ﴾ أي: اصطفتيك للرسالة. وقرأ أهل المدينة وأبو عمرو وعاصمٌ والكسائي: «وَأَنَا اخْتَرْتُكَ». وقرأ حمزة: «وَأَنَا اخْتَرْنَاكَ»^(٦)، والمعنى واحد، إلا أن «وَأَنَا اخْتَرْتُكَ» هاهنا أولى من جهتين: إحداهما: أنها أشبه بالخط، والثانية: أنها أولى بنسق الكلام؛ لقوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَمْسُوقَ إِلَيَّ أَنَا رَبُّكَ فَأَخْلَعُ نَعْلَيْكَ﴾، وعلى هذا النَّسْقُ جَرَّتِ الْمُخَاطَبَةُ، قاله النحاس^(٧).

(١) نسبها أبو حيان في البحر ٢٣١/٦ للحسن والأعمش وأبي حيوة وابن أبي إسحاق وأبي السَّمَالِ وابن محيَّصن.

(٢) قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي: «طَوَى» بضم الطاء والتنوين، والباقون من السبعة بضمها من غير تنوين. السبعة ص ٤١٧، والتيسير ص ١٥٠.

(٣) الصحاح (طوي)، وما بين حاصرتين منه.

(٤) تفسير الطبري ٢٧/١٦، وفيه قول ابن عباس رضي الله عنهما.

(٥) أخرجه الطبري ٢٤/١٦.

(٦) قرأ الجميع: ﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ﴾ إلا حمزة، السبعة ص ٤١٧، والتيسير ص ١٥١.

(٧) في إعراب القرآن ٣/٣٤.

قوله تعالى: ﴿فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ﴾

فيه مسألة واحدة: قال ابن عطية^(١): وحدثني أبي - رحمه الله - قال: سمعت أبا الفضل الجوهري رحمه الله تعالى يقول: لَمَّا قِيلَ لِمُوسَىٰ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ: «فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ» وَقَفَ عَلَى حَجَرٍ، وَاسْتَدَّ إِلَى حَجَرٍ، وَوَضَعَ يَمِينَهُ عَلَى شِمَالِهِ، وَأَلْقَى ذَقَنَهُ عَلَى صَدْرِهِ، وَوَقَفَ يَسْتَمِعُ، وَكَانَ كُلُّ لِبَاسِهِ صَوْفًا.

قلت: حُسْنُ الاستماع كما يجب قد مَدَحَ الله عليه، فقال: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ﴾ [الزمر: ١٨]، وَذَمَّ عَلَى خِلافِ هَذَا الوصف، فقال: ﴿مَنْ أَعْلَمَ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ﴾ [الإسراء: ٤٧] الآية. فمدح المُنصِتَ لاستماع كلامه مع حضور العقل، وأمر عباده بذلك أدباً لهم، فقال: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُمْ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٤] وقال هاهنا: ﴿فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ﴾ لَأَنَّ بِذَلِكَ يُنال الفهم عن الله تعالى.

رُوي عن وَهْبِ بنِ مُتَّبهٍ أَنه قال: مِنَ أدبِ الاستماعِ سكونُ الجوارحِ، وَغَضُّ البصرِ، وَالإصغاءُ بالسمعِ، وَحضورُ العقلِ، وَالعزمُ عَلَى العملِ، وَذَلِكَ هو الاستماعُ كما يُحِبُّ اللهُ تعالى، وَهو أَن يَكْفَى العبدُ جوارحَهُ، وَلا يَشغَلُها. فَيَشغَلُ قلبَهُ عما يسمعُ، وَيَغضُّ طرفَهُ فلا يلهو قلبه بما يرى، وَيَحضُرُ عقلَهُ فلا يُحدِثُ نفسه بشيءٍ سوى ما يسمعُ إليه، وَيَعزمُ عَلَى أَن يفهمَ، فَيعملُ بما يفهمُ.

وقال سفيان بن عيينة: أول العلم الاستماع، ثم الفهم، ثم الحفظ، ثم العمل، ثم النشر^(٢)؛ فإذا استمع العبدُ إلى كتابِ اللهِ تعالى وسنةِ نبيه عليه الصلاة والسلام بنية صادقة على ما يحبُّ اللهُ؛ أفهمه كما يحبُّ، وجعل له في قلبه نوراً.

قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾

فيه سبع مسائل:

(١) في المحرر الوجيز ٣٩/٤.

(٢) أخرجه ابن عبد البر في جامع البر في جامع بيان العلم (٧٦١).

الأولى: اختلف في تأويل قوله: «لِذِكْرِي»؛ فقيل: يَحْتَمِلُ أن يريد: لتذكُرني فيها، أو يريدُ: لأذْكَركَ بالمدح في عِلِّيِّينَ بها، فالمصدر على هذا يَحْتَمِلُ الإضافة إلى الفاعل وإلى المفعول^(١).

وقيل: المعنى: أي: حافظُ بعد التوحيد على الصلاة. وهذا تنبيهٌ على عظم قدر الصلاة؛ إذ هي تضرُّعٌ إلى الله تعالى، وقيامٌ بين يديه، وعلى هذا فالصلاة هي الذِّكْر. وقد سَمَّى الله تعالى الصلاة ذِكْرًا في قوله: ﴿فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الجمعة: ٩].
وقيل: المرادُ: إذا نسيْتَ فتذكَّرتَ فصلُّ، كما في الخبر «فَلْيُصَلِّهَا إِذَا ذَكَرَهَا»^(٢).
أي: لا تَسْقُطُ الصلاةُ بالنسيان.

الثانية: روى مالكٌ وغيره أن النبي ﷺ قال: «مَنْ نَامَ عَنْ صَلَاةٍ أَوْ نَسِيَهَا؛ فَلْيُصَلِّهَا إِذَا ذَكَرَهَا؛ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾»^(٣).

وروى أبو محمد عبد الغني بن سعيد، من حديث حجاج بن حجاج - وهو حجاج الأحول^(٤) الذي روى عنه يزيد بن زريع - قال: حدثنا قتادة، عن أنس بن مالك، قال: سئل رسولُ الله ﷺ عن الرجل يَرُقُدُ عن الصلاة ويغفلُ عنها؛ قال: «كفارتُها أن يُصَلِّيَهَا إِذَا ذَكَرَهَا». تابعه إبراهيم بن طهمان عن حجاج، وكذا يروي همام بن يحيى عن قتادة^(٥).

وروى الدارقطني^(٦) عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، قال: «مَنْ نَسِيَ صَلَاةً فَوَقَّتُهَا

(١) المحرر الوجيز ٣٩/٤.

(٢) سيأتي في المسألة التالية.

(٣) هو بنحوه عند مالك في الموطأ ١٣/١ - ١٤، عن سعيد بن المسيب مرسلًا ضمن حديث، ووصله مسلم (٦٨٠) عن أبي هريرة ﷺ. وقد ساق المصنف لفظه من أحكام القرآن لابن العربي ١٢٤٦/٣.

(٤) في (د) و(ز) و(ظ) و(م): الأول، والمثبت من (خ). وهو حجاج بن حجاج الباهلي، البصري، الأحول، الحافظ. توفي سنة (١٣١هـ). السير ١٥١/٦.

(٥) أخرجه النسائي ٥٩/٢ وابن ماجه (٦٩٥) من طريق يزيد بن زريع عن حجاج، به. وأخرجه أحمد (١٣٨٤٨)، والبخاري (٥٩٧)، ومسلم (٦٨٤) من طريق همام بن يحيى عن قتادة، به.

(٦) في شنته (١٥٦٥).

إذا ذكرها».

فقوله: «فليصلها إذا ذكرها» دليل على وجوب القضاء على النائم والغافل، كثرت الصلاة أو قلت، وهو مذهب عامة العلماء. وقد حكي خلاف شاذ - لا يعتد به؛ لأنه مخالف لنص الحديث - عن بعض الناس فيما زاد على خمس صلوات: أنه لا يلزمه قضاء^(١).

قلت: أمر الله تعالى بإقامة الصلاة، ونص على أوقات معينة، فقال: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ﴾ [الإسراء: ٧٨] الآية، وغيرها من الآي. ومن أقام بالليل ما أمر بإقامته بالنهار، أو بالعكس؛ لم يكن فعله مطابقاً لما أمر به، ولا ثواب له على فعله، وهو عاصي؛ وعلى هذا الحد كان لا يجب عليه قضاء ما فات وقته. ولولا قوله عليه الصلاة والسلام: «مَنْ نَامَ عَنْ صَلَاةٍ أَوْ نَسِيَهَا فَلْيُصَلِّهَا إِذَا ذَكَرَهَا» لم يتفجع أحدٌ بصلاة وقعت في غير وقتها، وبهذا الاعتبار كان قضاء لا أداء؛ لأن القضاء بأمر مُتجدد وليس بالأمر الأول.

الثالثة: فأما مَنْ ترك الصلاة متعمداً، فالجمهور أيضاً على وجوب القضاء عليه، وإن كان عاصياً، إلا داود. ووافقه أبو عبد الرحمن الأشعري الشافعي^(٢)، حكاه عنه ابن القصار. والفرق بين المتعمد والناسي والنائم، حظ المأثم، فالمتعمد مأثوم، وجميعهم قاضون. والحجة للجمهور قوله تعالى: ﴿أَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ [الأنعام: ٧٢]، ولم يُفرق بين أن يكون في وقتها أو بعدها. وهو أمر يقتضي الوجوب.

وأيضاً فقد ثبت الأمر بقضاء النائم والناسي، مع أنهما غير مؤثمين^(٣)، فالعائد أولى. وأيضاً قوله: «مَنْ نَامَ عَنْ صَلَاةٍ أَوْ نَسِيَهَا» والنسيان: الترك، قال الله تعالى:

(١) المفهم ٣٠٩/٢.

(٢) المفهم ٣٠٩/٢، وينظر إكمال المعلم ٦٧٠/٢.

(٣) في (خ) و(د) و(ف) و(م): مأثومين، والمثبت من (ظ) والمفهم ٣٠٩/٢ والكلام منه.

﴿سُئِلَ اللَّهُ فَسَيِّئُهُمْ﴾ [التوبة: ٦٧] و﴿سُئِلَ اللَّهُ فَاسْتَمْتَمَ أَنْفُسَهُمْ﴾ [الحشر: ١٩]، سواء كان مع ذهول أو لم يكن؛ لأن الله تعالى لا ينسى، وإنما معناه: تركهم وقال: ﴿مَا نَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِئُهَا﴾^(١) [البقرة: ١٠٦] أي: نتركها.

وكذلك الذكر يكون بعد نسيان وبعد غيره. قال الله تعالى: «مَنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي»^(٢). وهو تعالى لا ينسى فيكون ذكره بعد نسيان، وإنما معناه: عَلِمْتُ. فكذاك يكون معنى قوله: «إِذَا ذَكَرَهَا» أي: عَلِمَهَا.

وأيضاً؛ فإن الديون التي للآدميين إذا كانت متعلّقة بوقت، ثم جاء الوقت لم يسقط قضاؤها بعد وجوبها، وهي مما يُسْقِطُهَا الْإِبْرَاءُ كان في ديون الله تعالى ألا يصحَّ فيها الإبراء أولى ألا يسقط قضاؤها إلا بإذنٍ منه^(٣). وأيضاً؛ فقد اتفقنا أنه لو ترك يوماً من رمضان متعمداً بغير عذر؛ لوجب قضاؤه، فكذلك الصلاة.

فإن قيل: فقد روي عن مالك: من ترك الصلاة متعمداً لا يقضي أبداً^(٤). فالإشارة إلى أن ما مضى لا يعود، أو يكون كلاماً خرج على التغليظ، كما روي عن ابن مسعود وعليّ: أن مَنْ أَفْطَرَ فِي رَمَضَانَ عَامِداً لَمْ يَكْفُرْهُ صِيَامَ الدَّهْرِ وَإِنْ صَامَهُ^(٥). ومع هذا فلا بدّ من توفية التكليف حقّه بإقامة القضاء مقام الأداء، وإتباعه بالتوبة، ويفعل الله بعد ذلك ما يشاء.

وقد روى أبو المَطْوُوس، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ أنه قال: «مَنْ

(١) هي قراءة شاذة، ذكرها أبو حيان في البحر ١/٣٤٣.

(٢) أخرجه بهذا اللفظ أحمد (٨٦٥٠) من حديث أبي هريرة، وأخرجه أحمد (٧٤٢٢)، والبخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥) عنه مطولاً بلفظ «يقول الله عزّ وجلّ: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حين يذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي...» اللفظ للبخاري.

(٣) المفهم ٢/٣١٠ بنحوه.

(٤) قال ابن العربي في أحكام القرآن ٣/١٢٤٦ (والكلام منه): نسبوا ذلك إلى مالك، وحاشاه من ذلك.

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة ٣/١٠٥ - ١٠٦ عنهما، وعلقه البخاري قبل الحديث (١٩٣٥) عن ابن مسعود.

أفطر يوماً من رمضان مُتعمداً لم يجزه صيامُ الدهر وإن صامه». وهذا يَحْتَمِلُ أن لو صحَّ كان معناه التغليظ، وهو حديثٌ ضعيفٌ خرجه أبو داود^(١). وقد جاءت الكفارة بأسانيد^(٢) صحاح، وفي بعضها قضاء اليوم، والحمد لله تعالى.

الرابعة: قوله عليه الصلاة والسلام: «مَنْ نَامَ عن صلاةٍ أو نَسِيَهَا» الحديث، يُخصص عمومَ قوله عليه الصلاة والسلام: «رُفِعَ الْقَلَمُ عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ»^(٣) والمراد بالرفع هنا رفعُ المأثم، لا رفع الفرض عنه، وليس هذا من باب قوله: «وعن الصبي حتى يحتلم»^(٤) وإن كان ذلك جاء في أثرٍ واحد، فقف على هذا الأصل^(٥).

الخامسة: اختلف العلماء من^(٦) هذا المعنى فيمن ذكر صلاةً فائتةً وهو في آخر وقت صلاة، أو ذكر صلاةً وهو في صلاة، فجملةُ مذهبِ مالك: أن من ذكر صلاةً وقد حضر وقتَ صلاةٍ أخرى، بدأ بالتي نسيَ إذا كان خمسَ صلواتٍ فأدنى، وإن فات وقتُ هذه. وإن كان أكثرَ من ذلك بدأ بالتي حضر وقتها، وعلى نحو هذا مذهبُ أبي حنيفة والثوري والليث، إلا أن أبا حنيفة وأصحابه قالوا: الترتيبُ عندنا واجبٌ

(١) برقم (٢٣٩٦)، وأخرجه أحمد (٩٠١٤)، والترمذي (٧٢٣)، والنسائي في الكبرى (٣٢٦٥)، وعلقه البخاري قبل الحديث (١٩٣٥) فقال: ويذكر عن أبي هريرة، رفعه: «من أفطر يوماً من رمضان من غير عذر ولا مرض لم يقضه صيام الدهر وإن صامه». قال الترمذي: حديث أبي هريرة لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وسمعت محمداً «يعني البخاري» يقول: أبو المطوس اسمه يزيد بن المطوس، ولا أعرف له غير هذا الحديث. قال الحافظ ابن حجر في الفتح ١٦١/٤: .. فيه ثلاث علل: الاضطراب، والجهل بحال أبي المطوس، والشك في سماع أبيه من أبي هريرة.

(٢) في (ظ): بأحاديث. والكلام من التمهيد ١٧٣/٧.

(٣) أخرجه أحمد (٢٤٦٩٤)، وأبو داود (٤٣٩٨)، والنسائي ١٥٦/٦ من حديث عائشة رضي الله عنها، وأخرجه أحمد (٩٤٠) من حديث علي ؓ.

(٤) قطعة من الحديث السالف.

(٥) التمهيد ٣٩٧/٦ - ٣٩٨.

(٦) في (د) و(م): في، والمثبت من (خ) و(ز) و(ف)، وفي (ظ): قال العلماء في هذا المعنى..

في اليوم واللييلة إذا كان في الوقت سعةً للفائتة ولصلاة الوقت. فإن خشي فوات [صلاة] الوقت بدأ بها، فإن زاد على صلاة يومٍ وليلة لم يجب الترتيب عندهم. وقد روي عن الثوري وجوب الترتيب، ولم يفرق بين القليل والكثير. وهو تحصيلُ مذهب الشافعي. قال الشافعي: الاختيارُ أن يبدأ بالفائتة ما لم يخف فوات هذه، فإن لم يفعل وبدأ بصلاة الوقت أجزاءه. وذكر الأثرم أن الترتيبَ عند أحمد واجبٌ في صلاة ستين سنة وأكثر. وقال: لا ينبغي لأحدٍ أن يصلي صلاةً وهو ذاكرٌ لما قبلها لأنها تفسد عليه^(١).

وروى الدارقطني عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال عليه الصلاة والسلام: «إذا ذكر أحدكم صلاةً وهو في صلاة مكتوبة فليبدأ بالتي هو فيها، فإذا فرغ منها، صلى التي نسي». وعمر بن أبي عمر مجهول^(٢).

قلت: وهذا لو صحَّ كانت حجةً للشافعي في البُداء بصلاة الوقت. والصحيح ما رواه أهل الصحيح^(٣) عن جابر بن عبد الله: أن عمر بن الخطاب يوم الخندق جعل يسبُّ كفارَ قريش، وقال: يا رسول الله، والله ما كدتُ أن أصلي العصرَ حتى كادت أن تغرب الشمس^(٤)، فقال رسولُ الله ﷺ: «فوالله، إن صليتُها». فنزلنا بطحان، فتوضأ رسولُ الله ﷺ، وتوضأنا، فصلَّى رسولُ الله ﷺ العصرَ بعد ما غربت الشمس، ثم صلى بعدها المغرب.

وهذا نصٌّ في البُداء بالفائتة قبل الحاضرة، ولا سيما والمغرب وقتها واحدٌ

(١) التمهيد ٤٠٤/٦، وما بين حاصرتين منه.

(٢) سنن الدارقطني (١٥٥٨)، ولفظه عنده: «إذا نسي أحدكم صلاة، فذكرها وهو في صلاة مكتوبة..» وعمر بن أبي عمر - وهو الكلاعي - أحد رجال الإسناد.

(٣) صحيح البخاري (٥٩٦) و(٩٤٥)، ومسلم (٦٣١)، وسلف ١٠٥/٧.

(٤) في (د) و(ظ) و(م): حتى كادت الشمس تغرب، والمثبت من (خ) و(ز) و(ف)، هو الموافق لصحيح مسلم، واللفظ له.

مضيق غير ممتد في الأشهر عندنا وعند الشافعي كما تقدّم. وقد روى الترمذي عن أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود، عن أبيه: أن المشركين شغلوا رسول الله ﷺ عن أربع صلوات يوم الخندق، حتى ذهب من الليل ما شاء الله تعالى، فأمر بالأذان بلا لاً فقام فأذن، ثم أقام فصلّى الظهر، ثم أقام فصلّى العصر، ثم أقام فصلّى المغرب، ثم أقام فصلّى العشاء^(١).

وبهذا استدلل العلماء على أن من فاتته صلوات^(٢)؛ قضاه مرتبة كما فاتته إذا ذكرها في وقت واحد.

واختلفوا إذا ذكر فاتتة في ضيق^(٣) وقت حاضرة على ثلاثة أقوال: يبدأ بالفاتتة وإن خرج وقت الحاضرة، وبه قال مالك والليث والزهري وغيرهم كما قدّمناه. الثاني: يبدأ بالحاضرة، وبه قال الحسن والشافعي وفقهاء أصحاب الحديث والمحاسبي وابن وهب من أصحابنا. الثالث: يتخير فيقدم أيتهما شاء، وبه قال أشهب^(٤).

وجه الأول: كثرة الصلوات، ولا خلاف أنه يبدأ بالحاضرة مع الكثرة؛ قاله القاضي عياض^(٥). واختلفوا في مقدار اليسير؛ فعن مالك: الخمس فدون، وقد قيل: الأربع فدون لحديث جابر. ولم يختلف المذهب أن السّت كثير.

السادسة: وأما من ذكر صلاة وهو في صلاة، فإن كان وراء الإمام فكل من قال

(١) سنن الترمذي (١٧٩)، وهو عند أحمد (٣٥٥٥)، والنسائي ١٧/٢ - ١٨ قال الترمذي: حديث عبد الله ليس بإسناده بأس، إلا أن أبا عبيدة لم يسمع من عبد الله. وفي الباب عن أبي سعيد الخدري ﷺ عند أحمد (١١١٩٨)، والنسائي ١٧/٢.

(٢) في (د) و(م): صلاة.

(٣) في (د) و(م): مضيق.

(٤) المفهم ٢٥٧/٢ دون ذكر المحاسبي.

(٥) في إكمال المعلم ٥٩٧/٢، ونقله المصنف عنه بواسطة المفهم ٢٥٧/٢، والكلام منه إلى آخر المسألة.

بوجوب الترتيب ومن لم يقل به، يقول: يتمادى مع الإمام حتى يُكمل صلاته^(١). والأصل في هذا ما رواه مالك والدارقطني^(٢)، عن ابن عمر قال: إذا نسي أحدكم صلاة فلم يذكرها إلا وهو مع الإمام؛ فليصل مع الإمام، فإذا فرغ من صلاته، فليصل الصلاة التي نسي، ثم ليعد صلاته التي صلى مع الإمام. لفظ الدارقطني؛ وقال: قال موسى بن هارون: وحدثناه أبو إبراهيم الترمذاني، قال: حدثنا سعيد [به] ورفعنا إلى النبي ﷺ وهم في رفعه، فإن كان قد رجع عن رفعه فقد وفق للصواب.

ثم اختلفوا، فقال أبو حنيفة وأحمد بن حنبل: يُصلي التي ذكر، ثم يُصلي التي صلى مع الإمام إلا أن يكون بينهما أكثر من خمس صلوات، على ما قدمنا ذكره عن الكوفيين. وهو مذهب جماعة من أصحاب مالك المدنيين.

وذكر الخرقني عن أحمد بن حنبل أنه قال: من ذكر صلاة وهو في أخرى أنه يتمها ويقضي المذكورة، وأعاد التي كان فيها إذا كان الوقت مُبقي^(٣)، فإن خشي خروج الوقت وهو فيها أعتق ألا يعيدها، وقد أجزأته، ويقضي التي عليه.

وقال مالك: من ذكر صلاة وهو في صلاة قد صلى منها ركعتين سلم من ركعتيه، فإن كان إماماً انهدمت عليه وعلى من خلفه وبطلت. هذا هو الظاهر من مذهب مالك، وليس عند أهل النظر من أصحابه كذلك؛ لأن قوله: فيمن ذكر صلاة في صلاة قد صلى منها ركعة أنه يُضيف إليها أخرى وسلم. ولو ذكرها في صلاة قد صلى منها ثلاث ركعات أضاف إليها رابعة وسلم، وصارت نافلة غير فاسدة، ولو انهدمت عليه كما ذكر وبطلت لم يُؤمر أن يضيف إليها أخرى، كما لو أحدث بعد ركعة لم يُضيف إليها أخرى^(٤).

(١) التمهيد ٦/٤٠٥ - ٤٠٦.

(٢) الموطأ ١/١٦٨، وسنن الدارقطني (١٥٥٩) و(١٥٦٠)، وما سيرد بين حاصرتين منه.

(٣) في (د) و(م): واسعاً، والمثبت من باقي النسخ، وهو الموافق للتمهيد ٦/٤٠٦، والكلام منه.

(٤) الكافي ١/٢٢٣ - ٢٢٤.

السابعة: روى مسلمٌ عن أبي قتادة قال: خطبنا رسولُ الله ﷺ. فذكر حديثَ المِيضَاءِ بطوله، وقال فيه: ثم قال: «أَمَا لَكُمْ فِيَّ أَسْوَةٌ». ثم قال: «أَمَا إِنَّهُ لَيْسَ فِي النُّومِ تَفْرِيطٌ، إِنَّمَا التَّفْرِيطُ عَلَى مَنْ لَمْ يُصَلِّ الصَّلَاةَ حَتَّى يَجِيءَ وَقْتُ الصَّلَاةِ الْآخَرَى، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَلْيُصَلِّهَا حِينَ يَنْتَبَهُ لَهَا، فَإِذَا كَانَ الْغَدَ فَلْيُصَلِّهَا عِنْدَ وَقْتِهَا». وَأَخْرَجَهُ الدَّارِقُطْنِيُّ هَكَذَا بِلَفْظِ مُسْلِمٍ سِوَاهُ^(١).

فظاهره يقتضي إعادة المَقْضِيَةِ مرتين؛ عند ذكورها وحضورِ مثلها من الوقت الآتي؛ ويعضد هذا الظاهرَ ما خرجه أبو داود من حديثِ عمران بن حُصَيْنٍ، وذكر القصة وقال في آخرها: «فَمَنْ أَدْرَكَ مِنْكُمْ صَلَاةَ الْغَدَاةِ مِنْ غَدٍ صَالِحًا فَلْيَقْضِ مَعَهَا مِثْلَهَا»^(٢).

قلت: وهذا ليس على ظاهره، ولا تُعاد غير مرة واحدة؛ لِمَا رواه الدارقطني عن عمران بن حصين قال: سَرِينَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزَاةٍ - أَوْ قَالَ فِي سَرِيَّةٍ - فَلَمَّا كَانَ وَقْتُ السَّحْرِ عَرَّسْنَا، فَمَا اسْتَيْقَظْنَا حَتَّى أَيْقَظَنَا حَرُّ الشَّمْسِ، فَجَعَلَ الرَّجُلُ مَنَا يَثِبُ فَرِعًا دَهْشًا، فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَمَرَنَا فَارْتَحَلْنَا، ثُمَّ سَرِينَا حَتَّى ارْتَفَعَتِ الشَّمْسُ، فَقَضَى الْقَوْمُ حَوَائِجَهُمْ، ثُمَّ أَمَرَ بِلَا لَأَفَادَنَ، فَصَلَّيْنَا رَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ أَمَرَهُ فَأَقَامَ فَصَلَّيْنَا الْغَدَاةَ، فَقُلْنَا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَلَا نَقْضِيهَا لَوَقْتِهَا مِنَ الْغَدِ؟ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَيُّهَاكُمْ اللَّهُ عَنِ الرَّبَِّا وَيَقْبَلُهُ مِنْكُمْ؟»^(٣).

وقال الخطابي^(٤): لا أعلمُ أحداً قال بهذا وجوباً، ويُشبهه أن يكون الأمر به استحباباً لِيُحَرِّزَ فَضِيلَةَ الْوَقْتِ فِي الْقَضَاءِ.

(١) صحيح مسلم (٦٨١)، وسنن الدارقطني (١٤٤٢)، وهو في مسند أحمد (٢٢٥٤٦).

(٢) المفهم ٣١٦/٢، والحديث في سنن أبي داود (٤٣٨) من حديث أبي قتادة ؓ، أما حديث عمران بن حصين ؓ عند أبي داود (٤٤٣) فليس فيه هذا اللفظ.

(٣) سنن الدارقطني (١٤٤١)، وهو في مسند أحمد (١٩٩٦٤).

(٤) في معالم السنن ١/١٣٩، ونقله المصنف عنه بواسطة المفهم ٣١٦/٢-٣١٧، والكلام منه.

والصحيح ترك العمل؛ لقوله عليه الصلاة والسلام: «أينهاكم الله عن الربا ويقبله منكم» ولأن الطرق الصحاح من حديث عمران بن حصين ليس فيها من تلك الزيادة شيء، إلا ما ذكر من حديث أبي قتادة وهو مُحْتَمِلٌ كما بيّناه.

قلت: ذكر الكيا الطبري في «أحكام القرآن»^(١) له أن من السلف من خالف قوله عليه الصلاة والسلام: «مَنْ نَسِيَ صَلَاةً فَلْيُصَلِّهَا إِذَا ذَكَرَهَا، لَا كَفَّارَةَ لَهَا إِلَّا ذَلِكَ»^(٢) فقال: يصبر إلى مثل وقته فَلْيُصَلِّ، فإذا فات الصبح فليصل من الغد. وهذا قولٌ بعيد شاذٌ.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا سَعَىٰ﴾ آيةٌ مشكلة؛ فروي عن سعيد بن جبير أنه قرأ: «أَكَادُ أُخْفِيهَا» بفتح الهمزة، قال: أظهرها. «لِتُجْزَىٰ» أي: الإظهارُ للجزاء؛ رواه أبو عبيد، عن الكسائي، عن محمد بن سهل، عن وِقَاءِ ابن إياس، عن سعيد بن جبير. وقال النحاس^(٣): وليس لهذه الرواية طريقٌ غير هذا.

قلت: وكذا رواه أبو بكر الأنباري في كتاب «الرد»: حدثني أبي، حدثنا محمد ابن الجهم، حدثنا الفراء^(٤)، حدثنا الكسائي (ح) وحدثنا عبد الله بن ناجية، حدثنا يوسف، حدثنا يحيى الجِمانِيُّ، حدثنا محمد بن سهل.

قال النحاس^(٥): وأجودٌ من هذا الإسناد ما رواه يحيى القَطَّان، عن الثوري، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير أنه قرأ: «أَكَادُ أُخْفِيهَا» بضم الهمزة.

(١) ٣/٢٧٤.

(٢) هو عند أحمد (١٣٨٤٨)، والبخاري (٥٩٧) ومسلم (٦٨٤) من طريق همام بن يحيى، عن قتادة، عن أنس رضي الله عنه، وقد أشار إليه المصنف في المسألة الثانية.

(٣) في إعراب القرآن ٣/٣٥، وما قبله منه. وقراءة سعيد بن جبير ذكرها ابن خالويه في القراءات الشاذة ص ٨٧، وابن جني في المحتسب ٢/٤٧.

(٤) معاني القرآن له ٢/١٧٦.

(٥) في إعراب القرآن ٣/٣٥.

قلت: وأما قراءة ابن جُبَيْر «أَخْفِيهَا» بفتح الهمزة بالإسناد المذكور فقال أبو بكر الأنباري: قال الفراء^(١): معناه: أظهرها، من خَفَيْتُ الشيءَ أخْفِيه: إذا أظهرته. وأنشد الفراء لامرئ القيس:

فإن تَدْفِنُوا الدَّاءَ لا نَخْفِهْ وإن تَبْعَثُوا الحربَ لا نَقْعُدِ^(٢)

أراد: لا نَظْهره، وقد قال بعض اللغويين: يجوز أن يكون «أَخْفِيهَا» بضم الهمزة معناه: أظهرها؛ لأنه يقال: خَفَيْتُ الشيءَ وأخْفَيْته: إذا أظهرته؛ فأخْفَيْته من حروف الأضداد يقع على الستر والإظهار. وقال أبو عبيدة^(٣): خَفَيْتُ وأخْفَيْتُ بمعنى واحد.

النحاس: وهذا حسن، وقد حكاه عن أبي الخَطَّاب، وهو رئيسٌ من رؤساء اللغاة لا يُشكُّ في صدقه، وقد روى عنه سيبويه وأنشد:

وإن تَكْتُمُوا الدَّاءَ لا نُخْفِهْ وإن تَبْعَثُوا الحربَ لا نَقْعُدِ

كذا رواه أبو عبيدة، عن أبي الخَطَّاب بضم النون.

وقال امرؤ القيس أيضاً:

خَفَاهَنَّ من أنْفَاقِهِنَّ كأنما خَفَاهَنَّ وَذُقَّ من عَشِيٍّ مُجَلَّبِ

أي: أظهرهنَّ^(٤).

وروي: «من سحاب مرَّجَّب» بدل: «من عَشِيٍّ مُجَلَّبِ»^(٥).

قال أبو بكر الأنباري: وتفسيرٌ للآية آخر: «إنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادًا» انقطع الكلام

(١) في معاني القرآن ١٧٦/٢، وينظر الأضداد لابن الأنباري ص ٩٦.

(٢) ديوان امرئ القيس ص ١٨٦.

(٣) في مجاز القرآن ١٦/٢ بمعناه. وينظر الكلام الذي قبله فيه.

(٤) مجاز القرآن لأبي عبيدة ١٦/٢ - ١٧، والبيت في ديوان امرئ القيس ص ٥١. قال شارحه: الوذوق:

المطر، وخص مطر العشي لأنه أغزر. والمُجَلَّب: الذي تسمع له جَلْبَةٌ؛ لشدة وقعه.

(٥) ذكر هذه الرواية الأزهري في تهذيب اللغة ٥٩٦/٧.

على «أكاد» وبعده مضمّر: أكاد، آتي بها، والابتداء: «أخفيها لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ». قال ضابئ البرجمي:

هَمَمْتُ ولم أفعلْ وكِدْتُ وليتَنِي تَرَكْتُ على عثمانَ تَبْكي حَلَالُهُ

أراد: وكدت أفعل^(١)، فأضمر مع «كدت» فعلاً كالفعل المضمّر معه في القرآن.

قلت: هذا الذي اختاره النحاس^(٢)، وزَيَّفَ القولَ الذي قبله، فقال: يقال: خَفَى

الشيءَ يَخْفِيهِ: إذا أظهره، وقد حُكِيَ أنه يقال: أخفاه أيضاً: إذا أظهره، وليس

بالمعروف، قال: وقد رأيتُ علي بنَ سليمانَ لَمَّا أشكل عليه معنى «أخفيها» عدل إلى

هذا القول، وقال: معناه كمعنى «أخفيها».

قال النحاس: ليس المعنى على أظهرها، ولا سيما و«أخفيها» قراءة شاذة،

فكيف تردُّ القراءة الصحيحة الشائعة إلى الشاذة، ومعنى المضمّر أولى، ويكون

التقدير: إن الساعة آتية أكاد آتي بها؛ ودلّ «آتية» على آتي بها، ثم قال: «أخفيها» على

الابتداء. وهذا معنى صحيح؛ لأن الله عزَّ وجلَّ قد أخفى الساعة التي هي القيامة،

والساعة التي يموت فيها الإنسان؛ ليكون الإنسان يعمل والأمر عنه مبهم، ولا يؤخّر

التوبة.

قلت: وعلى هذا القول تكون اللام في «لتجزي» متعلقة بـ «أخفيها».

وقال أبو علي^(٣): هذا من باب السلب، وليس من باب الأضداد، ومعنى

«أخفيها»: أزيل عنها خفاءها، وهو سترها، كخفاء الأخرية - وهي: الأكسية -

والواحد خفاء، بكسر الخاء: ما تُلَفُّ به القربة، وإذا زال عنها سترها ظهرت. ومن

(١) الكلام بنحوه في الأضداد لابن الأنباري ص ٩٦ - ٩٧، ونقله عنه الماوردي في النكت والعيون

٣٩٧/٣، والبيت سلف ٣١١/١١.

(٢) في إعراب القرآن ٣/٣٥.

(٣) ذكره عنه ابن جني في المحتسب ٤٧/٢، والطبرسي في مجمع البيان ٨٧/١٦.

هذا قولهم: أشكيتته، أي: أزلت شكواه، وأعديته، أي: قبلت استعداداه، ولم أحوجه إلى إعادته.

وحكى أبو حاتم عن الأخفش: أن «كاد» زائدة مؤكدة. قال: ومثله ﴿إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكْذِبْ بِرَبِّهَا﴾ [النور: ٤٠]، لأن الظلمات التي ذكرها الله تعالى بعضها يحول بين الناظر والمنظور إليه. وروي معناه عن ابن جبير^(١)، والتقدير: إن الساعة آتية أخفيها لتُجزى كل نفس بما تسعى. وقال الشاعر:

سريع إلى الهيجاء شاكٍ سلاحه فما إن يكاد قرنه يتنفس
أراد: فما يتنفس^(٢).

وقال آخر:

وَأَلَا أَلُومُ النَّفْسِ فِيمَا أَصَابَنِي وَأَلَا أَكَادُ بِالَّذِي نَلْتُ أَنْجِحُ
معناه: وألا أنجح بالذي نلت؛ فأكاد توكيد للكلام^(٣).

وقيل: المعنى «أكاد أخفيها» أي: أقارب ذلك؛ لأنك إذا قلت: كاد زيد يقوم، جاز أن يكون قام، وأن يكون لم يقم. ودل على أنه قد أخفاها بدلالة غير هذه على هذا الجواب^(٤).

قال اللغويون: كدثت أفعل، معناه عند العرب: قاربت الفعل ولم أفعل، وما كدت أفعل معناه: فعلت بعد إبطاء. وشاهده قول الله عزت عظمته: ﴿فَدَجَّوْهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ [البقرة: ٧١]، معناه: وفعلوا بعد إبطاء؛ لتعذر وجدان البقرة عليهم.

(١) ذكره السمين الحلبي في الدر المصون ٢٠/٨.

(٢) ينظر تفسير الطبري ٣٩/١٦، والأضداد لابن الأنباري ص ٩٧، والمحتسب ٤٨/٢، والبيت لزيد الخيل الطائي، وهو في ديوانه ص ٧٤.

(٣) الأضداد لابن الأنباري ص ٩٧ - ٩٨، والبيت لتميم بن مقبل، وهو في ديوانه ص ٢٤، وفيه: أفرح، بدل: أنجح، وفي الأضداد: أبحج. ومعناها: أفرح.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٣٦/٣.

وقد يكون: ما كدثُ أفعَلُ بمعنى: ما فعلت ولا قاربت إذا أكَّدَ الكلامُ بأكاد.
وقيل: معنى «أَكَاذُ أَخْفِيهَا»: أريدُ أخفيها. قال الأنباري: وشاهدُ هذا قولُ
الفصيح من الشعر:

كَادَتْ وَكَدَتْ وَتِلْكَ خَيْرُ إِرَادَةٍ لَوْ عَادَ مِنْ لَهْوِ الصَّبَابَةِ مَا مَضَى
معناه: أَرَادَتْ وَأَرَدَتْ^(١).

وقال ابن عباس^(٢) وأكثرُ المفسرين فيما ذكر الثعلبي: إن المعنى أكاد أخفيها من
نفسي، وكذلك هو في مصحف أبيّ. وفي مصحف ابن مسعود: أكاد أخفيها من
نفسي، فكيف يَعْلَمُهَا مخلوقٌ. وفي بعض القراءات: فكيف أظهرها لكم؟. وهو
محمولٌ على أنه جاء على ما جرث به عادةُ العرب في كلامها، من أن أحدهم إذا بالغ
في كتمان الشيء قال: كِدْتُ أخفيه من نفسي. والله تعالى لا يَخْفَى عليه شيءٌ^(٣)، قال
معناه قطرب^(٤) وغيره. وقال الشاعر:

أَيَّامَ تَصْحَبَنِي هِنْدٌ وَأَخْبَرُهَا مَا أَكْتُمُ النَّفْسَ مِنْ حَاجِي وَأَسْرَارِي^(٥)
فكيف يُخْبِرُهَا بما تَكْتُمُ نَفْسُهُ؟ ومن هذا الباب قوله ﷺ: «ورجل تصدَّق بصدقة،
فأخفاها حتى لا تعلمَ شماله ما تُنْفِقُ يمينه»^(٦).

(١) الأضداد لابن الأنباري ص ٩٨ ، وينظر الكلام الذي قبله فيه وفي تفسير الطبري ٣٩/١٦ ، وزاد المسير
٢٧٦/٥ .

(٢) أخرجه الطبري ٣٥/١٦ .

(٣) تفسير البغوي ٢٠٤/٣ ، وقراءة أبيّ وابن مسعود رضي الله عنهما ذكرهما أيضاً الرازي في تفسيره
٢٢/٢٢ .

(٤) ذكره عنه الواحدي في الوسيط ٢٠٣/٣ .

(٥) أورده أبو حيان في البحر ٢٣٣/٦ ، وعجز البيت عنده: ما كدثُ أكتمه عني من الخبر.

(٦) أخرجه أحمد (٩٦٦٥)، والبخاري (٦٦٠)، ومسلم (١٠٣١) من حديث أبي هريرة ؓ، وهو قطعة من
حديث: «سبعة يُظَلِّمُ اللهُ في ظلِّه...».

الزمخشري^(١): وقيل: معناه: أكاد أخفيها من نفسي، ولا دليل في الكلام على هذا المحذوف؛ ومحذوف لا دليل عليه مُطْرَح، والذي غرهم منه أن في مصحف أبي: أكاد أخفيها من نفسي؛ وفي بعض المصاحف: أكاد أخفيها من نفسي، فكيف أظهركم عليها؟.

قلت: وقيل: إن معنى قول من قال: أكاد أخفيها من نفسي، أي: إن إخفاءها كان من قبلي، ومن عندي، لا من قبل غيري. وروي عن ابن عباس أيضاً: أكاد أخفيها من نفسي^(٢)، ورواه طلحة بن عمرو عن عطاء. وروى علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قال: لا أظهر عليها أحداً^(٣). وروي عن سعيد بن جبير قال: قد أخفاها. وهذا على أن كاد زائدة. أي: إن الساعة آتية أخفيها، والفائدة في إخفائها التخويف والتهويل^(٤).

وقيل: تعلق «لِتُجْزَى» بقوله تعالى: ﴿وَأَقْرِبَ الصَّلَاةَ﴾ فيكون في الكلام تقديم وتأخير، أي: أقيم الصلاة لتذكركني ﴿لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا سَعَى﴾ أي: يسعيها ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أَخْفِيهَا﴾. والله أعلم. وقيل: هي متعلقة بقوله: «آتِيَةٌ»، أي: إن الساعة آتية لتُجْزَى^(٥).

﴿فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا﴾ أي: لا يصرفنك عن الإيمان بها والتصديق لها ﴿مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾، ﴿فَتَرَدَى﴾ أي: فتَهْلِك. وهو في موضع نصب بجواب النهي^(٦).

(١) الكشاف ٢/٥٣٢ .

(٢) سلف قريباً.

(٣) أخرجه الطبري ١٦/٣٤ .

(٤) تفسير البغوي ٣/٢٠٤ ، وزاد المسير ٥/٢٧٧ .

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٣/٣٦ بمعناه.

(٦) البيان لابن الأنباري ٢/١٤٠ .

قوله تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾ (٧) قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَنَازِبُ أُخْرَى ﴿٨﴾

فيه خمس مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ﴾ قيل: كان هذا الخطاب من الله تعالى لموسى وحياً؛ لأنه قال: ﴿فَأَسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى﴾ [الآية: ١٣]. ولا بد للنبي في نفسه من معجزة يعلم بها صحة نبوة نفسه، فأراه في العصا وفي نفسه ما أراه لذلك. ويجوز أن يكون ما أراه في الشجرة آية كافية له في نفسه، ثم تكون اليد والعصا زيادة توكيد، وبرهاناً يلقى به قومه.

واختلف في قوله: ﴿وَمَا تِلْكَ﴾^(١)، فقال الزجاج والفرّاء^(٢): هي اسم ناقص وصلت بـ «يمينك»، أي: ما التي بيمينك؟ وقال أيضاً^(٤): «تلك» بمعنى هذه. ولو قال: ما ذلك، لجاز، أي: ما ذلك الشيء. ومقصود السؤال تقرير الأمر حتى يقول موسى: هي عصاي؛ ليثبت الحجة عليه بعد ما اعترف، وإلا فقد علم الله ما هي في الأزل^(٥).

قال ابن الجوهري^(٦): وفي بعض الآثار: إن الله تعالى عبّ على موسى إضافة العصا إلى نفسه في ذلك الموطن، فقيل له: ألقها لترى منها العجب، فتعلم أنه لا ملك لك عليها، ولا تُضاف إليك.

(١) في (د) و(م): واختلف في «ما» في قوله: «وما تلك»، وفي (خ) و(ز): واختلف في قوله في تلك في قوله: «وما تلك» والمثبت من (ظ) و(ف).

(٢) معاني القرآن للفرّاء ١٧٧/٢، ومعاني القرآن للزجاج ٣٥٣/٣ - ٣٥٤، وإعراب القرآن للنحاس ٣٦/٣.

(٣) يعني: تلك.

(٤) هو الفرّاء.

(٥) الكلام بنحوه في معاني القرآن للزجاج ٣٥٤/٣.

(٦) هو أبو الفضل الجوهري، وكلامه في المحرر الوجيز ٤١/٤.

وقرأ ابن أبي إسحاق: «عَصِيٌّ» على لغة هُذَيْل^(١)؛ ومثله: «يا بُشْرِيَّ» و«مَحْيِيَّ» وقد تقدّم^(٢). وقرأ الحسن: «عَصَايِ» بكسر الياء؛ لالتقاء الساكنين. ومثلُ هذا قراءة حمزة: «وَمَا أَنْتُمْ بِمُضْرِحِيَّ» [إبراهيم: ٢٢]. وعن ابن أبي إسحاق سكونُ الياء^(٣).

الثانية: في هذه الآية دليلٌ على جواب السؤال بأكثر مما سُئِلَ؛ لأنه لَمَّا قال: «وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَمْشُونَ» ذكر معاني أربعة، وهي: إضافة العَصَا إليه - وكان حَقُّه أن يقول: عصا - والتوكُّؤُ، والهَشُّ، والمَارِبُ الْمُطْلَقَةُ^(٤). فذكر موسى من منافع عصاه عَظَمَها وجمهورَها، وأجملَ سائر ذلك^(٥). وفي الحديث: سُئِلَ النبيُّ ﷺ عن ماء البحر فقال: «هو الطَّهْوَرُ ماؤه، الحِلُّ مَيْتَتُهُ»^(٦). وسألته امرأةٌ عن الصغير حين رفعته إليه فقالت: ألهذا حجٌّ؟ قال: «نعم، ولكِ أجرٌ»^(٧). ومثله في الحديث كثير.

الثالثة: قوله تعالى: «أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا» أي: أتحاملُ عليها في المشي والوقوف، ومنه الاتِّكَاء.

«وَأَهْشُ بِهَا» و«وَأَهْشُ» أيضاً؛ ذكره النحاس^(٨). وهي قراءة النَّخَعِيَّ^(٩)، أي: أخطبُ بها الورق، أي: أَضْرِبُ أغصانَ الشجر لیسقط ورقُها، فيسهلَ على غنمي تناولُه، فتأكله. قال الراجز:

(١) القراءات الشاذة ص ٨٧، ومعاني القرآن للزجاج ٣/٣٥٤، والمحرم الوجيز ٤/٤١.

(٢) ١١/٢٩٢ - ٢٩٣ و ٩/١٣٩.

(٣) قراءة حمزة في السبعة ص ٣٦٢، والتيسير ص ١٣٤، وقراءة الحسن وقراءة ابن أبي إسحاق في المحتسب ٢/٤٨ - ٤٩.

(٤) أحكام القرآن لابن العربي ٣/١٢٤٧.

(٥) المحرم الوجيز ٤/٤١.

(٦) سلف ٨/٢١٢.

(٧) أخرجه أحمد (٢١٨٧)، ومسلم (١٣٣٦) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٨) في إعراب القرآن ٣/٣٦.

(٩) المحتسب ٢/٥٠.

أَهْشُ بِالْعَصَا عَلَى أَغْنَامِي مِنْ نَاعِمِ الْأَرَاكِ وَالْبَشَامِ^(١)
 يقال: هَشَّ عَلَى غَنَمِهِ يَهْشُ، بَضَمَ الْهَاءِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ. وَهَشَّ إِلَى الرَّجْلِ يَهْشُ،
 بِالْفَتْحِ. وَكَذَلِكَ هَشَّ لِلْمَعْرُوفِ يَهْشُ، وَهَشِشْتُ أَنَا. وَفِي حَدِيثِ عُمَرَ: هَشِشْتُ يَوْمًا،
 فَقَبَلْتُ وَأَنَا صَائِمٌ^(٢). قَالَ شَمِيرٌ: أَي: فَرِحْتُ وَاسْتَهَيْتُ. قَالَ: وَيَجُوزُ: هَاشَ بِمَعْنَى:
 هَشَّ^(٣). قَالَ الرَّاعِي:

فَكَبَّرَ لِلرُّوْيَا وَهَاشَ فَوَادُهُ وَبَشَّرَ نَفْسًا كَانَ قَبْلُ يَلُومُهَا^(٤)
 أَي: طَرِبَ. وَالْأَصْلُ فِي الْكَلِمَةِ: الرَّخَاوَةُ. يُقَالُ: رَجُلٌ هَشٌّ، وَجُوزٌ هَشٌّ^(٥).

وَقَرَأَ عِكْرَمَةَ: «وَأَهْشُ» بِالسِّينِ غَيْرَ مَعْجَمَةٍ^(٦)، قِيلَ: هُمَا لَفْتَانِ بِمَعْنَى وَاحِدٍ.
 وَقِيلَ: مَعْنَاهُمَا مُخْتَلَفٌ؛ فَالْهَشُّ بِالْإِعْجَامِ: حَبِطُ الشَّجَرِ، وَالْهَسُّ بِغَيْرِ إِعْجَامٍ: زَجْرُ
 الْغَنَمِ؛ ذَكَرَهُ الْمَوَارِدِيُّ^(٧) وَكَذَلِكَ ذَكَرَ الزَّمَخْشَرِيُّ^(٨).

وَعَنْ عِكْرَمَةَ: «وَأَهْشُ» بِالسِّينِ^(٩)، أَي: أَنْحَنِي^(١٠) عَلَيْهَا زَاجِرًا لَهَا.
 وَالْهَسُّ^(١١): زَجْرُ الْغَنَمِ.

(١) مجاز القرآن ١٧/٢، وتفسير الطبري ٤٣/١٦، والنكت والعيون ٣/٣٩٩. والبشام: شجر عطر
 الرائحة، ورقه يسود الشعر، ويستاك بقضبه. القاموس (بشم).

(٢) أخرجه أحمد (١٣٨)، وأبو داود (٢٣٨٥)، والنسائي (٣٠٣٦).

(٣) نقله عنه في اللسان (هشش).

(٤) ديوان الراعي ص ٢٥٩.

(٥) في (م): وزوج هش.

(٦) القراءات الشاذة ص ٨٧، والمحتسب ٥٠/٢.

(٧) في النكت والعيون ٣/٣٩٩.

(٨) في الكشف ٥٣٣/٢.

(٩) في (خ) و(ز) و(ظ) و(م): وأهس بالسین، والمثبت من (د)، وكذا قيدها السمين الحلبي في الدر
 المصون ٨/٢٥: بضم الهاء وتخفيف الشين. ثم قال: ولا أعرف لها وجهاً إلا أن يكون قد استثقل
 التضعيف مع تفشي الشين فخفف، وهي بمعنى قراءة العامة.

(١٠) في (د): امحى عنها، وفي (م): أنحى عليها.

(١١) في (د) و(ظ): والهش.

الرابعة: قوله تعالى: ﴿وَلِي فِيهَا مَنَارِبٌ أُخْرَى﴾ أي: حوائج. واحدها: مَأْرِبَةٌ وَمَأْرِبَةٌ وَمَأْرِبَةٌ. وقال: «أخرى» على صيغة الواحد؛ لأن «مأرب» في معنى الجماعة، لكن المَهْيَعُ^(١) في توابع جمع ما لا يعقل الأفراد، والكناية عنه بذلك، فإن ذلك يجري مَجْرَى الواحدة المؤنثة؛ كقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وكقوله: ﴿يَنجِيَالٌ أَوْي مَعَهُ﴾ [سبأ: ١٠]، وقد تقدّم هذا في «الأعراف»^(٢).

الخامسة: تعرّض قومٌ لتعدد منافع العصا، منهم ابنُ عباس، قال: إذا انتهيتُ إلى رأس بئرٍ فقَصُر الرِّشَاءُ؛ وصلته بالعصا، وإذا أصابني حرُّ الشمس؛ غرزتُها في الأرض وألقيتُ عليها ما يُظَلُّني، وإذا خِفْتُ شيئاً من هوامِّ الأرض؛ قتلته بها، وإذا مشيتُ؛ ألقىتها على عاتقي، وعلقتُ عليها القوسَ والكنانةَ والمِخْلَةَ، وأقاتل بها السِّبَاعَ عن الغنم^(٣).

وروى عنه ميمون بنُ مهران قال: إمساكُ العصا سُنَّةٌ للأنبياء، وعلامةٌ للمؤمن. وقال الحسن البصري: فيها سِتُّ خِصَالٍ: سنةُ الأنبياء^(٤)، وزينةُ الصُّلَحَاءِ، وسلاحٌ على الأعداء، وعودٌ للضعفاء، وغمٌّ للمنافقين، وزيادة في الطاعات. ويقال: إذا كان مع المؤمن العصا يهربُ منه الشيطان، ويخشعُ منه المنافقُ والفاجر، وتكون قبْلته إذا صلَّى، وقوَّةٌ إذا أعبأ.

ولقي الحَجَّاجُ أعرابياً فقال: من أين أقبلت يا أعرابي؟ قال: من البادية. قال: وما في يدك؟ قال: عصاي، أركُزها لِصَلَاتِي، وأعدُّها لِعِدَاتِي، وأسوقُ بها دابَّتِي، وأقوى بها على سفري، وأعتمدُ بها في مشيتي لتتسعَ خُطوتي، وأثبُّ بها النهر،

(١) المهيع: الطريق البين. القاموس (هيع).

(٢) ٣٩٣/٩

(٣) تفسير البغوي ٣/٢١٥، وتفسير الرازي ٢٧/٢٢ بنحوه.

(٤) في (م): للأنبياء.

وَتُؤْمِنُنِي مِنَ الْعَثْرِ، وَأَلْقِي عَلَيْهَا كِسَائِي فَيَقِينِي الْحَرَّ، وَيُدْفِنُنِي مِنَ الْقُرِّ، وَتُدْنِي إِلَيَّ مَا بَعْدَ مِنِّي، وَهِيَ مَحْمِلُ سَفَرَتِي، وَعِلَاقَةُ إِدَاوَتِي؛ أَعْصِي بِهَا^(١) عِنْدَ الضَّرَابِ، وَأَقْرَعُ بِهَا الْأَبْوَابَ، وَأَتَّقِي بِهَا عَقْوَرَ الْكِلَابِ، وَتَنُوبَ عَنِ الرُّمْحِ فِي الطَّعَانِ، وَعَنِ السَّيْفِ عِنْدَ مَنَازِلَةِ الْأَقْرَانِ، وَرِثْتُهَا عَنِ أَبِي، وَأُورِثُهَا بَعْدِي ابْنِي، وَأَهْشُ بِهَا عَلَى غَنَمِي، وَلِي فِيهَا مَآرِبٌ أُخْرَى كَثِيرَةٌ لَا تُحْصَى.

قلت: منافع العصا كثيرة، ولها مدخلٌ في مواضع من الشريعة: منها أنها تُتخذ قبلةً في الصحراء. وقد كان للنبي عليه الصلاة والسلام عَنزَةٌ تُرَكِّزُ لَهُ فِيصَلِّي إِلَيْهَا، وَكَانَ إِذَا خَرَجَ يَوْمَ الْعِيدِ، أَمَرَ بِالْحَرْبَةِ فَتَوْضَعُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فِيصَلِّي إِلَيْهَا، وَذَلِكَ ثَابِتٌ فِي الصَّحِيحِ^(٢). وَالْحَرْبَةُ وَالْعَنزَةُ وَالنَّيْزِكُ وَالْآلَةُ اسْمٌ لِمَسْمَى وَاحِدٍ. وَكَانَ لَهُ مَحْجَنٌ - وَهُوَ عَصَاً مَعُوجَةً الطَّرْفِ - يُشِيرُ بِهِ إِلَى الْحَجَرِ إِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَقْبَلَهُ؛ ثَابِتٌ فِي الصَّحِيحِ أَيْضاً^(٣).

وفي «الموطأ»^(٤): عن السائب بن يزيد أنه قال: أمر عمر بن الخطاب ﷺ أباي بن كعب وتميماً الداري أن يقوموا للناس بإحدى عشرة ركعة، وكان القارئ يقرأ بالمئين، حتى كنا نعتمد على العيصي من طول القيام، وما كنا ننصرف إلا في فروع الفجر^(٥).
وفي «الصحيحين»: أنه عليه الصلاة والسلام كان له مَحْضَرَةٌ^(٦).

(١) أي: أضرب بها. القاموس (عصو).

(٢) صحيح البخاري (٤٩٤) (٩٧٣)، وصحيح مسلم (٥٠١) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وهو في مسند أحمد (٤٦١٤) (٥٧٣٤). والعنزة: مثل نصف الرمح، أو أكبر شيئاً، وفيها سنان مثل سنان الرمح. النهاية (عنز).

(٣) صحيح البخاري (١٦٠٧)، ومسلم (١٢٧٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وهو في مسند أحمد (١٨٤١).

(٤) ١١٥/١.

(٥) في (م): بزوغ. وفروع الفجر: أوائله وأول ما يبدو ويرتفع منه. مشارق الأنوار ١٥٣/٢.

(٦) صحيح البخاري (١٣٦٢)، وصحيح مسلم (٢٦٤٧) من حديث علي ﷺ، وهو في مسند أحمد =

والإجماع منعقدٌ على أنَّ الخطيبَ يخطُبُ متوكِّئاً على سيفٍ أو عصاً، فالعصا مأخوذةٌ من أصل كريم، ومَعْدِنٌ شريف، ولا يُنكرها إلا جاهل. وقد جمع الله لموسى في عصاه من البراهين العظام، والآيات الجسام، ما آمن به السحرة المعاندون. واتَّخذها سليمانُ لخطبته وموعظته وطولِ صلاته. وكان ابن مسعودٍ صاحبَ عصا النبي ﷺ وَعَنْزَتَهُ^(١)؛ وكان يخطبُ بالقضيب^(٢)، وكفى بذلك فضلاً على شرفِ حالِ العصا. وعلى ذلك الخلفاءُ وكُبراءُ الخطباءِ، وعادةُ العربِ العَرَبَاءِ الفُصَحَاءِ اللُّسُنِ البُلغَاءِ أَخَذَ المِخْصِرَةَ والعصا، والاعتمادُ عليها عند الكلام، وفي المحافل والخطب.

وأنكرت الشعوبية على خطباء العرب أخذَ المِخْصِرَةَ والإشارة بها إلى المعاني. والشعوبية تُبغضُ العرب وتفضِّلُ العجم^(٣).

قال مالك: كان عطاء بنُ السائبِ يُمسكُ المِخْصِرَةَ يستعين بها. قال مالك: والرَّجُلُ إذا كَبِرَ لم يكن مثلَ الشاب^(٤)؛ يقوى بها عند قيامه. فلت: وفي مَشِيهِ^(٥)، كما قال بعضهم:

قد كنتُ أمشي على رِجْلَيْنِ معتمداً فصرْتُ أمشي على أخرى من الخشبِ^(٦)

= (١٠٦٧). والمِخْصِرَةُ: ما يختصره الإنسان بيده فيمسكه، من عصاً، أو عكازة، أو قضيب، وقد يتكئ عليه. النهاية (خصر).

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات ٣/١٥٣ عن القاسم بن عبد الرحمن بنحوه.

(٢) أخرج ابن سعد ١/٣٧٧، وأبو الشيخ في أخلاق النبي ﷺ ص ١٤٦ - ١٤٧ عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ كان يخطب بمِخْصِرَةٍ في يده. وأورده الهيثمي في المجمع ٢/١٨٧ وقال: رواه الطبراني في الكبير والبخاري، وفيه ابن لهيعة، وفيه كلام. اهـ.

(٣) ذكر هذا الكلام العيني في عمدة القاري ٢٢/٢٢٢.

(٤) في (د) و(م): الشباب.

(٥) في (د) و(م): مشيته.

(٦) لم نقف عليه.

قال مالك رحمه الله ورضي عنه: وقد كان الناس إذا جاءهم المطرُ خرجوا بالعِصِيَّ يتوكَّؤن عليها، حتى لقد كان الشبابُ يحسِّون عِصِيَّهم، وربما أخذ ربيعةُ العصا من بعض مَنْ يجلس إليه حتى يقوم.

ومن منافع العصا ضربُ الرجلِ نساءه بها فيما يُصلحهم، ويُصلح حاله وحالهم معه. ومنه قوله عليه الصلاة والسلام: «وأما أبو جَهْمٍ فلا يَضَعُ عصاه عن عاتقه» في أحد التأويلات^(١). وقد روي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال لرجلٍ أوصاه: «لا ترفعْ عصاك عن أهلك، أخفهم في الله». رواه عبادة بن الصامت؛ خرَّجه النسائي^(٢). ومن هذا المعنى قوله ﷺ: «علَّق سَوْطَكَ حيث يراه أهلك»^(٣) وقد تقدَّم هذا في «النساء»^(٤).

ومن فوائدها التنبية على الانتقال من هذه الدار؛ كما قيل لبعض الزُّهَّاد: ما لك تمشي على عصاً، ولست بكبير ولا مريض؟ قال: إني أعلمُ أنني مسافر، وأنها دارُ قُلعة، وأنَّ العصا من آلة السفر؛ فأخذه بعضُ الشعراء فقال:

حملتُ العصا لا الضَّعْفُ أوجبَ حَمَلَهَا عليّ ولا أني تَحْنِيْتُ مِنْ كِبَرِ
ولكنني ألزمتُ نفسي حَمَلَهَا لأعلمها أنَّ المقيمَ على سَفَرِ^(٥)

(١) في (م): في إحدى الروايات. والحديث أخرجه أحمد ومسلم، وقد سلف ٢٨٨/٦.

(٢) لم نقف عليه عند النسائي، ونسبه الهيثمي في المجمع ٢١٦/٤ للطبراني وقال: فيه سلمة بن شريح قال الذهبي: لا يعرف. وقد أخرجه أحمد (٢٢٠٧٥) من حديث معاذ ﷺ وإسناد ضعيف والطبراني في الأوسط (١٨٩٠) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما. وأورده السيوطي في الجامع الصغير ١٢٤/٢ ونسبه لأبي نعيم في الحلية، ورمز لضعفه.

(٣) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (١٧٩٦٣)، والطبراني في الكبير (١٠٦٧٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. وذكره السيوطي في الجامع الصغير ١٢٤/٢، ورمز لضعفه.

(٤) ٢٨٨/٦.

(٥) عيون الأخبار ٣٢٣/٢، دون نسبة، ونسبهما الصفدي في الوافي ١٧٤/٥ لمحمد بن وشاح بن عبد الله أبي علي. والقُلعة: المال العارية. الصحاح (قلع).

قوله تعالى: ﴿قَالَ أَلْقِنَهَا يَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَنَهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَتُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَأَضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجَ بَيْضَاءَ مِثْلَ بَيْضَاءِ الْأُنثَىٰ ﴿٢٢﴾ لِيُزَيِّنَ لَكَ آيَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٣﴾ لِيُزَيِّنَ لَكَ آيَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٣﴾ لِيُزَيِّنَ لَكَ آيَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٣﴾

قوله تعالى: ﴿قَالَ أَلْقِنَهَا يَمُوسَىٰ﴾: لَمَّا أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَىٰ أَنْ يُدْرِبَهُ فِي تَلْقَى النُّبُوَّةِ وَتَكَالِيفِهَا، أَمَرَهُ بِالْقَاءِ الْعَصَا ﴿فَأَلْقَنَهَا﴾ مُوسَىٰ، فَقَلَّبَ اللَّهُ أَوْصَافَهَا وَأَعْرَاضَهَا. وَكَانَتْ عَصَاً ذَاتَ شُعْبَتَيْنِ، فَصَارَتِ الشُّعْبَتَانِ لَهَا فَمَا، وَصَارَتْ حَيَّةً تَسْعَىٰ، أَي: تَنْتَقِلُ، وَتَمَشِي وَتَلْتَقِمُ الْحِجَارَةَ، فَلَمَّا رَأَاهَا مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَأَىٰ عِبْرَةً، ف ﴿وَلَىٰ مُدِيرٌ﴾ وَ﴿لَرَّ يَعْقِبُ﴾ [القصص: ٣١]، فَقَالَ اللَّهُ لَهُ: ﴿خُذْهَا وَلَا تَخَفْ﴾، وَذَلِكَ أَنَّهُ أَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً، أَي: لِحِقِّهِ مَا يَلْحَقُ الْبَشَرَ.

وَرَوَى أَنَّ مُوسَىٰ تَنَاوَلَهَا بِكُمِّي جُبَّتِهِ، فَنَهَىٰ عَنْ ذَلِكَ، فَأَخَذَهَا بِيَدِهِ، فَصَارَتْ عَصَاً كَمَا كَانَتْ أَوَّلَ مَرَّةٍ، وَهِيَ سِيرَتُهَا الْأُولَىٰ^(١)، وَإِنَّمَا أَظْهَرَ لَهُ هَذِهِ الْآيَةَ؛ لِثَلَا يَفْرَعُ مِنْهَا إِذَا أَلْقَاهَا عِنْدَ فِرْعَوْنَ. وَيُقَالُ: إِنْ الْعَصَا بَعْدَ ذَلِكَ كَانَتْ تُمَاشِيهِ وَتُحَادِثُهُ، وَيُعَلَّقُ عَلَيْهَا أَحْمَالَهُ، وَتُضِيءُ لَهُ الشُّعْبَتَانِ بِاللَّيْلِ كَالشَّمْعِ، وَإِذَا أَرَادَ الْاسْتِقَاءَ انْقَلَبَتِ الشُّعْبَتَانِ كَالدَّلْوِ، وَإِذَا اشْتَهَى ثَمْرَةً رَكَزَهَا فِي الْأَرْضِ، فَانْمَرَتْ تِلْكَ الثَّمْرَةُ^(٢).

وَقِيلَ: إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ آسِ الْجَنَّةِ^(٣). وَقِيلَ: أَنَاهُ جَبْرِيلُ بِهَا. وَقِيلَ: مَلَكٌ. وَقِيلَ: قَالَ لَهُ شُعَيْبٌ: خُذْ عَصَاً مِنْ ذَلِكَ الْبَيْتِ، فَوَقَعَتْ بِيَدِهِ تِلْكَ الْعَصَا، وَكَانَ عَصَا آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ هَبَطَ بِهَا مِنَ الْجَنَّةِ^(٤). وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ﴾ النَّحَّاسِ^(٥): وَيَجُوزُ «حَيَّةٌ»، يُقَالُ: خَرَجْتُ

(١) المحرر الوجيز ٤/٤١ - ٤٢ .

(٢) تفسير البغوي ٣/٢١٥ بنحوه.

(٣) نسبة ابن الجوزي في زاد المسير ٥/٢٧٩ لابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) عرائس المجالس ١٧٧ - ١٧٩ بنحوه.

(٥) في إعراب القرآن ٣/٣٦ .

فإذا زيدَ جالسٌ وجالساً. والوقف: «حَيَّه» بالهاء. والسعي: المشي بسرعة وخِفَّةً.
وعن ابن عباس: انقلبت ثعباناً ذَكَرَ أَيْبِتَلَع الصَّخْرَ والشَّجَرَ، فلما رآه يبتلع كلَّ
شيء خافه ونَفَّر منه. وعن بعضهم: إنما خاف منه؛ لأنه عَرَفَ ما لقي آدمُ منها. وقيل:
لَمَّا قال له رَبُّهُ: «لَا تَخَفْ» بلغ من ذهاب خوفه وطمأنينة نفسه أن أدخل يده في فمها
وأخذ بلحْيِهَا^(١).

﴿سُنَيْدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى﴾ سمعتُ عليَّ بن سليمان^(٢) يقول: التقدير: إلى
سيرتها، مثل ﴿وَأَخْبَارَ مُوسَى قَوْمَهُ﴾ قال: ويجوز أن يكونَ مصدرًا؛ لأن معنى^(٣)
سنيدها: سنيِّرها.

قوله تعالى: ﴿وَأَضْمُ يَدِكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ﴾ يجوز في غير القرآن: ضَمٌّ، بفتح الميم
وكسرهما؛ لالتقاء الساكنين، والفتح أجود؛ لخِفَّتِهِ، والكسرُ على الأصل. ويجوز
الضَمُّ على الإتيان. ويدٌ أصلها: يَدِيٌّ على فَعْل^(٤)، يدلُّ على ذلك: أيِّد. وتصغيرُها:
يُدِيَّةً.

والجَنَاح: العَضُد؛ قاله مجاهد، وقال: «إلى» بمعنى تحت^(٥). فُطْرُب: «إلى
جَنَاحِكَ»: إلى جنبك^(٦)، ومنه قولُ الراجز:

أَضْمُهُ^(٧) لِلصَّدْرِ وَالجَنَاحِ

(١) الكشاف ٥٣٤/٢. واللَّحْي: مَثَبُ اللحية، وهما لحيان. الصحاح (لحي).

(٢) القائل هو النحاس، وكلامه في إعراب القرآن ٣٧/٣.

(٣) في النسخ الخطية: المعنى، والمثبت من (م) وهو الموافق لما في إعراب القرآن للنحاس.

(٤) في النسخ الخطية: ويد أصلها فعل يدي، والمثبت من (م) وهو الموافق لما في إعراب القرآن للنحاس
٣٧/٣، والكلام منه.

(٥) تفسير مجاهد ١/٣٩٥، وأخرجه عنه الطبري ٤٩/١٦.

(٦) في (خ) و(د) و(ز) و(م): جييك، والمثبت من (ظ).

(٧) في النسخ الخطية: أضمك، والمثبت من (م)، وهو الموافق لما في مجاز القرآن ١٨/٢، وتفسير
الطبري ٤٩/١٦، والمحزر الوجيز ٤٢/٤، وزاد المسير ٥/٢٨٠.

وقيل: إلى جيبك، فعبر عن الجيب^(١) بالجنح؛ لأنه مائلٌ في محلِّ الجنح.
وقيل: إلى عندك. وقال مقاتل: «إلى» بمعنى مع، أي: مع جناحك.

﴿وَتَخْرُجُ بَيَّضًا مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ من غير برص؛ نوراً ساطعاً يُضيء بالليل والنهار كضوء الشمس والقمرِ وأشدَّ ضوءاً؛ عن ابن عباس وغيره^(٢). فخرجت نوراً، مخالفة^(٣) لونه. و«بَيَّضًا» نصب على الحال، ولا تنصرف؛ لأن فيها ألفي التانيث لا يُزايِلانها، فكأنَّ لزومها^(٤) عِلَّةٌ ثابتة^(٥)، فلم تنصرف في النكرة، وخالفنا^(٦) الهاء؛ لأن الهاء تُفارق الاسم. و«مِنْ غَيْرِ سُوءٍ» «مِنْ» صِلَةٌ «بَيَّضًا» كما تقول: ابيضَّت من غير سوء.

﴿أَيَّةٌ أُخْرَى﴾ سوى العصا. فأخرج يده من مِدرَعَةٍ له مِصْرِيَّةٌ^(٧)، لها شعاعٌ مثل شعاع الشمس يُغشي^(٨) البصر. و«أَيَّةٌ» منصوبةٌ على البدل من «بَيَّضًا»؛ قاله الأخفش^(٩). النحاس^(١٠): وهو قولٌ حسن. وقال الزجاج^(١١): المعنى: آتيناك آيةً أُخرى، أو نوتيك؛ لأنه لما قال: ﴿وَتَخْرُجُ بَيَّضًا مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾؛ دلَّ على أنه قد آتاه آيةً أُخرى.

(١) في (خ) و(ز) و(ظ) و(م): إلى جنبك، فعبر عن الجنب...، والمثبت من (د).

(٢) الوسيط للواحد ٢٠٤/٣، وتفسير البغوي ٢١٥/٣.

(٣) في (ظ): مخالفاً.

(٤) في (م): لزومها، والمثبت من النسخ الخطية، وهو الموافق لما في إعراب القرآن للنحاس ٣٧/٣، والكلام منه.

(٥) في (ظ) و(م)، وإعراب القرآن: ثانية.

(٦) في إعراب القرآن للنحاس: وخالفها.

(٧) في (د) و(ز): مضربة، ولم توجد في (ظ).

(٨) في (م): يعشي.

(٩) في معاني القرآن ٦٢٩/٢.

(١٠) في إعراب القرآن ٣٧/٣.

(١١) في معاني القرآن ٣٥٥/٣، ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس في إعراب القرآن.

﴿لِيُرِيكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى﴾ يريد العظمى. وكان حقه أن يقول: الكبيرة، وإنما قال: «الكبرى»؛ لوافق رؤوس الآي. وقيل: فيه إضمار؛ معناه: لنريك من آياتنا الآية الكبرى؛ دليله قول ابن عباس: يد موسى أكبر آياته^(١).

قوله تعالى: ﴿أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ ٢٤ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ٢٥ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ٢٦ وَأَحْلِلْ عُقْدَةَ مِنِّ لِسَانِي ٢٧ يَفْقَهُوا قَوْلِي ٢٨ وَأَجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ٢٩ هَٰزُونَ أَيُّهُ ٣٠ أَشَدُّ بِهِ أَرَى ٣١ وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي ٣٢ كَيْ نَسْجَحَكَ كَثِيرًا ٣٣ وَنَذْرَكَ كَثِيرًا ٣٤ إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا ٣٥

قوله تعالى: ﴿أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ لَمَّا آتَسَهُ بِالْعَصَا وَالْيَدِ، وَأَرَاهُ مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ رَسُولٌ، أَمْرَهُ بِالذَّهَابِ إِلَى فِرْعَوْنَ، وَأَنْ يَدْعُوهُ. و«طغى» معناه: عصى وتكبر، وكفر وتجبر، وجاوز الحد.

﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي . وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي . وَأَحْلِلْ عُقْدَةَ مِنِّ لِسَانِي . يَفْقَهُوا قَوْلِي . وَأَجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي . هَٰزُونَ أَيُّهُ . أَشَدُّ بِهِ أَرَى . وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي . كَيْ نَسْجَحَكَ كَثِيرًا . وَنَذْرَكَ كَثِيرًا﴾ طلب الإعانة لتبليغ الرسالة.

ويقال: إن الله أعلمه بأنه ربط على قلب فرعون وأنه لا يؤمن، فقال موسى: يا رب، فكيف تأمرني أن آتبه وقد ربطت على قلبه؟ فاتاه ملك من خزان الريح فقال: يا موسى، انطلق إلى ما أمرك الله به. فقال موسى عند ذلك: ﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾، أي: وسِّعه، ونوره بالإيمان والنبوة ﴿وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي﴾ أي: سهِّل عليَّ ما أمرتني به من تبليغ الرسالة إلى فرعون^(٢). «وَأَحْلِلْ عُقْدَةَ مِنِّ لِسَانِي» يعني العُجْمَةَ التي كانت فيه من جمره النار التي ألقاها^(٣) في فيه وهو طفل.

قال ابن عباس: كانت في لسانه رُتَّة^(٤). وذلك أنه كان في حجر فرعون ذات يوم

(١) تفسير البغوي ٣/٢١٥.

(٢) الوجيز للواحدى ١٧/٢ على هامش مراح لبيد.

(٣) في (د) و(م): أطفأها.

(٤) الكشاف ٢/٥٣٥، والرُّتَّة: العُجْمَةُ في الكلام. الصحاح (رتت).

وهو طفل، فلطمه لطمَةً، وأخذ بلحيته فنتفها، فقال فرعون لآسية: هذا عدوي، فهاتِ الذبَّاحين، فقالت آسية: على رسلك، فإنه صبي لا يُفرِّق بين الأشياء. ثم أتت بطستين، فجعلت في أحدهما جمرًا، وفي الآخر جوهرًا، فأخذ جبريل بيد موسى فوضعها على النار، حتى رفع جمرَةً ووضعها في فيه على لسانه، فكانت تلك الرُّتَّة^(١).

وروي أنَّ يده احترقت، وأنَّ فرعون اجتهد في علاجها فلم تبرأ. ولما دعاه قال: إلى أيِّ ربِّ تدعوني؟ قال: إلى الذي أبرأ يدي وقد عجزت عنها. وعن بعضهم: إنما لم تبرأ يده؛ لثلاً يُدخِلها مع فرعون في قَصعة واحدة، فتتعقد بينهما حرمةُ المُؤاكلة.

ثم اختلف هل زالت تلك الرُّتَّة، فقيل: زالت؛ بدليل قوله: ﴿قَدْ أُوتِيَ سَوْكًا يَمْسُو﴾. وقيل: لم تزل كلها، بدليل قوله حكايةً عن فرعون: ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾. ولأنه لم يقل: أحل كل لساني، فدلَّ على أنه بقي في لسانه شيءٌ من الاستسماك. وقيل: زالت بالكُلِّيَّة، بدليل قوله: ﴿أُوتِيَ سَوْكًا﴾، وإنما قال فرعون: ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾؛ لأنه عرف منه تلك العقدة في الترية، وما ثبتَّ عنده أنَّ الآفة زالت^(٢).

قلت: وهذا فيه نظر؛ لأنه لو كان ذلك، لَمَا قال فرعون: ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ حين كلمه موسى بلسانٍ ذلِّقٍ فصيح. والله أعلم^(٣).

وقيل: إن تلك العقدة حدثت بلسانه عند مناجاة ربِّه، حتى لا يكلم غيره إلا بإذنه^(٤).

(١) أخرجه الطبري ١٦/٥٣ - ٥٤ عن سعيد بن جبيرة وابن أبي نجيح ومجاهد والسدي.

(٢) الكشاف ٢/٥٣٥.

(٣) ذكر ابن كثير رحمه الله في تفسيره ٤/١٣٠ أن اتهام فرعون لموسى عليه السلام بأنه لا يكاد يُبين إنما هو افتراءٌ من فرعون، حملة على ذلك الكفر والعناد، وليس عدم الإفصاح من موسى بسبب لشغته بالجمرة.

(٤) النكت والعيون ٣/٤٠١.

﴿يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾ أي: يعلموا ما أقوله لهم ويفهموه. والفقّه في كلام العرب: الفهم. قال أعرابي لعيسى بن عمر: شهدت بالفقه. تقول منه: فقه الرجل، بالكسر، وفلان لا يفقه ولا ينقه^(١)، وأفقهتكَ الشيء، ثم خُصَّ به علمُ الشريعة، والعالم به فقيه. وقد فقهه - بالضم - فقاهاه، وفقَّهه الله. وتفقَّه: إذا تعاطى ذلك، وفاقهته: إذا باحثته في العلم؛ قاله الجوهري^(٢).

والوزير: المؤازر، كالأكيل: المؤاكل؛ لأنه يحمل عن السلطان وزره، أي: ثقله^(٣).

وفي كتاب النَّسائي^(٤) عن القاسم بن محمد: سمعتُ عمَّتي^(٥) تقول: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ وَلِيَ مِنْكُمْ عَمَلًا فَأَرَادَ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا، جَعَلَ لَهُ وَزِيرًا صَالِحًا، إِنْ نَسِيَ ذَكَرَهُ، وَإِنْ ذَكَرَ أَعَانَهُ». ومن هذا المعنى قوله عليه الصلاة والسلام: «مَا بَعَثَ اللَّهُ مِنْ نَبِيٍّ وَلَا اسْتَخْلَفَ مِنْ خَلِيفَةٍ إِلَّا وَلَهُ بَطَانَتَانِ^(٦): بَطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَحْضُرُهُ عَلَيْهِ، وَبَطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالشَّرِّ وَتَحْضُرُهُ عَلَيْهِ، فَالْمَعْصُومُ مَنْ عَصَمَهُ اللَّهُ» رواه البخاري^(٧).

فسأل موسى الله تعالى أن يجعل له وزيراً، إلا أنه لم يُرد أن يكون مقصوراً على الوزارة حتى يكون^(٨) شريكاً له في النبوة، ولولا ذلك لجاز أن يستوزره من غير مسألة.

(١) أي: لا يفهم. الصحاح (نقه).

(٢) في الصحاح (فقه).

(٣) الصحاح (وزر).

(٤) المجتبى ١٥٩/٧، والكبرى (٧٧٧٩)، وهو عند أحمد (٢٤٤١٤)، وأبي داود (٢٩٣٢).

(٥) هي السيدة عائشة رضي الله عنها.

(٦) في (م): إلا كانت له بطانتان.

(٧) برقم (٦٦١١) و(٧١٩٨)، وسلف ٢٧٤/٥.

(٨) في النسخ: لا يكون، والمثبت من النكت والعيون ٤٠١/٣، والكلام منه.

وَعَيْنٌ فَقَالَ: «هَارُونَ». وانتصب على البدل من قوله: «وَزَيْرًا». أو يكون منصوباً بـ «اجعل» على التقديم والتأخير، والتقدير: واجعل لي هارون أخي وزيراً^(١).

وكان هارون أكبر من موسى بسنة، وقيل: بثلاث^(٢).

﴿أَشَدُّ بِهِ أَزْرِي﴾ أي: ظهري. والأزر: الظهر من موضع الحَقْوِين، ومعناه:

تقوى به نفسي^(٣). والأزر: القوّة، وآزره: قوّاه. ومنه قوله تعالى: ﴿فَتَأْزِرُهُ فَاسْتَلْظَمَ﴾ [الفتح: ٢٩]. وقال أبو طالب:

أليس أبونا هاشمٌ شدَّ أزره وأوصى بنيه بالطّعان وبالضّرْبِ^(٤)

وقيل: الأزر: العون. أي: يكون عوناً يستقيم به أمري. قال الشاعر:

شدتُ به أزرِي وأيقنْتُ أَنَّهُ أخو الفقر مَن ضاقت عليه مذهبُهُ^(٥)

وكان هارون أكثر لحمًا من موسى، وأتمّ طولاً، وأبيض جسمًا، وأفصح

لساناً^(٦). ومات قبل موسى بثلاث سنين^(٧). وكان في جبهة هارون شامة، وعلى أرنبة

أنف موسى شامة، وعلى طرف لسانه شامة^(٨)، ولم تكن على أحد قبّله، ولا تكون

على أحد بعده، وقيل: إنها كانت سبب العقدة التي في لسانه. والله أعلم.

﴿وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي﴾ أي: في النبوّة وتبليغ الرسالة^(٩). قال المفسّرون: كان هارون

(١) إعراب القرآن للنحاس ٣/٣٨، ومشكل إعراب القرآن لمكي ٢/٤٦٣.

(٢) النكت والعيون ٣/٤٠١، وتفسير البغوي ٢/١١٣.

(٣) النكت والعيون ٣/٤٠١، والحقو: الخَصْر. الصحاح (حقو).

(٤) السيرة النبوية ١/٣٥٣، والنكت والعيون ٣/٤٠١.

(٥) النكت والعيون ٣/٤٠١ دون نسبة.

(٦) تفسير البغوي ٣/٢١٦، وعرائس المجالس ص ١٧٤ بنحوه.

(٧) أخرجه الحاكم ٢/٥٧٨ عن وهب بن منبه.

(٨) النكت والعيون ٣/٤٠١.

(٩) تفسير البغوي ٣/٢١٦.

يومئذ بمصر، فأمر الله موسى أن يأتي هو هارون^(١)، وأوحى إلى هارون وهو بمصر أن يتلقى موسى، فتلقاه إلى مرحلة، وأخبره بما أوحى إليه، فقال له موسى: إن الله أمرني أن آتي فرعون، فسألت ربي أن يجعلك معي رسولا.

وقرأ العامة: ﴿أَخِي أَشْدُّذُ﴾ بوصل الألف، «وَأَشْرِكُهُ» بفتح الهمزة على الدعاء، أي: اشدد يا ربُّ أزرِي، وأشركه معي في أمري. وقرأ ابن عامر ويحيى بنُ الحارث وأبو حنيفة والحسنُ وعبد الله بنُ أبي إسحاق: ﴿أَشْدُّذُ﴾ بقطع الألف، «وَأَشْرِكُهُ» بضم الألف^(٢)، أي: أنا أفعل ذلك، أشدد أنا به أزرِي «وَأَشْرِكُهُ» أنا يا ربُّ ﴿فِي أَمْرِي﴾.

قال النحاس^(٣): جعلوا الفعلين في موضع جزمٍ جواباً لقوله: ﴿اجْعَلْ لِي وَزِيْرًا﴾، وهذه القراءة شاذةٌ بعيدة؛ لأن جوابٍ مثل هذا إنما يتخرَّج بمعنى الشرط والمجازاة؛ فيكون المعنى: إن تجعل لي وزيراً من أهلي أشدُّذُ به أزرِي، وأشركه في أمري. وأمره النبوة والرُّسالة، وليس هذا إليه ﷺ فيخبر به، إنما سأل الله عزَّ وجلَّ أن يُشركه معه في النبوة.

وَفَتَحَ الْيَاءَ مِنْ ﴿أَخِي﴾ ابْنُ كَثِيرٍ وَأَبُو عَمْرٍو^(٤).

﴿كَيْ شَيْعَكَ كَثِيْرًا﴾ قيل: معنى «نسبحك»: نصلي لك^(٥). ويحتمل أن يكون التسبيح باللسان. أي: ننزهك عما لا يليق بجلالك. و«كثيْرًا» نعتٌ لمصدر محذوف.

(١) في النسخ الخطية: هو وهارون، والمثبت من (م). والكلام بنحوه في عرائس المجالس ص ١٨٣-١٨٤.

(٢) قراءة ابن عامر في السبعة ص ٤١٨، والتيسير ص ١٥١. وقراءة الحسن وابن أبي إسحاق في إعراب القرآن للنحاس ٣/٣٨. ويحيى بن الحارث: هو الإمام الكبير أبو عمرو الغساني، الذماري، ثم الدمشقي، إمام جامع دمشق. قرأ على ابن عامر. السير ٦/١٨٩.

(٣) في إعراب القرآن ٣/٣٨.

(٤) السبعة ص ٤١٨، والتيسير ص ٦٧ - ٦٨.

(٥) الوسيط للواحد ٣/٢٥٥، وتفسير أبي الليث ٢/٣٤٠.

ويجوز أن يكون نعتاً لوقت (١). والإدغام حسن، وكذا ﴿وَتَذَكَّرْ كَثِيرًا﴾ (٢).

﴿إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا﴾ قال الخطّابي: البصير: المبصر، والبصير: العالم بخفيات الأمور، فالمعنى؛ أي: عالماً بنا، ومُدركاً لنا في صغرنا فأحسنت إلينا، فأحسِن إلينا كذلك يا رب.

قوله تعالى: ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَمُوسَى﴾ (٣) ﴿وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى﴾ (٤) إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مَا يُوحَى (٥) أَنْ أَقْدِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَأَقْدِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَمْ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مَنِيَّ وَلِتُصَنَعَ عَلَيَّ عَيْتٌ (٦) إِذْ نَسِيَ أَخْطَاكَ فَنَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُمْ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمَمِكَ كَيْ تَفَرَّ عَيْنَهَا وَلَا تَحَزْنَ وَقُلْتِ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَنَّكَ فَتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَيَّ قَدْرٍ يَمُوسَى (٧) وَأَصْطَفَيْنَاكَ لِنَفْسِي (٨) أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِتَابِعِي وَلَا نَبِيًّا فِي ذِكْرِي (٩) ﴿

قوله تعالى: ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَمُوسَى﴾ لما سأله شرح الصدر وتيسير الأمر إلى ما ذكر، أجب سؤله، وآتاه طلبته ومرغوبه (٣). والسؤل: الطلبة، فُعل بمعنى مفعول، كقولك: حُبز بمعنى مخبوز، وأُكل بمعنى مأكول (٤).

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى﴾ أي: قبل هذه، وهي (٥) حفظه سبحانه له من شر الأعداء في الابتداء، وذلك حين الذبح. والله أعلم. والمن: الإحسان والإفضال. وقوله: ﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَمْرًا مَّا يُوحَى﴾ قيل: «أوحينا»: ألهمنا (٦). وقيل:

(١) يعني لوقت محذوف، أي: وقتاً كثيراً. ينظر الدر المصون ٣٤/٨.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٣/٣٩.

(٣) تفسير الطبري ٥٦/١٦، والمحور الوجيز ٤٣/٤ بنحوه.

(٤) الكشاف ٥٣٦/٢.

(٥) في النسخ الخطية: وهو، والمثبت من (م).

(٦) الوسيط للواحد ٢٠٥/٣، وتفسير البغوي ٢١٧/٣.

أوحى إليها في النوم^(١). وقال ابن عباس رضي الله عنهما: أوحى إليها كما أوحى إلى النبيين.

﴿أَنْ أَقْدِفِيهِ فِي التَّابُوتِ﴾ قال مقاتل: مؤمن آل فرعون هو الذي صنع التابوت ونَجَرَهُ، وكان اسمه حِرْقِيل^(٢). وكان التابوت من جُمَيْر^(٣). ﴿فَأَقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ﴾ أي: اطرchie في البحر: نهر النيل.

﴿فَلْيُلْقِهِ﴾ قال الفراء^(٤): ﴿فَأَقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ﴾ أمرٌ، وفيه معنى المُجازاة، أي: اقدفيه، يُلْقِهِ اليمُّ. وكذا قوله: ﴿اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَكُمْ﴾ [العنكبوت: ١٢].
﴿يَأْخُذُهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَكَ﴾ يعني فرعون، فاتخذت تابوتاً، وجعلت فيه نِطْعاً^(٥)، ووضعت فيه موسى، وقَيَّرت^(٦) رأسه وخصاصه - يعني: شقوقه - ثم ألقته في النيل، وكان يَشْرَعُ منه نهرٌ كبير في دار فرعون، فساقه الله في ذلك النهر إلى دار فرعون.

وروي أنها جعلت في التابوت قطناً محلوجاً، فوضعت فيه وقَيَّرته وجَصَّصته، ثم ألقته في اليمِّ؛ وكان يَشْرَعُ منه إلى بستان فرعون نهرٌ كبير، فبينما هو جالسٌ على رأس بركةٍ مع آسية إذا بالتابوت، فأمر به فأخرج، ففتح، فإذا صبيٌّ أصبح الناس، فأحبه عدوُّ الله حباً شديداً لا يتمالك أن يصبر عنه^(٧). وظاهر القرآن يدلُّ على أن البحر ألقاه بساحله، وهو شاطئه، فرأى فرعون التابوت بالساحل، فأمر بأخذه. ويحتمل أن يكون إلقاء اليمِّ بموضعٍ من الساحل، فيه فوهة نهر فرعون، ثم أذاه النهر إلى حيث^(٨)

(١) الكشاف ٥٣٦/٢، والمحرر الوجيز ٤٣/٤.

(٢) تفسير الرازي ٥٢/٢٢.

(٣) ضرب من الشجر يشبه التين. اللسان (جمز).

(٤) في معاني القرآن ١٧٩/٢، ونقله المصنف عنه بواسطة إعراب القرآن للنحاس ٣٩/٣.

(٥) النطع: بساط من الأدم. القاموس (نطع).

(٦) أي: طلته بالقار. وهو شيء أسود يُطلَى به السفن والإبل، أو هو الزفت. القاموس (قير).

(٧) تفسير البغوي ٢١٧/٣، وزاد المسير ٢٨٤/٥ بنحوه.

(٨) في (د) وف): جنب، والمثبت من باقي النسخ، وهو الموافق لما في الكشاف ٥٣٦/٢، والكلام منه.

البركة. والله أعلم.

وقيل: وجدته ابنة فرعون وكان بها برص، فلما فتحت التابوت شفيت.

وروي أنهم حين التقطوا التابوت، عالجوا فتحه فلم يقدرُوا عليه، وعالجوا كسرَه فأعياهم، فندت آسيةُ فرأت في جوف التابوتِ نوراً، فعالجته ففتحته، فإذا صبيُّ نورُه بين عينيه، وهو يَمصُّ إبهامه لبناً، فأحبُّوه. وكانت لفرعون بنتٌ برصاء، وقال له الأطباء: لا تبرأ إلا من قِبَل البحر، يوجد فيه شبهُ إنسانٍ دواؤها ريقه، فلطَّخت البرصاءُ برصها بريقه فبرئت. وقيل: لَمَّا نظرت إلى وجهه برئت^(١). والله أعلم.

وقيل: وجدته جوارٍ لامرأة فرعون، فلما نظر إليه فرعون، فرأى صبيّاً من أصبح الناس وجهاً، فأحبَّه فرعون، فذلك قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي﴾. قال ابن عباس: أحبه الله وحبه إلى خلقه. وقال عطية^(٢): جعل عليه مسحةً من جمالٍ لا يكاد يصبر عنه من رآه. وقال قتادة: كانت في عيني موسى ملاحاً؛ ما رآه أحدٌ إلا أحبه وعشقه^(٣). وقال عكرمة: المعنى: جعلت فيك حسناً وملاحاً، فلا يراك أحدٌ إلا أحبَّك^(٤).

وقال الطبري: المعنى: وألقيت عليك رحمتي. وقال ابن زيد: جعلتُ من رآك أحبَّك، حتى أحبَّك فرعون، فسلمت من شره، وأحبَّتك آسيةُ بنتُ مزاحم فتبتت^(٥).

﴿وَلِنُصَنِّعَ عَلَيَّ عَيْنِي﴾ قال ابن عباس: يريد: إنَّ ذلك بعيني حيث جعلت في التابوت، وحيث ألقى التابوت في البحر، وحيث التقطك جوارٍ امرأة فرعون؛ فأردن أن يفتح التابوت لينظرن ما فيه، فقالت منهنَّ واحدة: لا تفتحنه حتى تأتيَن به

(١) الكلام بنحوه في عرائس المجالس ص ١٧٢ .

(٢) في (م): ابن عطية.

(٣) تفسير البغوي ٢١٧/٣ ، وزاد المسير ٢٨٤/٥ .

(٤) أخرجه الطبري ٥٨/١٦ .

(٥) النكت والعيون ٤٠٢/٣ .

سَيِّدَتَكُنَّ، فهو أحظى لَكُنَّ عندها، وأجدرُ بالألَّا تَتَّهَمُكُنَّ بأنكنَّ وجدتنَّ فيه شيئاً فأخذتنَّه لأنفسكنَّ. وكانت امرأةُ فرعونَ لا تشرب من الماء إلا ما استقىنه أولئك الجواري. فذهبنَ بالتابوت إليها مُغْلَقاً، فلما فتحته رأث صبيّاً لم ير مثله قط، وألقيَ عليها محبَّته، فأخذته، فدخلت به على فرعون، فقالت له: ﴿قُرْتُ عَيْنِي لِي وَكَأَنَّ﴾ قال لها فرعون: أَمَا لِكَ فَنَعَم، وأما لي فلا. فبلغنا أن رسولَ الله ﷺ قال: «لو أن فرعون قال: نَعَمْ، هو قُرَّةُ عَيْنِي لِي وَلِكَ، لَأَمِنَ وَصَدَّقَ»؛ فقالت: هَبْ لِي وَلَا تَقْتُلْهُ؛ فوهبه لها^(١). وقيل: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ أي: تُرَبَّى وَتُغْذَى عَلَى مَرَأَى مِنِّي؛ قاله قتادة^(٢).

قال النحاس: وذلك معروفٌ في اللغة، يقال: صنعت الفرسَ وصنَّعته^(٣): إذا أحسنت القيامَ عليه. والمعنى: «ولتصنع على عيني» فعلتُ ذلك. وقيل: اللام متعلِّقةٌ بما بعدها من قوله: ﴿إِذ تَمْشِي أُمَّتُكَ﴾ على التقديم والتأخير، فـ «إِذ» ظرفٌ «لتصنع». وقيل: الواو في «ولتصنع» زائدة. وقرأ ابنُ القَعْقَاعِ: «وَلِتُصْنَعِ» بإسكان اللام على الأمر^(٤)، وظاهره للمخاطب، والمأمورُ غائب.

وقرأ أبو نُهَيْكٍ: «وَلِتُصْنَعِ» بفتح التاء^(٥). والمعنى: ولتكونَ حركتك وتصرُّفك بمشيئتي وعلى عينِ مني. ذكره المهدوي^(٦).

﴿إِذ تَمْشِي أُمَّتُكَ﴾ العامل في «إِذ تَمْشِي»: «أَلْقَيْتُ» أو: «تُصْنَعِ»، ويجوز أن يكون بدلاً من «إِذ أَوْحَيْنَا». وأخته اسمُها مريم^(٧).

(١) أخرجه بنحوه مطولاً النسائي في الكبرى (١١٢٦٣)، والطبري ١٦/٦٤ - ٦٩.

(٢) أخرجه الطبري ١٦/٥٩.

(٣) في (ظ): واصطنعته، وفي (م): وأصنعته، والمثبت من باقي النسخ.

(٤) النشر ٢/٣٢٠. وابن القَعْقَاعِ: هو أبو جعفر من العشرة.

(٥) تفسير الطبري ١٦/٦٠.

(٦) نسبة ابن عطية في المحرر الوجيز ٤/٤٤، لثعلب.

(٧) الكشاف ٢/٥٣٧.

﴿فَقَوْلُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ﴾ وذلك أنها خرجت متعرفة خبره، وكان موسى لما وهبه فرعون لامراته طلبت له المراضع، وكان لا يأخذ من أحد، حتى أقبلت أخته، فأخذته ووضعتة في حجرها وناولته ثديها، فمصّه وفرح به. فقالوا لها: تُقيمين عندنا، فقالت: إنه لا لبن لي، ولكن أدلكم على من يكفله وهم له ناصحون. قالوا: ومن هي؟ قالت: أمي: فقالوا: لها لبن؟ قالت: لبن أخي هارون^(١). وكان هارون أكبر من موسى بسنة. وقيل: بثلاث. وقيل: بأربع، وذلك أن فرعون رجم بني إسرائيل فرغ عنهم القتل أربع سنين، فولد هارون فيها؛ قاله ابن عباس. فجاءت الأم فقبل ثديها. فذلك قوله تعالى: ﴿فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ﴾. وفي مصحف أبي: «فرددناك».

﴿كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ﴾ وروى عبد الحميد عن ابن عامر: «كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا» بكسر القاف^(٢).

قال الجوهري: وقررت به عيناً، وقررتُ به فُرَّةٌ وفُروراً فيهما، ورجلٌ قريُّ العين، وقد قرَّت عينُه تَقَرَّ وتَقَرَّ: نقيض سَخُنْتُ. وأقرَّ اللهُ عينه، أي: أعطاه حتى تَقَرَّ، فلا تطمَحُ إلى مَنْ هو فوقه، ويقال: حتى تَبْرُدَ ولا تَسْخُنْ. فللسُرور دَمعةٌ باردة، وللحزن دَمعةٌ حارة. وقد تقدّم هذا المعنى في «مريم»^(٣). «وَلَا تَحْزَنَ» أي: على فقدك.

﴿وَقَلَّتْ نَفْسًا﴾ قال ابن عباس: قتل قَيْطِيًّا كافرًا. قال كعب: وكان إذ ذاك ابن اثنتي عشرة سنة^(٤). في «صحيح» مسلم^(٥): وكان قتله خطأ؛ على ما يأتي.

(١) الوسيط للواحد ٢٠٦/٣، وزاد المسير ٢٨٥/٥.

(٢) ذكر ابن عطية في المحرر الوجيز ٤٥/٤ هذه القراءة دون نسبة، وقراءة ابن عامر المشهورة عنه كقراءة الجماعة وعبد الحميد هو ابن بكار، أبو عبد الله الكلاعي الدمشقي، نزيل بيروت. قرأ القرآن بحرف ابن عامر على أيوب بن تميم الداري. غاية النهاية لابن الجزري ٣٦٠/١، وتهذيب الكمال ٤٠٨-٤٠٩.

(٣) ٤٣٧/١٣ - ٤٣٨.

(٤) تفسير البغوي ٢١٧/٣ - ٢١٨.

(٥) برقم (٢٩٠٥): (٥٠) من قول سالم بن عبد الله بن عمر.

﴿فَتَجَبَّكَ مِنَ الْعَمَرِ﴾ أي: أَمَّاكَ من الخوف والقتل والحبس.

﴿وَفَنَّكَ فُؤُونًا﴾ أي: اختبرناك اختباراً حتى صَلَّحْتَ للرَّسالة. وقال قتادة: بلوناك

بلاءً. مجاهد: أخلصناك إخلاصاً^(١). وقال ابن عباس: اختبرناك بأشياء قبل الرسالة، أولها: حملته أمه في السنة التي كان فرعون يذبح فيها الأطفال، ثم إلقاؤه في اليم، ثم منعه من الرضاع إلا من ثدي أمه، ثم جرّه بلحية فرعون، ثم تناوله الجمره بدل الدرّة، فدرأ ذلك عنه قتل فرعون، ثم قتل القبطي وخروجه خائفاً يترقب، ثم رعايته^(٢) الغنم ليتدرّب بها على رعاية الخلق. فيقال: إنه ندّد له من الغنم جديّ فأتبعه أكثر النهار، وأتعبه، ثم أخذه فقبّله وضمّه إلى صدره، وقال له: أتعبتني وأتعبت نفسك؛ ولم يغضبّ عليه. قال وهب بن منبه: ولهذا اتّخذ الله كليماً. وقد مضى في «النساء»^(٣).

قوله تعالى: ﴿فَلَيْتَ سِينِ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ﴾ يريد: عشر سنين أتمّ الأجلين. وقال وهب: لبث عند شعيب ثماني وعشرين سنة، منها عشر مهرُ امرأته صفورا ابنة شعيب، وثمانية عشرة أقامها عنده حتى وُلِدَ له عنده^(٤).

وقوله: ﴿ثُمَّ جِئْتَنَا عَلَىٰ قَدَرٍ يَمْؤُؤُونَ﴾ قال ابن عباس وقاتادة وعبد الرحمن بن كيسان: يريد: موافقاً للنبوة والرسالة؛ لأن الأنبياء لا يُبعثون إلا أبناء أربعين سنة^(٥). وقال مجاهد ومقاتل: «على قدرٍ»: على وعد. وقال محمد بن كعب: ثم جئت على القدر الذي قدرْتُ لك أنك تجيء فيه^(٦). والمعنى واحد، أي: جئت في الوقت الذي

(١) أخرجهما الطبري ١٦/٧٠ - ٧١.

(٢) في النسخ الخطية: رعاية، والمثبت من (م). والخبر بنحوه في النكت والعيون ٣/٤٠٣.

(٣) ٧/٢٢٥.

(٤) تفسير البغوي ٣/٢١٨.

(٥) ذكره البغوي ٣/٢١٨ عن عبد الرحمن بن كيسان، وأخرجه الطبري ١٦/٧٢ عن قتادة مختصراً.

(٦) الوسيط للواحد ٣/٢٠٧، وتفسير البغوي ٣/٢١٨.

أردنا إرسالك فيه. وقال الشاعر^(١):

نال الخلافة أو كانت له قدراً كما أتى ربّه موسى على قدر

قوله تعالى: ﴿وَأَصْطَفَيْنَاكَ لِنَفْسِي﴾ قال ابن عباس: أي: اصطفتيك لوجيهي

ورسالي^(٢). وقيل: «أصْطَفَيْتُكَ»: خلقتك، مأخوذ من الصنعة^(٣). وقيل: قوّيتك

وعلمتُك لتبلغ عبادي أمري ونهبي.

﴿أَذْهَبَ أَنْتَ وَأُخُوكَ يَا بَنِي﴾ قال ابن عباس: يريد التسع الآيات التي أنزلت

عليه^(٤). ﴿وَلَا نَبِيَّ فِي ذِكْرِي﴾ قال ابن عباس: تضعفاً، أي: في أمر الرسالة؛ وقاله

قتادة^(٥). وقيل: تفتراً. قال الشاعر:

فما ونى محمدٌ مُذَّانٌ غَفَرَ له الإلهُ ما مضى وما غَبَرَ^(٦)

والونى: الضعفُ والفتور، والكلال والإعياء. وقال امرؤ القيس:

مِسْحٌ إِذَا مَا السَّابِحَاتُ عَلَى الْوَنَى أَثَرْنَ غُبَاراً بِالْكَدِيدِ الْمُرْكَلِ^(٧)

ويقال: ونيتُ في الأمر أني ونى وونياً، أي: ضعفت، فأنا وان، وناقّة وانية،

وأونيتها أنا: أضعفتها وأتعبتها. وفلانٌ لا يني كذا، أي: لا يزال^(٨). وبه فسّر أبانٌ

معنى الآية، واستشهد بقول طرفة:

(١) هو جرير، والبيت في ديوانه ٤١٦/١، وقد سلف ٣٢٥/١.

(٢) الوسيط للواحد ٢٠٧/٣.

(٣) النكت والعيون ٤٠٤/٣.

(٤) الوسيط للواحد ٢٠٧/٣، وتفسير البغوي ٢١٨/٣.

(٥) أخرجه الطبري ٧٣/١٦ - ٧٤ عنهما بنحوه.

(٦) النكت والعيون ٤٠٤/٣، والرجز للعجاج، وهو في ديوانه ص ٦٧، وسلف ٢٧٩/٩.

(٧) ديوان امرئ القيس ص ٢٠. قال شارحه: قوله: مسح، أي: يسح العذو سحاً مثل سح المطر، وهو

انصبابه. والسابحات: التي تبسط يديها إذا عدت فكانها تسبح. والكديد: ما غلظ من الأرض.

والمُرْكَل: الذي ركلته الخيل بحوافرها، فأثارت الغبار لصلابتها وشدة وقعها.

(٨) الصخاح (وني).

كَأَنَّ الْقُدُورَ الرَّاسِيَاتِ أَمَامَهُمْ قَبَابٌ بَنَوْهَا لَا تَنِي أَبَدًا تَغْلِي^(١)
وعن ابن عباس أيضاً: لَا تُبْطِنَا^(٢). وفي قراءة ابن مسعود: «وَلَا تَهِنَا فِي
ذِكْرِي»^(٣) وتحميدي وتمجيدي وتبليغ رسالتي.

قوله تعالى: ﴿أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ ﴿٤٤﴾ فَقَوْلَا لَهُ قَوْلًا لِّئِنَّا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ
يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾

فيه أربع مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿أَذْهَبَا﴾ قال في أول الآية: ﴿أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِمَا نَبِيَّ﴾
وقال هنا: «اذهبا»، فقيل: أمر الله تعالى موسى وهارون في هذه الآية بالتفوذ إلى
دعوة فرعون، وخاطب أولاً موسى وحده تشریفاً له^(٤)، ثم كرّر للتأكيد^(٥). وقيل: بين
بهذا أنه لا يكفي ذهاب أحدهما. وقيل: الأول: أمر بالذهاب إلى كل الناس،
والثاني: بالذهاب إلى فرعون^(٦).

الثانية: في قوله تعالى: ﴿فَقَوْلَا لَهُ قَوْلًا لِّئِنَّا﴾ دليل على جواز الأمر بالمعروف
والنهي عن المنكر، وأن ذلك يكون باللين من القول لمن معه القوة وضمنت له
العصمة، ألا تراه قال: ﴿فَقَوْلَا لَهُ قَوْلًا لِّئِنَّا﴾، وقال: ﴿لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ
وَأُرِي﴾^(٧) [الآية: ٤٦]. فكيف بنا، فنحن أولى بذلك. وحينئذ يحصل الأمر والنهي
على مرغوبه، ويظفر بمطلوبه، وهذا واضح.

(١) لم نقف عليه في ديوان طرفة والكلام بنحوه في النكت والعيون ٤٠٤/٣.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم كما في الدر المثور ٣٠١/٤.

(٣) المحرر الوجيز ٤٥/٤.

(٤) المحرر الوجيز ٤٥/٤.

(٥) الوسيط للواحد ٢٠٧/٣، وزاد المسير ٢٨٧/٥.

(٦) تفسير الرازي ٥٨/٢٢.

(٧) أحكام القرآن لابن العربي ١٢٤٨/٣.

الثالثة: واختلف الناس في معنى قوله: «لَيْنًا»؛ فقالت فرقة منهم الكلبي وعكرمة: معناه: كُنْيَاه. وقاله ابن عباس ومجاهد والسُّدِّي. ثم قيل: وكُنْيَتُهُ أَبُو الْعَبَّاس. وقيل: أبو الوليد. وقيل: أبو مُرَّة^(١)؛ فعلى هذا القولِ تَكْنِيَةُ الْكَافِرِ جَائِزَةٌ إِذَا كَانَ وَجِيهًا^(٢) ذَا شَرَفٍ، وَطُمِعَ بِإِسْلَامِهِ. وَقَدْ يَجُوزُ ذَلِكَ وَإِنْ لَمْ يُطْمَعْ بِإِسْلَامِهِ؛ لِأَنَّ الطَّمَعَ لَيْسَ بِحَقِيقَةٍ تُوجِبُ عَمَلًا. وَقَدْ قَالَ ﷺ: «إِذَا أَنْتَاكُمْ كَرِيمٌ قَوْمٍ فَأَكْرَمُوهُ»^(٣) وَلَمْ يَقُلْ: وَإِنْ طَمِعْتُمْ بِإِسْلَامِهِ^(٤)، وَمِنَ الْإِكْرَامِ دَعَاؤُهُ بِالْكُنْيَةِ^(٥). وَقَدْ قَالَ ﷺ لَصَفْوَانَ بْنِ أُمِيَّةَ: «إِنْزِلْ أَبَا وَهْبٍ»^(٦) فَكُنَّاهُ. وَقَالَ لِسَعْدٍ: «أَلَمْ تَسْمَعْ مَا يَقُولُ أَبُو حُبَابٍ؟» يَعْنِي عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي^(٧).

وَرُوي فِي الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ قَامَ عَلَى بَابِ فِرْعَوْنَ سَنَةً، لَا يَجِدُ رَسُولًا يُبَلِّغُ كَلَامًا حَتَّى خَرَجَ، فَجَرَى لَهُ مَا قَصَّ اللَّهُ عَلَيْنَا مِنْ ذَلِكَ، وَكَانَ ذَلِكَ تَسْلِيَةً لِمَنْ جَاءَ بَعْدَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي سِيرَتِهِمْ مَعَ الظَّالِمِينَ، وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ^(٨).

وقيل: قال له موسى: تؤمن بما جئتُ به، وتعبد ربَّ العالمين، على أنَّ لك شبابًا لا يَهْرَمُ إِلَى الْمَوْتِ، وَمُلْكًا لَا يُنْزَعُ مِنْكَ إِلَى الْمَوْتِ، وَيُنْسَأُ فِي أَجْلِكَ أَرْبَعُ مِائَةِ سَنَةٍ،

(١) الوسيط للواحد ٢٠٧/٣، وزاد المسير ٢٨٨/٥، وتفسير البغوي ٢١٩/٣.

(٢) في (خ) و(ف): وجهًا.

(٣) أخرجه ابن ماجه (٣٧١٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما. قال البوصيري: في إسناده سعيد بن مسلمة، وهو ضعيف.

(٤) في (م): في إسلامه.

(٥) التمهيد ٣٥/١٢.

(٦) أخرجه مالك في الموطأ ٥٤٣/٢ - ٥٤٤ عن الزهري مرسلًا. قال ابن عبد البر في التمهيد ١٩/١٢: هذا الحديث لا أعلمه يتصل من وجه صحيح، وهو حديث مشهور، معلوم عند أهل السير... وشهرة هذا الحديث أقوى من إسناده إن شاء الله.

(٧) قطعة من حديث طويل أخرجه البخاري (٦٢٠٧)، ومسلم (١٧٩٨)، وسلف ٣١٥/٢، وسعد: هو ابن عبادة.

(٨) أحكام القرآن لابن العربي ١٢٤٨/٣.

فإذا ميتٌ دخلت الجنة. فهذا القول اللّين.

وقال ابن مسعود: القول اللّين قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ أَنْ تَرْكِبَ وَأَهْدِيكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ﴾^(١) [النازعات: ١٨-١٩].

وقد قيل: إنّ القول اللّين قول موسى: يا فرعون، إنّ رسولاً ربك رب العالمين. فسماه بهذا الاسم؛ لأنه كان أحب إليه ممّا سواه^(٢) مما قيل له، كما يسمّى عندنا الملك ونحوه.

قلت: القول اللّين هو القول الذي لا خُسونة فيه، يقال: لان الشيء يلين ليناً، وشيء لين، ولين مخفّف منه، والجمع: أَلِيناء^(٣). فإذا كان موسى أمر بأن يقول لفرعون قولاً ليناً، فمن دونه أحرى بأن يقتدي بذلك في خطابه، وأمره بالمعروف في كلامه. وقد قال تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣]. على ما تقدّم في «البقرة» بيانه^(٤)، والحمد لله.

الرابعة: قوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ معناه: على رجائكما وطمعكما. فالتوقع فيها إنما هو راجع إلى جهة البشر^(٥)؛ قاله كُبراء النحويين؛ سيبويه وغيره^(٦). وقد تقدّم في أوّل «البقرة»^(٧).

قال الزجاج^(٨): «لعل» لفظة طمع وترجّح، فخاطبهم بما يعقلون. وقيل: «لعل»

(١) الوسيط للواحدى ٢٠٧/٣، وتفسير البغوي ٢١٩/٣. وينظر تفسير الرازي ٥٨/٢٢.

(٢) قوله: مما سواه، من (م).

(٣) الصحاح (لين).

(٤) ٢٣٣/٢.

(٥) المحرر الوجيز ٤٦/٤.

(٦) معاني القرآن للزجاج ٣٥٧/٣.

(٧) ٣٤٢/١.

(٨) في معاني القرآن ٣٥٧/٣.

ها هنا بمعنى الاستفهام، والمعنى: فانظر هل يتذكّر^(١). وقيل: هي بمعنى كي^(٢).
وقيل: هو إخبارٌ من الله تعالى عن قول هارونَ لموسى: لعله يتذكّر أو يخشى؛ قاله
الحسن.

وقيل: إنّ لعل وعسى في جميع القرآن لِمَا قد وقع. وقد تذكّر فرعونُ حين أدركه
الغرقُ وخشي فقال: ﴿ءَأَمِنْتُ أَنَّهُ لَآ إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَأَمَّتَ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾
[يونس: ٩٠]. ولكن لم يَنْفَعه ذلك؛ قاله أبو بكر الورّاق^(٣) وغيره.

وقال يحيى بنُ معاذ في هذه الآية: هذا رِفْقُك بمن يقول: أنا الإله، فكيف رِفْقُك
بمن يقول: أنت الإله^(٤)!؟

وقد قيل: إنّ فرعون رَكَنَ إلى قول موسى لِمَا دعاه، وشاور امرأته فآمنت،
وأشارت عليه بالإيمان، فشاور هَامَانَ فقال: لا تفعل، بعد أن كنت مالكاً تصيرُ
مملوكاً، وبعد أن كنت ربّاً تصير مربوباً^(٥). وقال له: أنا أردك شاباً، فحَضَبَ لحيته
بالسّواد، فهو أوّل مَنْ خَضَبَ^(٦).

قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطَّغَى ﴿٤٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطَّغَى﴾ قال الضحّاك:
«يُفْرِطُ»: يَعْجَل. قال: «وَيَطَّغَى»: يعتدي. النَّحَّاسُ^(٧): التقدير: نخاف أن يفرط علينا

(١) ردّ السمين في الدر ٤٣/٨: كونها استفهامية وقال: يستحيل الاستفهام في حق الله تعالى كما يستحيل
الترجي.

(٢) الوسيط للواحدى ٢٠٨/٣، وزاد المسير ٢٨٨/٥.

(٣) ذكره عنه البغوي ٢١٩/٣.

(٤) أخرجه الواحدى في الوسيط ٢٠٨/٣.

(٥) الوسيط للواحدى ٢٠٧/٣، وتفسير البغوي ٢١٩/٣.

(٦) أورده السيوطي في الجامع الصغير (فيض القدير ٩٣/٣) وعزاه للديلمي في الفردوس، عن أنس ؓ،
ورمز لضعفه.

(٧) في إعراب القرآن ٣٩/٣ - ٤٠.

منه أمر، أي: يبدر^(١). قال الفرّاء^(٢): فَرَطٌ مِنْهُ أَمْرٌ^(٣)؛ قال: وأفرط: أسرف. قال: وفَرَطٌ: ترك.

وقراءة الجمهور: «يَفْرُطُ» بفتح الياءِ وضمِّ الراءِ، ومعناه: يَعْجَلُ وَيُبَادِرُ بِعَقُوبَتِنَا. يقال: فَرَطَ مَنِّي أَمْرٌ، أي: بدر، ومنه: الفارطُ في الماء: الذي يتقدّم القومَ إلى الماء^(٤). أي: يُعَذِّبُنا عَذَابَ الْفَارِطِ فِي الذَّنْبِ، وهو المتقدّم فيه؛ قاله المبرد^(٥).

وقرأت فرقةٌ منهم ابنُ محيِصنٍ: «يَفْرُطُ» بفتح الياءِ والراءِ؛ قال المهدوي: ولعلّها لغة. وعنه أيضاً: بضم الياءِ وفتحِ الراءِ^(٦)، ومعناها: أن يَحْمَلَهُ حَامِلٌ عَلَى التَّسْرُعِ إِلَيْنَا. وقرأت طائفة: «يُفْرِطُ» بضم الياءِ وكسر الراءِ؛ وبها قرأ ابنُ عباسٍ ومجاهدٌ وعكرمة وابن محيِصن أيضاً. ومعناه: يشطط^(٧) في أذيتنا^(٨)، قال الراجز:

قد أفرط العِلْجُ علينا وعَجَل^(٩)

قوله تعالى: ﴿قَالَ لَا حَاقًا إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ ﴿٤٦﴾

فيه مسألتان:

الأولى: قال العلماء: لَمَّا لَحِقَهُمَا مَا يَلْحَقُ الْبَشَرَ مِنَ الْخَوْفِ عَلَى أَنْفُسِهِمَا،

(١) قوله: أي: يبدر، ليس في (م).

(٢) معاني القرآن ٢/١٨٠.

(٣) بعدها في (م): أي: بدر. والمثبت موافق لأعراب القرآن للنحاس ٣/٤٠، والكلام منه.

(٤) المحرر الوجيز ٤/٤٦.

(٥) ذكره عنه الماوردي في النكت والعيون ٣/٤٠٥.

(٦) المحتسب ٢/٥٢.

(٧) في (د) و(م): يشطط.

(٨) المحرر الوجيز ٤/٤٦. ولم ينسب القراءة لأحد.

(٩) النكت والعيون ٣/٤٠٥، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/٢٠، وتفسير الطبري ١٦/٧٦، وعندهما:

فرطه بدل: أفرط.

عَرَفَهُمَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَنْ فَرَعُونَ لَا يَصِلُ إِلَيْهِمَا، وَلَا قَوْمَهُ. وَهَذِهِ الْآيَةُ تَرُدُّ عَلَى مَنْ قَالَ: إِنَّهُ لَا يَخَافُ؛ وَالْخَوْفُ مِنَ الْأَعْدَاءِ سُنَّةُ اللَّهِ فِي أَنْبِيَائِهِ وَأَوْلِيَائِهِ مَعَ مَعْرِفَتِهِمْ بِهِ وَثِقَتِهِمْ. وَلَقَدْ أَحْسَنَ الْبَصْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ حِينَ قَالَ لِلْمَخْبِرِ عَنْ عَامِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ (١) - أَنَّهُ نَزَلَ مَعَ أَصْحَابِهِ فِي طَرِيقِ الشَّامِ عَلَى مَاءٍ، فَحَالَ الْأَسَدُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْمَاءِ، فَجَاءَ عَامِرٌ إِلَى الْمَاءِ فَأَخَذَ مِنْهُ حَاجَتَهُ، فَقِيلَ لَهُ: قَدْ خَاطَرْتَ بِنَفْسِكَ، فَقَالَ: لِأَنَّ تَخْتَلَفَ الْأَسَنَّةُ فِي جَوْفِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَعْلَمَ اللَّهُ أَنِّي أَخَافُ شَيْئًا سِوَاهُ -: قَدْ خَافَ مَنْ كَانَ خَيْرًا مِنْ عَامِرٍ؛ مُوسَى ﷺ حِينَ قِيلَ لَهُ: ﴿إِنَّكَ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ . فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: ٢٠-٢١]، وَقَالَ: ﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ [القصص: ١٨]، وَقَالَ حِينَ أَلْقَى السَّحْرَةَ حِبَالَهُمْ وَعَصِيَّتَهُمْ: ﴿فَأَوْحَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةَ مُوسَىٰ أَنَّا لَا نَخَفُ لَإِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَىٰ﴾ [طه: ٦٧-٦٨].

قلت: ومنه حَفَرُ النَّبِيِّ ﷺ الْخَنْدَقَ حَوْلَ الْمَدِينَةِ تَحْصِينًا لِلْمُسْلِمِينَ وَأَمْوَالِهِمْ، مَعِ كَوْنِهِ مِنَ التَّوَكُّلِ وَالثِّقَةِ بِرَبِّهِ بِمَحَلٍّ لَمْ يَبْلُغْهُ أَحَدٌ، ثُمَّ كَانَ مِنْ أَصْحَابِهِ مَا لَا يَجْهَلُهُ أَحَدٌ مِنْ تَحْوُلِهِمْ عَنْ مَنَازِلِهِمْ، مَرَّةً إِلَى الْحَبْشَةِ، وَمَرَّةً إِلَى الْمَدِينَةِ؛ تَخَوُّفًا عَلَى أَنْفُسِهِمْ مِنْ مُشْرِكِي مَكَّةَ، وَهَرَبًا بِدِينِهِمْ أَنْ يَفْتَنُوهُمْ عَنْهُ بِتَعْذِيبِهِمْ. وَقَدْ قَالَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسَ لِعِمْرَانَ لَمَّا قَالَ لَهَا: سَبَقْنَاكُمْ بِالْهَجْرَةِ (٢)؛ فَنَحْنُ أَحَقُّ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْكُمْ: كَذَبْتَ يَا عَمْرُؤُ؛ كَلَّا وَاللَّهِ، كُنْتُمْ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، يُطْعِمُ جَائِعَكُمْ، وَيَعْظُمُ جَاهِلَكُمْ، وَكُنَّا فِي دَارٍ - أَوْ أَرْضٍ - الْبُعْدَاءِ الْبُعْضَاءِ فِي الْحَبْشَةِ؛ وَذَلِكَ فِي اللَّهِ وَفِي رَسُولِهِ؛ وَإِيْمُ اللَّهِ، لَا أَطْعَمُ طَعَامًا وَلَا أَشْرِبُ شَرَابًا حَتَّىٰ أَذْكَرَ مَا قُلْتَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَنَحْنُ كُنَّا نُؤَدِّي وَنُخَافُ. الْحَدِيثُ بِطَوْلِهِ خَرَّجَهُ مُسْلِمٌ (٣).

(١) وهو عامر بن عبد قيس، أبو عبد الله، ويقال: أبو عمرو التميمي العنبري البصري، الزاهد. كان ثقة من عبّاد التابعين. قيل: توفي في زمن معاوية ﷺ. السير ١٥/٤. وقصته مذكورة بمعناها في تعظيم قدر الصلاة للمروزي (٨٣٤).

(٢) في النسخ الخطية: للهجرة.

(٣) برقم (٢٥٠٣) من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ.

قال العلماء: فالمخبر عن نفسه بخلاف ما طبع الله نفوس بني آدم كاذب؛ وقد طبعهم على الهرب مما يضرها ويؤلمها ويثقلها. قالوا: ولا ضاراً أضرم من سبُع عاد في فلاة من الأرض على من لا آله معه يدفعه بها عن نفسه، من سيف أو رمح أو نبل أو قوس، وما أشبه ذلك.

الثانية: قوله تعالى: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ﴾ يريد: بالنصر والمعونة والقدرة على فرعون. وهذا كما تقول: الأمير مع فلان، إذا أردت أنه يحميه. وقوله: ﴿أَسْمِعْ وَأَرْئِ﴾ عبارة عن الإدراك الذي لا تخفى معه خافية، تبارك الله رب العالمين^(١).

قوله تعالى: ﴿فَأَيُّهَا قُفُولًا إِنَّا رَسُولًا رَّبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا نُعَذِّبَهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَاتٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَيَّ مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿٤٨﴾ قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَمُوسَى ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴿٥٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَأَيُّهَا قُفُولًا إِنَّا رَسُولًا رَّبِّكَ﴾ في الكلام حذف، والمعنى: فأَيُّهَا، فقالوا له ذلك. ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ أي: خل عنهم. ﴿وَلَا نُعَذِّبُهُمْ﴾ أي: بالسخره والتعب في العمل، وكانت بنو إسرائيل عند فرعون في عذاب شديد، يُذبح أبناءهم، ويستخدم^(٢) نساءهم، ويكلفهم من العمل في الطين واللبن وبناء المدائن ما لا يطيقونه^(٣). ﴿قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَاتٍ مِنْ رَبِّكَ﴾ قال ابن عباس: يريد العصا واليد^(٤).

وقيل: إن فرعون قال له: وما هي؟ فأدخل يده في جيب قميصه، ثم أخرجها بيضاء لها شعاع مثل شعاع الشمس، غلب نورها على نور الشمس، فعجِب منها. ولم يره العصا إلا يوم الزينة^(٥).

(١) المحرر الوجيز ٤/٤٦، وصفة السمع من الصفات الثابتة لله عز وجل بالكتاب والسنة والإجماع، فيجب إثباتها من غير تأويل ولا تحريف، وهو سمع حقيقي يليق بجلاله عز وجل.

(٢) في (د) و(م): يستحي.

(٣) زاد المسير ٥/٢٩١، وتفسير البغوي ٣/٢١٩ بنحوه.

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٥/٢٩٠ دون ذكر اليد.

(٥) تفسير البغوي ٣/٢١٩ بنحوه.

﴿وَأَسَلْتُمُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْمُدْحَكَ﴾ قال الزجاج^(١): أي: من اتَّبَعَ الهدى سَلِمَ من سَخِطِ الله عزَّ وجلَّ وعذابه. قال: وليس بتحيةٍ، قال: والدليلُ على ذلك أنه ليس بابتداءٍ لِقَاءٍ ولا خِطَابٍ. الفراء^(٢): السلامُ على مَنْ اتَّبَعَ الهدى ولمن اتَّبَعَ الهدى سواءً.

﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ﴾ يعني الهلاك والدمار في الدنيا، والخُلُود في جهنم في الآخرة ﴿عَلَىٰ مَنْ كَذَّبَ﴾ أنبياء الله ﴿وَتَوَلَّى﴾: أعرَضَ عن الإيمان. وقال ابن عباس: هذه أَرْجَى آيَةٍ للموحِّدين؛ لأنهم لم يُكذِّبوا ولم يتولَّوا.

قوله تعالى: ﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَمُوسَىٰ﴾ ذكر فرعون موسى دون هارون لرؤوس الآي. وقيل: خصَّصه بالذكر؛ لأنه صاحبُ الرسالة والكلام والآية^(٣). وقيل: إنهما جميعاً بلَغَا الرسالة وإن كان ساكتاً؛ لأنه في وقت الكلام إنما يتكلَّم واحدٌ، فإذا انقطع وازره الآخرُ وأَيَّده. فصار لنا في هذا البناء فائدةٌ علم: أنَّ الاثنين إذا قُلِّدا أمراً فقام به أحدهما، والآخرُ شخْصُهُ هناك موجودٌ مُستغنى عنه في وقتٍ دون وقت أنهما أدبَا الأمر الذي قُلِّدا، وقاما به واستوجبا^(٤) الثواب؛ لأن الله تعالى قال: ﴿أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾، وقال: ﴿أَذْهَبَا أَنْتَ وَأَخُوكَ﴾ وقال: ﴿فَقُولَا لَهُ﴾، فأمرهما جميعاً بالذهاب وبالقول، ثم أعلمنا في وقت الخطاب بقوله: ﴿فَمَنْ رَبُّكُمَا﴾ أنه كان حاضراً مع موسى.

﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾ أي: إنه يُعرَفُ بصفاته، وليس له اسم علم حتى يقال: فلان، بل هو خالقُ العالم، وهو الذي خصَّ كلَّ مخلوقٍ بهيئةٍ وصورة. ولو كان الخِطَابُ معهما لقالا: قالَا ربنا.

(١) في معاني القرآن ٣/٣٥٨، ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس في إعراب القرآن ٣/٤٠.

(٢) في معاني القرآن ٢/١٨٠.

(٣) المحرر الوجيز ٤/٤٦ بنحوه.

(٤) في (خ) و(ف): واستوفيا.

و«خَلَقَهُ» أول مفعولي «أعطى»، أي: أعطى خَلِيقَتَهُ كلَّ شيءٍ يحتاجون إليه ويرتفقون به، أو ثانيهما، أي: أعطى كلَّ شيءٍ صورته وشكَّله الذي يطابق المنفعة المَنُوطَةَ به^(١)؛ على قول الضحاك على ما يأتي. ﴿ثُمَّ هَدَى﴾ قال ابن عباس وسعيد بن جبير والسدي: أعطى كلَّ شيءٍ زوجَه من جنسه، ثم هداه إلى مَنَكِّجِه ومَطْعِمِه ومَشْرِبِه ومَسْكِنِه. وعن ابن عباس: ثم هداه إلى الألفة والاجتماع والمناكحة. وقال الحسن وقتادة: أعطى كلَّ شيءٍ صلاحَه، وهداه لِمَا يُصلِحُه. وقال مجاهد: أعطى كلَّ شيءٍ صورةً؛ لم يجعل خَلَقَ الإنسان في خَلَقِ البهائم، ولا خَلَقَ البهائم في خَلَقِ الإنسان، ولكن خَلَقَ كلَّ شيءٍ فَقَدَرَه تقديراً^(٢).

وقال الشاعر:

وله في كلِّ شيءٍ خِلْقَةٌ وكذلك الله ما شاء فَعَلَ^(٣)

يعني بالخِلْقَة الصورة، وهو قولٌ عطية ومقاتل. وقال الضحاك: أعطى كلَّ شيءٍ خَلَقَه من المنفعة المَنُوطَة به المُطابِقَة له. يعني اليد للبطش، والرَّجُل للمشي، واللسان للنتطق، والعين للنظر، والأذن للسمع^(٤).

وقيل: أعطى كلَّ شيءٍ ما ألهمه من علم أو صناعة^(٥).

وقال الفراء^(٦): خلق الرَّجُلَ للمرأة، ولكلِّ ذَكَرٍ ما يُوافقُه من الإناث، ثم هدى الذَّكَرَ للأنثى. فالتقدير على هذا: أعطى كلَّ شيءٍ مثلَ خَلَقِهِ.

قلت: وهذا معنى قول ابن عباس. والآيةُ بعمومها تتناول جميعَ الأقوال.

(١) الكشاف ٥٣٩/٢.

(٢) هذه الأقوال في تفسير الطبري ٨١/١٦، وزاد المسير ٢٩١/٥، وتفسير البغوي ٢٢٠/٣.

(٣) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٤٠٦/٣ ولم ينسبه، وفيه الأقوال السالفة.

(٤) تفسير البغوي ٢٢٠/٣.

(٥) النكت والعيون للماوردي ٤٠٦/٣.

(٦) معاني القرآن له ١٨١/٢ بنحوه.

وروى زائدة عن الأعمش أنه قرأ: «الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ» بفتح اللام^(١)؛ وهي قراءة ابن أبي إسحاق. ورواها نُصير عن الكسائي وغيره^(٢)، أي: أعطى بني آدم كلَّ شيءٍ خَلَقَهُ مما يحتاجون إليه. فالقراءتان متفقتان في المعنى.

قوله تعالى: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ﴾ ٥١ ﴿قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَىٰ﴾ ٥٢ ﴿

فيه أربع مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ﴾ البال: الحال، أي: ما حالها وما شأنها؟ فأعلمه أنَّ علمها عند الله تعالى، أي: إن هذا من علم الغيب الذي سألت عنه، وهو مما استأثر الله تعالى به لا يعلمه إلا هو، وما أنا إلا عبدٌ مثلك؛ لا أعلم منه إلا ما أخبرني به علَّامُ الغيوب، وعلم أحوال القرون مكتوبٌ^(٣) عند الله في اللوح المحفوظ.

وقيل: المعنى: فما بالُ القرون الأولى لم يُقَرَّوا بذلك؟ أي: فما بالهم ذهبوا وقد عبدوا غير ربِّك.

وقيل: إنما سأله عن أعمال القرون الأولى، فأعلمه أنها مُحصاة عند الله تعالى، ومحفوظةٌ عنده في كتاب. أي: هي مكتوبة، فسيجازيهم غداً بها وعليها. وعنَى بالكتاب اللوح المحفوظ^(٤). وقيل: هو كتاب مع بعض الملائكة.

الثانية: هذه الآية ونظائرها مما تقدَّم ويأتي تدلُّ على تدوين العلوم وكتبتها لثلا

(١) إعراب القرآن للنحاس ٤٠/٣ .

(٢) القراءات الشاذة ص ٨٧. ونُصير: هو ابن يوسف بن أبي نصر أبو المنذر، الرازي، ثم البغدادي، النحوي، من جلة أصحاب الكسائي. طبقات القراء ٢/٣٤٠. وقراءة الكسائي المشهورة عنه كقراءة الجماعة.

(٣) في النسخ: مكتوبة، والمثبت من الكشاف ٥٣٩/٢، والكلام منه.

(٤) تفسير البغوي ٣/٢٢٠ بنحوه.

تُنسى. فَإِنَّ الْحِفْظَ قَدْ تَعْتَرِيهِ الْآفَاتُ مِنَ الْعَلَطِ وَالنَّسيانِ. وقد لا يَحْفَظُ الْإِنسانُ ما يسمع، فيقيده لئلا يذهب عنه. وروينا بالإسناد المتصل عن قتادة أنه قيل له: أنكتب ما نسمعُ منك؟ قال: وما يَمْنَعُك أن تكتبَ وقد أخبرك اللطيفُ الخبيرُ أنه يكتب، فقال: ﴿عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَعْضِلُ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾^(١).

وفي «صحيح» مسلم: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَمَّا قَضَى اللهُ الخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ عَلَى نَفْسِهِ، فَهُوَ مَوْضُوعٌ عِنْدَهُ: إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي»^(٢).

وأَسَدُ الخَطِيبِ أَبُو بَكْرٍ عَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: كَانَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ يَجْلِسُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَسْتَمِعُ مِنْهُ الْحَدِيثَ وَيُعْجِبُهُ وَلَا يَحْفَظُهُ، فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي أَسْمَعُ مِنْكَ الْحَدِيثَ يُعْجِبُنِي وَلَا أَحْفَظُهُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اسْتَعِزْ بِيَمِينِكَ» وَأَوْمَأَ إِلَى الْخَطِّ^(٣). وَهَذَا نَصٌّ.

وعلى جواز كُتُبِ العِلْمِ وتَدْوِينِهِ جَمْهُورُ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ^(٤). وقد أَمَرَ ﷺ بِكُتُبِ الخُطْبَةِ الَّتِي خُطِبَ بِهَا فِي الْحَجِّ لِأَبِي شَاهٍ - رَجُلٍ مِنَ الْيَمَنِ - لَمَّا سَأَلَهُ كُتُبُهَا. أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ^(٥).

وروى عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جدّه، عن النبي ﷺ قال: «قَيِّدُوا العِلْمَ بِالْكِتَابِ»^(٦). وقال معاوية بن قُرَّة: مَنْ لَمْ يَكْتُبِ العِلْمَ لَمْ يُعَدِّ عِلْمُهُ عِلْمًا^(٧).

(١) أخرجه الرامهرمزي في المحدث الفاصل ص ٣٧٢، والخطيب البغدادي في تقييد العلم ص ١٠٣.

(٢) صحيح مسلم (٢٧٥١)، وسلف ١/٢٤٣.

(٣) تقييد العلم ص ٦٧، والجامع لأخلاق الراوي والسامع ١/٣٨٢ - ٣٨٣، وأخرجه الترمذي (٢٦٦٦) وفي إسناده الخليل بن مرة، قال الترمذي: هذا حديث إسناده ليس بذلك القائم، وسمعت محمد بن إسماعيل (يعني البخاري) يقول: الخليل بن مرة منكر الحديث.

(٤) إكمال المعلم ٤/٤٧٤، والمفهم ٣/٤٧٦.

(٥) برقم (١٣٥٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وهو عند أحمد (٧٢٤٢)، والبخاري (٢٤٣٤).

(٦) في (م): بالكتابة. والحديث أخرجه الرامهرمزي في المحدث الفاصل ص ٣٦٥، والخطيب في تقييد العلم ص ٩٦.

(٧) أخرجه الرامهرمزي في المحدث الفاصل ص ٣٧٢، والخطيب في تقييد العلم ص ١٠٩.

وقد ذهب قومٌ إلى المنع من الكُتُب، فروى أبو نضرة قال: قيل لأبي سعيد: أنكتب حديثكم هذا؟ قال: لِمَ تجعلونه قرآناً؟ ولكن احفظوا كما حَفِظْنَا^(١).

وممن كان لا يكتب الشعبيُّ ويونس بن عبيد وخالد الحذاء - قال خالد: ما كتبتُ شيئاً قطُّ إلا حديثاً واحداً؛ فلَمَّا حَفِظْتُهُ محوتهُ - وابن عون والزُّهريُّ.

وقد كان بعضهم يكتبُ فإذا حَفِظَ مَحَاهُ؛ منهم محمدُ بن سيرين وعاصمُ بن ضَمْرَةَ. وقال هشام بن حسان: ما كتبتُ حديثاً قطُّ إلا حديثَ الأعماق فلَمَّا حَفِظْتُهُ مَحَوْتُهُ^(٢).

قلت: وقد ذكرنا عن خالد الحذاء مثل هذا. وحديث الأعماق خرَّجه مسلمٌ في آخر الكتاب: «لا تقوم الساعةُ حتى ينزلَ الرومُ بالأعماق أو بدابق» الحديث ذكره في كتاب الفتن^(٣).

وكان بعضهم يحفظ ثم يكتب ما يحفظ؛ منهم الأعمشُ، وعبد الله بن إدريس، وهُشيم وغيرهم^(٤). وهذا احتياظٌ على الحفظ.

والكُتُبُ أولى على الجُملة، وبه وَرَدَتِ الآيُ والأحاديثُ، وهو مَرْوِيٌّ عن عمر، وعليٍّ، وجابر، وأنس رضي الله عنهم، وَمَنْ يَلِيهِمْ من كُبراء التابعين، كالحسن وعطاء وطاوس وعروة بن الزبير وَمَنْ بعدهم من أهل العلم^(٥). قال الله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٤٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ

(١) أخرجه الرامهرمزي في المحدث الفاصل ص ٣٧٩، والخطيب في تقييد العلم ص ٣٦ - ٣٧. وأبو نضرة: هو المنذر بن مالك بن قُطَمة العبدي.

(٢) سنن الدارمي ١/١٣١ - ١٣٥، والمحدث الفاصل ص ٣٨٠ - ٣٨٣، وتقييد العلم ص ٥٩. وحديث الأعماق سياًتي ذكره بعده.

(٣) صحيح مسلم (٢٨٩٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. والأعماق: كورة قرب دابق بين حلب وأنطاكية. ودابق: قرية قرب حلب. معجم البلدان ١/٢٢٢ و ٢/٤٠٦.

(٤) المحدث الفاصل ١/٣٨٤ - ٣٨٥.

(٥) المحدث الفاصل ص ٣٨٥.

بَعْدَ الذِّكْرِ أَنْتَ الْأَرْضَ يَرِيهَا عِبَادِيَ الْفٰكِلِيحُونَ ﴿٥١﴾ [الأنبياء: ١٠٥]، وقال تعالى: ﴿وَأَكْتَبُ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ الآية [الأعراف: ١٥٦]، وقال تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ﴾ [القمر: ٥٢-٥٣]، وقال: ﴿عِلْمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ﴾ إلى غير هذا من الآي. وأيضاً فإن العلم لا يُضبط إلا بالكتاب، ثم بالمقابلة والمُدارسَة، والتعهد والتحفِظ، والمُذاكرة والسؤال والفحص عن الناقلين والثقة بما نقلوا.

وإنما كَرِهَ الكتابَ مَنْ كَرِهَ مِنَ الصِّدْرِ الْأَوَّلِ لِقُرْبِ الْعَهْدِ، وتَقَارُبِ الْإِسْنَادِ وَلِثَلَا يَعْتَمِدَهُ الْكَاتِبُ فَيُهْمَلُهُ، أَوْ يَرَعِبُ عَنْ تَحْفِظِهِ^(١) وَالْعَمَلُ بِهِ، فَأَمَّا وَالْوَقْتُ مُتَبَاعِدٌ، وَالْإِسْنَادُ غَيْرُ مُتَقَارِبٍ، وَالطَّرِيقُ مُخْتَلَفَةٌ، وَالنَّقْلَةُ مُتَشَابِهُونَ، وَأَفَةُ النِّسْيَانِ مُعْتَرِضَةٌ، وَالْوَهْمُ غَيْرُ مَأْمُونٍ؛ فَإِنْ تَقْيِيدَ الْعِلْمِ بِالْكِتَابِ أَوْلَى وَأَشْفَى، وَالِدَلِيلُ عَلَى وَجُوبِهِ أَقْوَى.

فإن احتجَّ مُحْتَجٌّ بِحَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لَا تَكْتُبُوا عَنِّي، وَمَنْ كَتَبَ عَنِّي غَيْرَ الْقُرْآنِ فَلْيَمْحُوهُ» خَرَّجَهُ مُسْلِمٌ^(٢)، فَالْجَوَابُ أَنَّ ذَلِكَ كَانَ مُتَقَدِّمًا، فَهُوَ مَنْسُوخٌ بِأَمْرِهِ بِالْكِتَابَةِ وَإِبَاحَتِهَا لِأَبِي شَاهٍ وَغَيْرِهِ. وَأَيْضًا كَانَ ذَلِكَ لِثَلَا يُخَلَطَ بِالْقُرْآنِ مَا لَيْسَ مِنْهُ. وَكَذَا مَا رُوِيَ عَنِ أَبِي سَعِيدٍ أَيْضًا: حَرَصْنَا أَنْ يَأْذَنَ لَنَا النَّبِيُّ ﷺ فِي الْكِتَابَةِ فَأَبَى^(٣)؛ إِنْ كَانَ مُحْفُوظًا فَهُوَ قَبْلَ الْهَجْرَةِ، وَحِينَ كَانَ لَا يُؤْمِنُ الْإِسْتِغَالُ بِهِ عَنِ الْقُرْآنِ.

الثالثة: قال أبو بكر الخطيب^(٤): ينبغي أن يُكتب الحديث بالسواد، ثم بالحبر

(١) في (د) و(م): حفظه، والمثبت من باقي النسخ، وهو موافق للمحدث الفاصل ص ٣٨٥ - ٣٨٦، والكلام منه.

(٢) برقم (٣٠٠٤)، وهو في مسند أحمد (١١٠٨٥) و(١١١٥٨).

(٣) أخرجه الرامهرمزي في المحدث الفاصل ص ٣٨٦، وينظر المفهم ٤٧٦/٣ - ٤٧٧.

(٤) في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ٣٨٣/١.

خاصةً دون المداد؛ لأن السواد أصبغ الألوان، والحبر أبقاها على مرّ الدهور. وهو آلة ذوي العلم، وعدة أهل المعرفة.

ذكر عبد الله بن أحمد بن حنبل، حدثني أبي قال: رأني الشافعي وأنا في مجلسه وعلى قميصي حبراً وأنا أخفيه؛ فقال: لم تخفيه وتستره؟ إن الحبر على الثوب من المروءة، لأن صورته في الأبصار سواد، وفي البصائر بياض.

وقال خالد بن يزيد: الحبر في ثوب صاحب الحديث مثل الخلق في ثوب العروس. وأخذ هذا المعنى أبو عبد الله البلوي فقال:

مداد المَحَابِرِ طيبُ الرجال وطيب النساءِ من الزعفرانِ
فهذا يَلِيقُ بأثوابِ ذَا وهذا يَلِيقُ بثوبِ الحَصَانِ^(١)

وذكر الماوردي^(٢) أن عبيد الله بن سليمان^(٣) - فيما حكى - رأى على بعض ثيابه أثر صُفرة؛ فأخذ من مداد الدواة فطلاه به، ثم قال: المدادُ بنا أحسنُ من الزعفران؛ وأنشد:

إنما الزعفرانُ عطرُ العَذَارَى ومدادُ الدُّوِيِّ عِطْرُ الرِّجَالِ^(٤)

الرابعة: قوله تعالى: ﴿لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ اختلف في معناه على أقوال خمسة:

الأول: إنه ابتداء كلام، تنزيه لله تعالى عن هاتين الصفتين، وقد كان الكلام تمّ في قوله: «في كتاب»^(٥). وكذا قال الزجاج، وأن معنى «لا يضلُّ» لا يهلك، من

(١) أخرج هذه الآثار الخطيب في الجامع لأخلاق الراوي ٣٨٦/١.

(٢) في أدب الدنيا والدين ص ٥٦.

(٣) في (م): عبد الله بن سليمان، والمثبت من النسخ الخطية، وهو الموافق لأدب الدنيا والدين. ولعله عبيد الله بن سليمان بن وهب، الوزير الكبير، أبو القاسم وزير المعتضد، توفي سنة (٢٨٨هـ). السير ٤٩٧/١٣.

(٤) ذكر القصة والبيت التنوخي في نشوار المحاضرة ٢٥٤/٣ ونسبها لأبي علي ابن مقلّة.

(٥) المحرر الوجيز ٤٧/٤.

قوله: ﴿أَوَدَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ﴾ [السجدة: ١٠]. «وَلَا يَنْسَى» شيئاً^(١)، نَزَّهه عن الهلاك والنسيان.

القول الثاني: «لَا يَضِلُّ»: لا يُخْطئ؛ قاله ابن عباس^(٢)؛ أي: لا يُخْطئ في التدبير، فمن أنظره فَلِحِكْمَةِ أَنْظَرَهُ، ومن عاجله فَلِحِكْمَةِ عَاجَلَهُ.

القول الثالث: «لَا يَضِلُّ»: لا يَغِيب. قال ابن الأعرابي: أصل الضلال الغيبوبة؛ يقال: ضلَّ الناسي: إذا غاب عنه حفظ الشيء. قال: ومعنى «لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى» أي: لا يَغِيبُ عنه شيء، ولا يَغِيبُ عن شيء^(٣).

القول الرابع - قاله الزجاج أيضاً، وقال النحاس^(٤): وهو أشبهها بالمعنى -: أخبر الله عزَّ وجلَّ أنه لا يحتاج إلى كتاب، والمعنى: لا يضلُّ عنه علمُ شيءٍ من الأشياء ولا معرفتها، ولا يَنْسَى ما عَلِمَهُ منها.

قلت: وهذا القول راجعٌ إلى معنى قول ابن الأعرابي.

وقول خامس: إِنَّ «لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى» في موضع الصفة لـ «كتاب» أي: الكتاب غير ضالٍّ عن الله عزَّ وجلَّ^(٥)، أي: غير ذاهب عنه. «وَلَا يَنْسَى» أي: غير ناسٍ له، فهما نعتان لـ «كتاب». وعلى هذا يكون الكلام متصلاً، ولا يُوقَفُ على «كتاب». تقول العرب: ضلَّني الشيءُ: إذا لم أجده، وأضلَّتهُ أنا: إذا تركته في موضع فلم تجده فيه^(٦).

(١) إعراب القرآن للنحاس ٤١/٣، ولم نقف على قول الزجاج في معاني القرآن له، ولم ينسبه النحاس له.

(٢) أخرجه الطبري ٨٣/١٦، والكلام الذي بعده فيه.

(٣) تهذيب اللغة ٤٦٥/١١، وفيه: أبو عمرو، بدل: ابن الأعرابي.

(٤) في إعراب القرآن ٤١/٣، وينظر معاني القرآن للزجاج ٣٥٩/٣.

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٤١/٣.

(٦) المحرر الوجيز ٤٧/٤ بنحوه.

وقرأ الحسنُ وُقْتادةَ وعيسى بن عمر وابن مُحَيْصِن وعاصم الجَحْدري وابن كثير فيما روى شَيْبَل عنه: «لَا يُضِلُّ» بضم الياء على معنى لا يُضِيعه رَبِّي ولا يَنْسَاهُ^(١). قال ابن عرفة: الضلالةُ عند العرب سلوكُ سبيل غير القصد؛ يقال: ضلَّ عن الطريق، وأضلَّ الشيء: إذا أضاعه. ومنه قرأ مَنْ قرأ: «لَا يُضِلُّ رَبِّي» أي: لا يُضِيع، هذا مذهبُ العرب.

قوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْ نَّبَاتٍ شَتَّى ﴿٥١﴾ كُلُّوْا وَارْعَوْا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى ﴿٥٢﴾ مِنَّا خَلَقْنَاهُمْ وَفِيهَا نُعِيدُهُمْ وَمِنَّا نُنْزِلُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴿٥٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا﴾ «الذي» في موضع نعت لِـ «رَبِّي» أي: لا يضلُّ رَبِّي الذي جعل. ويجوز أن يكون خبرَ ابتداء مُضمر، أي: هو الذي. ويجوز أن يكون منصوباً بإضمار أعني^(٢). وقرأ الكوفيون: «مَهْدًا» هنا وفي «الزخرف»^(٣) بفتح الميم وإسكان الهاء. الباقون: «مِهَادًا»^(٤)، واختاره أبو عُبيد وأبو حاتم لاتفاقهم على قراءة: ﴿أَلَمْ تَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا﴾ [النبا: ٦].

النحاس^(٥): والجمعُ أولى لأن «مهدًا» مصدرٌ، وليس هذا موضع مصدرٍ إلا على حذف، أي: ذات مهد. المهدوي: وَمَنْ قرأ: «مَهْدًا» جاز أن يكون مصدرًا، كالْفَرَس، أي: مَهْدَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا، وجاز أن يكون على تقدير حذف المضاف، أي: ذات مهد. ومن قرأ: «مِهَادًا»؛ جاز أن يكون مفردًا، كالفراس، وجاز أن يكون

(١) القراءات الشاذة ص ٨٧، وإعراب القرآن للنحاس ٤١/٣، والبحر المحيط ٢٤٨/٦، والقراءة المتواترة عن ابن كثير كقراءة الجماعة.

(٢) الكشاف ٥٤٠/٢.

(٣) الآية (١٠).

(٤) السبعة ص ٤١٨، والتيسير ص ١٥١.

(٥) في إعراب القرآن ٤١/٣.

جمع «مهد» استعمل استعمال الأسماء فكُسر^(١). ومعنى «مهاداً» أي: فراشاً وقراراً تستقرون عليها.

﴿وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾ أي: طرقاً^(٢). نظيره: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا لِيَسْلِكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾ [نوح: ١٩-٢٠]، وقال تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ١٠].

﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ تقدّم معناه^(٣). وهذا آخرُ كلام موسى. ثم قال الله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِدُونِهِ﴾. وقيل: كُله من كلام موسى^(٤). والمعنى: «فأخرجنا به» أي: بالحرث والمعالجة؛ لأن الماء المنزل سببُ خروج النبات.

ومعنى ﴿أَزْوَاجًا﴾: ضروباً وأشباهاً، أي: أصنافاً من النبات المختلفة الأزواج والألوان^(٥). وقال الأخفش: التقدير أزواجاً شتّى من نبات. قال: وقد يكون النبات شتّى، ف «شتّى» يجوز أن يكون نعتاً لأزواج، ويجوز أن يكون نعتاً للنبات^(٦). و«شتّى» مأخوذٌ من شتّ الشيء، أي: تفرّق. يقال: أمرُ شتّ، أي: متفرّق. وشتّ الأمرُ [يشتّ] شتّاً وشتاتاً: تفرّق؛ واستشتّ^(٧) مثله. وكذلك التشتت. وشتته تشتيتاً فرّقه. وأشتّ بي قومي، أي: فرّقوا أمري. والشتيت المتفرّق. قال زُوبية يصف إبلاً:

(١) الكلام بنحوه في الكشف عن وجوه القراءات ٩٧/٢ - ٩٨.

(٢) أخرجه الطبري ٨٥/١٦ عن قتادة.

(٣) ٤٩٧/٢.

(٤) قال الرازي في تفسيره ٦٨/٢٢: «فأخرجنا» إما أن يكون من كلام موسى عليه السلام أو من كلام الله تعالى، والأول باطل؛ لأن قوله بعد ذلك: «كلوا وارعوا أنعامكم... منها خلقناكم وفيها نعيدكم..» لا يليق بموسى عليه السلام.

(٥) ينظر تفسير البغوي ٣/٢٢٠، وزاد المسير ٥/٢٩٢ - ٢٩٣.

(٦) لم نقف على قول الأخفش، وينظر تفسير الرازي ٦٩/٢٢.

(٧) في النسخ: اشتت، والمثبت من الصحاح (شتت) وما بين حاصرتين منه.

جَاءَتْ مَعَاً وَاطَّرَقَتْ شَتِيَّتَا وَهِيَ تُشِيرُ السَّاطِعَ السَّخْتِيَّتَا^(١)
وَتَغْرُ شَتِيَّتْ، أَي: مُفْلَج. وَقَوْمٌ شَتَى، وَأَشْيَاءٌ شَتَى، وَتَقُول: جَاؤُوا أَشْتَاتَا، أَي:
مُتَفَرِّقِينَ، وَاحِدُهُمْ شَتٌّ، قَالَ الْجَوْهَرِيُّ^(٢).

قوله تعالى: ﴿كُلُوا وَارْعَوْا أَنْفُسَكُمْ﴾ أمر إباحة. «وَارْعَوْا» مِنْ: رَعَتِ الْمَاشِيَةَ
الْكَلَاءَ، وَرَعَاهَا صَاحِبُهَا رِعَايَةً، أَي: أَسَامَهَا وَسَرَحَهَا، لِأَزْمِ وَمَتَعَدِّ^(٣).

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى﴾ أَي: الْعُقُول. الْوَاحِدَةُ: نُهْيَةٌ. قَالَ لَهُمْ ذَلِكَ؛
لَأَنَّهُم الَّذِينَ يُنْتَهَى إِلَى رَأْيِهِمْ. وَقِيلَ: لَأَنَّهُمْ يَنْهَوْنَ النَّفْسَ عَنِ الْقَبَائِحِ^(٤). وَهَذَا كُلُّهُ مِنْ
مُوسَى اِحْتِجَاجٌ عَلَى فِرْعَوْنَ فِي إِثْبَاتِ الصَّانِعِ جَوَاباً لِقَوْلِهِ: «فَمَنْ رَبُّكُمْ يَا مُوسَى».
وَيَبِّنُ أَنَّهُ إِنَّمَا يُسْتَدَلُّ عَلَى الصَّانِعِ الْيَوْمَ بِأَفْعَالِهِ.

قوله تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ﴾ يَعْنِي آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِأَنَّهُ خُلِقَ مِنَ الْأَرْضِ، قَالَه
أَبُو إِسْحَاقَ الزَّجَّاجُ وَغَيْرُهُ^(٥). وَقِيلَ: كُلُّ نَظْفَةٍ مَخْلُوقَةٌ مِنَ التَّرَابِ، عَلَى هَذَا يَدُلُّ
ظَاهِرُ الْقُرْآنِ^(٦). وَرَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا وَقَدْ دُرُّ
عَلَيْهِ مِنْ تَرَابٍ حُفِرَتْ» أَخْرَجَهُ أَبُو نُعَيْمٍ الْحَافِظُ فِي بَابِ ابْنِ سِيرِينَ، وَقَالَ: هَذَا
حَدِيثٌ غَرِيبٌ مِنْ حَدِيثِ [ابْنِ] عَوْنٍ لَمْ نَكْتَبْهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ أَبِي عَاصِمِ النَّبِيلِ، وَهُوَ
أَحَدُ الثَّقَاتِ الْأَعْلَامِ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ^(٧). وَقَدْ مَضَى هَذَا الْمَعْنَى مُبَيَّنًا فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ

(١) ديوان رؤبة ص ١٧١. والرجز يصف به إبلاً، يقول: جاءت مجتمعة، فلما صدرت تفرقت منشئتة.
والسختيت: الشديد، وعنى به هاهنا الغبار الذي تثيره. شرح آيات إصلاح المنطق للسيرافي ص ٤٢٠.

(٢) الصحاح (شتت).

(٣) الصحاح (رعي).

(٤) النكت والعيون ٤٠٨/٣، وتفسير البغوي ٢٢١/٣ بنحوه.

(٥) معاني القرآن للزجاج ٣/٣٥٩، والوسيط للواحدي ٣/٢١٠، وتفسير البغوي ٣/٢٢١، والمحمر
الوجيز ٤/٤٨.

(٦) إعراب القرآن للنحاس ٣/٤١.

(٧) حلية الأولياء ٢/٢٨٠، وما بين حاصرتين منه، وينظر تنزيه الشريعة ١/٣٧٣.

عن ابن مسعود^(١).

وقال عطاء الخراساني: إذا وقعت النطفة في الرَّحِمِ انطلق المَلَكُ المُوَكَّلُ بالرَّحِمِ، فأخذ من تراب المكان الذي يُدفن فيه، فيذرُه على النطفة، فيخلق الله النَّسْمَةَ من النُّطفة ومن التراب، فذلك قوله تعالى: ﴿مِنهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾^(٢).

وفي حديث البراء عن النبي ﷺ: «إِنَّ العَبْدَ المَوْمِنَ إِذَا خَرَجَتْ رُوحُهُ؛ صَعِدَتْ بِهِ المَلَائِكَةُ، فلا يمرون بها على مَلَأٍ من المَلَائِكَةِ إِلَّا قالوا: ما هذه الرُّوحُ الطَّيِّبَةُ؟ فيقولون: فلانُ بن فلان؛ بأحسن أسمائه التي كانوا يُسمُّونه بها في الدنيا، فيستفتحون لها، فيفتح؛ فيُشَيِّعُه من كلِّ سماءٍ مُقَرَّبوها إلى السماء التي تليها حتى يُنتهي بها إلى السماء السابعة، فيقول الله عزَّ وجلَّ: اكتبوا لعبدي كتاباً في عِلِّيِّين، وأعيدوه إلى الأرض، فإني منها خلقتهم، وفيها أعيدهم، ومنها أخرجهم تارةً أُخرى. فتعاد روحُه في جسده». وذكر الحديث^(٣). وقد ذكرناه بتمامه في كتاب «التذكرة»^(٤)، ورُوي من حديث عليٍّ عليه السلام، ذكره الثعلبي.

ومعنى ﴿وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾ أي: بعد الموت ﴿وَمِنهَا نُخْرِجُكُمْ﴾ أي: للبعث والحساب ﴿تَارَةً أُخْرَى﴾^(٥). يرجع هذا إلى قوله: ﴿مِنهَا خَلَقْنَاكُمْ﴾ لا إلى ﴿نُعِيدُكُمْ﴾. وهو كقولك: اشتريتُ ناقةً وداراً وناقاةً أُخرى. فالمعنى: من الأرض أخرجناكم، ونُخرجكم بعد الموت من الأرض تارةً أُخرى^(٦).

(١) ٣١٨/٨ - ٣١٩.

(٢) أخرجه ابن عدي في الكامل ١٩٣٤/٥، وابن عبد البر في التمهيد ٤٠٠/٢٤.

(٣) أخرجه أحمد (١٨٥٣٤)، وأخرجه أبو داود (٤٧٥٣) بنحوه.

(٤) ص ١١٩ - ١٢١.

(٥) الوسيط للواحد ٢١٠/٣.

(٦) معاني القرآن للفراء ١٨١/٢.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آرَيْنَهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَمْوَسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ فَأَجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْتَةِ وَأَنَّ بِحِشْرِ النَّاسِ ضُحًى ﴿٥٩﴾ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُمُ مُوسَىٰ وَيَلَكُمْ لَا تَقْتُلُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ ﴿٦١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آرَيْنَهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا﴾ أي: المعجزات الدالة على نبوة موسى. وقيل: حُجج الله الدالة على توحيده^(١). ﴿فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ﴾ أي: لم يؤمن. وهذا يدل على أنه كفر عناداً، لأنه رأى الآيات عياناً لا خبراً^(٢). نظيره: ﴿وَحَمَدُوا بِهَا وَاسْتَفْتَنَّا أَنفُسَهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤].

قوله تعالى: ﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَمْوَسَىٰ﴾ لما رأى الآيات التي أتاه بها موسى قال: إنها سحر. والمعنى: جئت لیتوهم الناس أنك جئت بآية توجب اتباعك والإيمان بك، حتى تغلب على أرضنا وعلينا. ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ﴾ أي: لنعارضنك بمثل ما جئت به لیتبين للناس أن ما أتيت به ليس من عند الله^(٣). ﴿فَأَجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا﴾ هو مصدر، أي: وعداً. وقيل: الموعد اسم لمكان الوعد، كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: ٤٣]. فالموعد هاهنا مكان. وقيل: الموعد اسم لزمان الوعد، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ﴾^(٤) [هود: ٨١] فالمعنى: اجعل لنا يوماً معلوماً، أو مكاناً معروفاً.

قال القشيري: والأظهر أنه مصدر ولهذا قال: ﴿لَا تُخْلِفُهُمْ﴾ أي: لا نخلف ذلك

(١) النكت والعيون ٤٠٨/٣ .

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٤١/٣ .

(٣) ينظر زاد المسير ٢٩٤/٥ .

(٤) تفسير الرازي ٧١/٢٢ .

الوعد، والإخلاف أن يَعِدَ شيئاً ولا يُنجزه^(١). وقال الجوهري^(٢): والميعاد: المواعدة والوقت والموضع، وكذلك المَوْعِد.

وقرأ أبو جعفر بن القعقاع وشيبة والأعرج: «لَا نُخْلِفُهُ»؛ بالجزم جواباً لقوله «اجْعَلْ»^(٣). ومن رفع فهو نعتٌ لـ «موعد»، والتقدير: موعداً غير مُخْلَفٍ.

﴿مَكَانًا سُؤْيَ﴾ قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة: «سُؤْيَ» بضم السين. الباقيون: بكسرها^(٤)، وهما لغتان؛ مثل: عُدَاً وَعِدَاً، وَطُؤْيَ وَطِؤْيَ^(٥). واختار أبو عبيد وأبو حاتم كسر السين؛ لأنها اللغة العالية الفصيحة. وقال النحاس^(٦): والكسر أعرِفُ وأشهرُ. وكلهم نَوَّنوا الواو^(٧)، وقد رُوِيَ عن الحسن - واختُلِفَ عنه - ضمُّ السين بغير تنوين^(٨).

واختُلِفَ في معناه؛ فقليل: سِوَى هذا المكان، قاله الكلبي^(٩). وقيل: مكاناً مستويًا يتبين للناس ما بيئًا فيه، قاله ابن زيد^(١٠). ابن عباس: نَصَفًا. مجاهد: مَنَصَفًا، وعنه أيضاً وقتادة: عَدَلًا بيننا وبينك^(١١). قال النحاس: وأهل التفسير على أن معنى «سُؤْيَ» نَصَفٌ وَعَدْلٌ، وهو قولٌ حسن^(١٢)، قال سيبويه: يقال: سِوَى وَسُؤْيَ، أي:

(١) أورده أبو حيان في البحر ٦/ ٢٥٢.

(٢) في الصحاح (وَعَدَ).

(٣) قراءة أبي جعفر - وهو من العشرة - في النشر ٢/ ٣٢٠، وقراءة شيبة ذكرها أبو حيان في البحر ٦/ ٢٥٣.

(٤) السبعة ص ٤١٨، والتيسير ص ١٥١.

(٥) تفسير الطبري ١٦/ ٨٩، وتفسير البغوي ٣/ ٢٢١.

(٦) في إعراب القرآن ٣/ ٤٢.

(٧) المحرر الوجيز ٤/ ٤٩.

(٨) المحتسب ٢/ ٥٢، وينظر البحر المحيط ٦/ ٢٥٣.

(٩) أورده البغوي في تفسيره ٣/ ٢٢١، والرازي في تفسيره ٢٢/ ٧٢.

(١٠) أخرجه الطبري ١٦/ ٩٠، وأورده الماوردي في النكت والعيون ٣/ ٤٠٨.

(١١) تفسير الطبري ١٦/ ٩٠، وتفسير البغوي ٣/ ٢٢١.

(١٢) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٤٢.

عَدْلٌ، يعني مكاناً عدلاً بين المكانين فيه النَّصْفَةُ^(١)، وأصله من قولك: جلس في سواء الدار؛ بالمد، أي: في وسطها، ووسط كل شيء أعدله، وفي الحديث عن النبي ﷺ: «وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا» [البقرة: ١٤٣] أي: عدلاً^(٢)، وقال زهير: أَرُونَا حُطَّةً لَا ضَيْمَ فِيهَا يُسَوَّى بَيْنَنَا فِيهَا السَّوَاءُ^(٣) وقال أبو عبيدة والقُتَيْبِيُّ: وَسَطًا بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ^(٤)، وأنشد أبو عبيدة لموسى بن جابر الحنفي:

وإنَّ أبانا كان حلَّ ببلدةٍ
سوى بين قيسٍ قيسٍ عَيْلانَ والفِزْرِ
والفِزْرِ: سعد بن زيد مناة بن تميم^(٥).

وقال الأخفش: «سوى» إذا كان بمعنى غير، أو بمعنى العدل، يكون فيه ثلاث لغات: إن ضممت السين أو كسرت؛ قصرت فيهما جميعاً. وإن فتحت مددت، تقول: مكان سوى وسوى وسواء، أي: عدلٌ ووسط فيما بين الفريقين. قال موسى بن جابر:

وجدنا أبانا كان حلَّ ببلدةٍ

البيت^(٦). وقيل: «مكاناً سوى» أي: قصداً، وأنشد صاحب هذا القول:

لو تَمَنَّيْتُ حَبِيبَتِي مَا عَدَدْتَنِي
أَوْ تَمَنَّيْتُ مَا عَدَوْتُ سِوَاهَا^(٧)

(١) الكلام بنحوه في الصحاح (سوى) منسوب للأخفش.

(٢) أخرجه أحمد (١١٠٦٨)، والترمذي (٢٩٦١)، وسلف ٤٣٣/٢.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٤٢/٣، والبيت في ديوان زهير ص ٨٤.

(٤) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢٠/٢، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ٢٧٩، وفيهما: القريتين، بدل: الفريقين.

(٥) مجاز القرآن ٢٠/٢، والبيت في المحرر الوجيز ٤٩/٤، وخزانة الأدب ٣٠٢/١. وموسى بن جابر الحنفي: نصراني جاهلي، يلقب أزيق اليمامة، كثير الشعر. معجم الشعراء ص ٢٨٥.

(٦) الصحاح (سوى)، وسلف البيت قبله.

(٧) سمط اللآلئ للبكري ٥٠٦/١.

وتقول: مررت برجل سِوَاكَ وَسِوَاكَ، أي: غيرِكَ. وهما في هذا الأمر سواء، وإن شئت: سِوَاءَان. وهم سواءٌ للجميع، وهم أسواءٌ، وهم سِوَاِسِيَةٌ؛ مثل ثمانية؛ على غير قياس^(١).

وانتصب «مكاناً» على المفعول الثاني لـ «جعل». ولا يَخْسُنُ انتصابه بالموعد على أنه مفعول أو ظرف له؛ لأن الموعد قد وصف، والأسماء التي تعمل عمل الأفعال إذا وُصفت أو صُغرت لم يَسْغُ أن تعمل؛ لخروجها عن شبه الفعل، ولم يحسن حملها على أنه ظرف وقع موقع المفعول الثاني؛ لأن الموعد إذا وقع بعده ظرف لم تُجره العرب مُجرى المصادر مع الظروف، لكنهم يَتَسَعُونَ فيه كقوله تعالى: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ﴾ [هود: ٨١] و﴿مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ﴾^(٢).

واختلَفَ في يوم الزينة، فقليل: هو يومٌ عيد كان لهم يتزَيَّنُونَ ويجتمعون فيه، قاله قتادة والسُّدِّي وغيرهما. وقال ابن عباس وسعيد بن جبيرة: كان يومَ عاشوراء. وقال سعيد بن المسيَّب: يوم سوق كان لهم يتزَيَّنُونَ فيها، وقاله قتادة أيضاً. وقال الضحَّاك: يوم السبت. وقيل: يوم النيروز^(٣)، ذكره الثعلبي^(٤). وقيل: يومٌ يكسر فيه الخليج^(٥)، وذلك أنهم كانوا يخرجون فيه يتفرجون ويتزهون، وعند ذلك تأمن الديار المصرية من قِبَلِ النيل.

وقرأ الحسن والأعمش وعيسى الثقفي والسُّلَمي وهبيرة عن حفص: «يَوْمَ الزَّيْنَةِ» بالنصب^(٦). ورؤيت عن أبي عمرو^(٧)، أي: في يوم الزينة إنجاز موعدنا. الباقر

(١) الصحاح (سوى).

(٢) الكلام بنحوه في مشكل إعراب القرآن لمكي ٢/٤٦٤ - ٤٦٥، وينظر المحرر الوجيز ٤/٤٨ - ٤٩.

(٣) هذه الأقوال في تفسير الطبري ١٦/٩١ - ٩٢، وزاد المسير ٥/٢٩٤ - ٢٩٥.

(٤) في عرائس المجالس ص ١٨٨.

(٥) المحرر الوجيز ٤/٤٩.

(٦) المحتسب ٢/٥٣، والمحرر الوجيز ٤/٤٩، وقراءة هبيرة عن حفص ذكرها ابن الجوزي في زاد المسير ٥/٢٩٤، والقراءة المشهورة عن حفص: يومٌ، كقراءة الجماعة. وهبيرة: هو أبو عمر بن محمد البغدادي، الأبرش، التمار، طبقات القراء ٢/٣٥٣.

(٧) وهي غير المشهورة عنه، وقد ذكرها ابن جني في المحتسب ٢/٥٣.

بالرفع على أنه خبر الابتداء.

﴿وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى﴾ أي: وجمعُ الناس، فـ «أَنْ» في موضع رفع على قراءة من قرأ: «يَوْمٌ» بالرفع^(١). وعطفُ «وَأَنْ يُحْشَرَ» يُقَوِّي قراءة الرفع؛ لأن «أَنْ» لا تكون ظرفاً، وإن كان المصدر الصريح يكون ظرفاً، كمقدّم الحاج؛ لأن من قال: آتيتك مقدّم الحاج لم يقل: آتيتك أن يقدم الحاج^(٢). النحاس: وأولى من هذا أن يكون في موضع خفضٍ عطفاً على الزينة. والضحي مؤنثة تُصغرها العرب بغير هاء لثلا يُشبهه تصغيرها تصغير ضحوة، قاله النحاس^(٣). وقال الجوهري: ضحوة النهار بعد طلوع الشمس، ثم بعده الضحى، وهي حين تُشرق الشمس، مقصورة؛ تُؤنث وتُدكّر، فمن أتت ذهب إلى أنها جمع ضحوة، ومن ذكر ذهب إلى أنه اسم على فُعل، مثل: صردٍ وتُغري، وهو ظرف غير متمكّن مثل: سحر، تقول: لقيته ضحى وضحى، إذا أردت به ضحى يومك لم تُنونه، ثم بعده الضحاه؛ ممدود مُدكّر، وهو عند ارتفاع النهار الأعلى^(٤). وخصّ الضحى لأنه أول النهار، فلو امتد الأمر فيما بينهم كان في النهار مُتسع.

وروي عن ابن مسعود والجحدري وغيرهما: «وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسَ ضُحَاً» على معنى: وأن يحشر الله الناس ونحوه. وعن بعض القراء: «وَأَنْ تَحْشَرَ النَّاسَ»^(٥) والمعنى: وأن تحشر أنت يا فرعون الناس. وعن الجحدري أيضاً: «وَأَنْ نَحْشَرَ» بالنون^(٦). وإنما واعدهم ذلك اليوم؛ ليكون علو كلمة الله وظهور دينه وكبت الكافر

(١) إعراب القرآن للنحاس ٤٢/٣.

(٢) ينظر مجمع البيان ١١١/١٦ - ١١٢.

(٣) في إعراب القرآن ٤٢/٣.

(٤) الصحاح (ضحاً).

(٥) القراءات الشاذة ص ٨٨، والمحتسب ٥٤/٢.

(٦) المحرر الوجيز ٤٩/٤ دون نسبة.

وزهوَقُ الباطل على رؤوس الأشهاد، وفي المَجْمَعِ الغاصُّ؛ لتقوَى رغبةً من رَغْبٍ في الحقِّ، ويكلِّ حُدَّ المبطلين وأشياءِهم، ويكثرُ التحدُّثُ بذلك الأمر العام^(١) في كل بدوٍ وحضيرٍ، ويشيعُ في جمع أهل الوَبَرِ والمدَرِ^(٢).

قوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ﴾ أي: حَيْلَهُ وَسِخْرَهُ، والمراد جَمْعُ السَّحْرَةِ^(٣). قال ابن عباس: كانوا اثنين وسبعين ساحراً، مع كل ساحرٍ منهم حبالٌ وعِصِيٌّ. وقيل: كانوا أربع مئة. وقيل: كانوا اثني عشر ألفاً. وقيل: أربعة عشر ألفاً. وقال ابن المنكدر: كانوا ثمانين ألفاً. وقيل: كانوا مجمعين على رئيس يقال له: شمعون. وقيل: كان اسمه يوحنا معه اثنا عشر نقيباً، مع كل نقيبٍ عشرون عريفاً، مع كل عريفٍ ألفٌ ساحرٍ. وقيل: كانوا ثلاث مئة ألفٍ ساحرٍ من الفيوم، وثلاث مئة ألفٍ ساحرٍ من الصعيد، وثلاث مئة ألفٍ ساحرٍ من الريف، فصاروا تسع مئة ألفٍ، وكان رئيسهم أعمى^(٤).

﴿ثُمَّ أَنْ﴾ أي: أتى الميعاد. ﴿قَالَ لَهُمْ مُوسَى﴾ أي: قال لفرعون والسحرة: ﴿وَيْلَكُمْ﴾ دعاءٌ عليهم بالويل. وهو بمعنى المصدر. وقال أبو إسحاق الزجاج^(٥): هو منصوب بمعنى: ألزهم الله ويلاً. قال: ويجوز أن يكون نداءً، كقوله تعالى: ﴿يَتَوَلَّوْنَا مِنْ بَعْثِنَا﴾ [يس: ٥٢].

﴿لَا تَقْرَأُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ أي: لا تختلقوا عليه الكذب، ولا تُشركوا به، ولا تقولوا للمعجزات: إنها سحر^(٦). ﴿فَيَسْجُتْكُمْ بِعَذَابٍ﴾ من عنده، أي: يستأصلكم

(١) المثبت من (ظ)، وفي غيرها: ويكثر المحدث بذلك الأمر العلم.

(٢) تفسير الرازي ٧٣/٢٢.

(٣) الوسيط للواحد ٢١١/٣، وتفسير البغوي ٢٢١/٣.

(٤) سلفت هذه الأقوال في الأعراف ٢٩٥/٩، قال ابن عطية في المحرر الوجيز ٤٣٨/٢، وهذه الأقوال ليس لها سند يوقف عنده.

(٥) في معاني القرآن له ٣٦٠/٣، ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس في إعراب القرآن ٤٢/٣.

(٦) إعراب القرآن للنحاس ٤٢/٣ بنحوه.

بالإهلاك. يقال منه: سَحَتْ وأَسَحَتْ بمعنى. وأصله من استقصاء الشَّعر.

وقرأ الكوفيون: «فَيْسَحِحْتَكُمْ»^(١) من أَسَحَتْ، الباقون: «فَيْسَحَحْتَكُمْ» من سَحَتْ، وهذه لغة أهل الحجاز، [والأولى لغة] بني تميم. وانتصب على جواب النهي. وقال الفرزدق:

وَعَضُّ زَمَانٍ يَا ابْنَ مَرْوَانَ لَمْ يَدْعُ مِنْ الْمَالِ إِلَّا مُسَحِحَتًا أَوْ مُجَلَّفُ^(٢)
الزَّمخشرى: وهذا بيت لا تزال الركب تصطكُ في تسوية إعرابه^(٣).

﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ آفَرْتَنِي﴾ أي: خَسِرَ وَهَلَكَ، وخاب من الرحمة والثواب من ادَّعى على الله ما لم يأذن به.

قوله تعالى: ﴿فَنَنْزِعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى﴾^(١١) قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَ بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَّى﴾^(١٢) فَاجْمَعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ أَتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى﴾^(١٣)

قوله تعالى: ﴿فَنَنْزِعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ﴾ أي: تشاوروا، يريد السَّحرة. ﴿وَأَسْرُوا النَّجْوَى﴾. قال قتادة: قَالُوا: إن كان ما جاء به سحراً فسنغلبه، وإن كان من عند الله فسيكون له أمر، وهذا الذي أسروه. وقيل: الذي أسروا قولهم: «إِنَّ هَذَا لَسَاحِرَانِ» الآية، قاله السُّدِّيُّ ومقاتل. وقيل: الذي أسروا قولهم: إن غلبنا أتبعناه، قاله الكلبي، دليله ما ظهر من عاقبة أمرهم. وقيل: كان سِرُّهم أن قالوا حين قال لهم موسى: ﴿وَيْلَكُمْ لَا تَقْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾: ما هذا بقول ساحر^(٤). و«النجوى»: المناجاة،

(١) قرأ بها عاصم في رواية حفص وحمزة والكسائي. السبعة ص ٤١٩، والتيسير ص ١٥١.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٤٣/٣. وما بين حاصرتين زيادة ضرورية، وينظر تفسير الرازي ٧٣/٢٢، وفتح

القدير ٣٧٢/٣، والبيت في ديوان الفرزدق ص ٥٥٦، وقد سلف ٢٧٩/٥، و ٤٨٤/٧.

(٣) الكشف ٥٤٣/٢، وينظر ما ذكرناه في إعراب هذا البيت ٤٨٤/٧ - ٤٨٥.

(٤) هذه الأقوال في تفسير الطبري ٩٥/١٦ - ٩٧، والنكت والعيون ٤١٠/٣.

يكون اسماً ومصدرأ، وقد تقدّم في «النساء» بيانه^(١).

قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ﴾ قرأ أبو عمرو: «إِنَّ هَذَيْنِ لَسَاحِرَانِ»^(٢). ورويت عن عثمان وعائشة رضي الله عنهما وغيرهما من الصحابة^(٣)، وكذلك قرأ الحسن وسعيد بن جبير وإبراهيم النخعي وغيرهم من التابعين، ومن القراء عيسى بن عمر وعاصم الجحدري، فيما ذكر النحاس^(٤). وهذه القراءة موافقة للإعراب مخالفة للمصحف^(٥). وقرأ الزهري والخليل بن أحمد والمفضل وأبان وابن محيصن وابن كثير وعاصم في رواية حفص عنه: «إِنَّ هَذَا» - بتخفيف «إن» - «لساحران»، وابن كثير يشدّد نون «هذان»^(٦). وهذه القراءة سلمت من مخالفة المصحف ومن فساد الإعراب، ويكون معناها: ما هذان إلا ساحران^(٧). وقرأ المدنيون والكوفيون: «إِنَّ هَذَا» - بتشديد «إن» - «لساحران»^(٨)، فوافقوا المصحف وخالفوا الإعراب^(٩). قال النحاس^(١٠): فهذه ثلاث قراءات قد رواها الجماعة عن الأئمة، وروى عن عبد الله ابن مسعود أنه قرأ: «إِنَّ هَذَا إِلَّا سَاحِرَانِ»^(١١) وقال الكسائي في قراءة عبد الله: «أَنَّ هَذَا سَاحِرَانِ» بغير لام^(١٢)، وقال الفراء في حرف أبي: «إِنَّ ذَانِ إِلَّا

(١) ١٢٤/٧ - ١٢٥.

(٢) السبعة ص ٤١٩، والتيسير ص ١٥١.

(٣) زاد المسير ٢٩٧/٥، وتفسير الرازي ٧٤/٢٢.

(٤) في إعراب القرآن ٤٣/٣.

(٥) النكت والعيون ٤١٠/٣، وينظر الكشف عن وجوه القراءات ١٠٠/٢.

(٦) ينظر إعراب القرآن للنحاس ٤٣/٣، وقراءة ابن كثير وحفص في السبعة ص ٤١٩، والتيسير ص ١٥١.

(٧) النكت والعيون ٤١٠/٣.

(٨) السبعة ص ٤١٩، والتيسير ص ١٥١، والنشر ٣٢١/٢.

(٩) النكت والعيون ٤١٠/٣.

(١٠) في إعراب القرآن ٤٣/٣.

(١١) نسبها الزجاج في معاني القرآن ٣/٣٦١ لأبي.

(١٢) ذكرها الفراء في معاني القرآن ٢/١٨٤، والرازي في تفسيره ٧٤/٢٢. قال السمين في الدرر ٦٨/٨:

على أنها وما في حيزها بدل من «النجوى».

سَاحِرَانِ»^(١). فهذه ثلاث قراءات أخرى تُحمل على التفسير، لا أنها جائز أن يُقرأ بها؛ لمخالفتها المصحف.

قلت: وللعلماء في قراءة أهل المدينة والكوفة ستة أقوال؛ ذكرها ابن الأنباري في آخر كتاب «الرد» له، والنحاس في إعرابه^(٢)، والمهدوي في «تفسيره»، وغيرهم دخل^(٣) كلام بعضهم في بعض.

وقد خطأها قومٌ حتى قال أبو عمرو: إني لأستحي من الله أن أقرأ: «إِنَّ هَذَا»^(٤). وروى عروة عن عائشة رضي الله عنها أنها سُئلت عن قوله تعالى: ﴿لَكِنَّ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ [النساء: ١٦٢]، ثم قال: ﴿وَالْمُقِيمِينَ﴾ [النساء: ١٦٢] وفي «المائدة»: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّالِحِينَ﴾ [المائدة: ٦٩] و«إِنَّ هَذَا لَسَاحِرَانِ» فقالت: يا ابن أختي، هذا خطأ من الكاتب. وقال عثمان بن عفان ؓ: في المصحف لحنٌ، وستقيمه العرب بألسنتهم^(٥). وقال أبان بن عثمان: قرأت هذه الآية عند أبي عثمان بن عفان، فقال: لحنٌ وخطأ، فقال له قائل: ألا تُغيِّروه؟ فقال: دَعُوهُ، فإنه لا يُحرِّم حلالاً ولا يُحلِّل حراماً^(٦).

القول الأول من الأقوال الستة أنها لغة بني الحرث بن كعب وزبيد وخثعم وكنانة ابن زيد؛ يجعلون رفع الاثنين ونصبه وخفضه بالألف، يقولون: جاء الزيدان، ورأيتُ

(١) معاني القرآن للفراء ١٨٤/٢، ونسبها ابن خالويه في القراءات الشاذة ص ٨٨ لابن مسعود ؓ.

(٢) ٤٤/٣ - ٤٦.

(٣) في (م): أدخل.

(٤) زاد المسير ٢٩٧/٥، وتفسير الرازي ٧٤/٢٢.

(٥) معاني القرآن للفراء ١٨٣/٢، وتفسير الرازي ٧٤/٢٢. وسلف حديث عائشة ٢١٩/٧، ونقل المصنف ثمة عن القشيري قوله: هذا المسلك باطل، لأن الذين جمعوا الكتاب كانوا قدوة في اللغة، فلا يُظنُّ بهم أنهم يدرجون في القرآن ما لم ينزل. وينظر ما نقلناه عن الباقلاني في الرد على مثل هذه الأخبار.

(٦) لم تقف عليه.

الزيدان، ومررت بالزيدان، ومنه قوله تعالى: «ولا أذرتكم به»^(١) [يونس: ١٦] على ما تقدم. وأنشد الفراء^(٢) لرجلٍ من بني أسد، قال: وما رأيتُ أفصحَ منه:

فأطرقَ إطراقَ الشُّجاعِ ولو يَرَى مَسَاغَا لِنَابَاهُ الشُّجَاعُ لَصَمَّمَا^(٣)

ويقولون: كَسَرْتُ يَدَاهُ وَرَكِبْتُ عَلاَهُ؛ بمعنى: يديه وعليه؛ قال شاعرهم:

تَزَوَّدَ مِنَّا بَيْنَ أَذْنَاهُ ضَرْبَةً دَعْتَهُ إِلَى هَابِي الثُّرَابِ عَقِيمِ^(٤)

وقال آخر:

طَارُوا عَلاَهُنَّ فَطَرُ عَلاَهَا^(٥)

أي: عليهنّ، وعليها.

وقال آخر:

إِنَّ أَبَاهَا وَأَبَا أَبَاهَا قَدْ بَلَغَا فِي الْمَجْدِ غَايَتَاهَا^(٦)

أي: إِنَّ أَبَا أَبِيهَا وَغَايَتَيْهَا. قال أبو جعفر النحاس^(٧): وهذا القول من أحسن ما

(١) هي قراءة الحسن، وأصلها: «ولا أذرتكم» أبدلت الياء ألفاً لانتفاع ما قبلها، على لغة بني الحارث بن كعب كما سلف ٤٦٧/١٠ - ٤٦٨.

(٢) في معاني القرآن ١٨٤/٢، وينظر إعراب القرآن للنحاس ٤٥/٣.

(٣) الضبعي، وهو في الأصمعيات ص ٢٤٦، والشعر والشعراء ١٨٠/١، ومختارات ابن السجري ص ٢٩، وعند الأصمعي وابن السجري: لنايبه. والشجاع: ضرب من الحيات، وصمّم، أي: عضّ ونيّب فلم يرسل ما عضّ. الصحاح (شجع) و(صمم).

(٤) البيت لهوهر الحارثي، وهو في رسالة الصاهل والشاحج لأبي العلاء المعري ص ٨٣، والمحمر الوجيز ٥٠/٣، وتفسير الرازي ٧٦/٢٢. والهابي: تراب القبر. القاموس (هبو).

(٥) الرجز لبعض أهل اليمن كما في نوادر أبي زيد ص ٥٨، وفيه:

أيُّ قَلُوصٍ رَاكِبٍ تَسْرَاهَا طَارُوا عَلِيهِنَّ فَشُلَّ عَلاَهَا
وَاشَدَّدَ بِمِثْنِي حَقَبَ حَقْوَاهَا نَاجِيَةً وَنَاجِيًا أَبَاهَا

وأورده بلفظ المصنف الرازي في تفسيره ٧٥/٢٢.

(٦) الرجز لأبي النجم العجلي، وهو في ديوانه ص ٢٢٧.

(٧) في إعراب القرآن ٤٦/٣.

حُمِلت عليه الآية؛ إذ كانت هذه اللغة معروفةً، وقد حكاها من يُرتضى بعلمه وأمانته، منهم أبو زيد الأنصاري، وهو الذي يقول: إذا قال سيبويه: حَدَّثَنِي مَنْ أَثِقُ بِهِ فَإِنَّمَا يَعْنِينِي، وأبو الخطَّاب الأحمش، وهو رئيسٌ من رؤساء اللغة، والكسائي والفراء^(١) كلهم قالوا هذا على لغة بني الحرث بن كعب. وحكى أبو عُبَيْدة^(٢) عن أبي الخطَّاب أن هذه لغة بني كنانة. المهدويُّ: وحكى غيره أنها لغةٌ لخنعم^(٣).

قال النحاس^(٤): «ومن أبين ما في هذا قولٌ سيبويه: واعلم أنك إذا ثَبَّيتَ الواحد زِدْتَ عليه زائدتين، الأولى منهما حرف مدّ ولين، وهو حرف الإعراب، قال أبو جعفر: فقول سيبويه: وهو حرف الإعراب، يُوجب أن الأصلَ أَلَّا يَتَغَيَّرَ، فيكون «إِنَّ هَذَا» جاء على أصله ليعلم ذلك، وقد قال تعالى: ﴿أَسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ﴾ [المجادلة: ١٩]، ولم يقل: استحاذ؛ فجاء هذا ليدلَّ على الأصل، وكذلك «إِنَّ هَذَا»، ولا يُفكَّر في إنكار من أنكر هذه اللغة إذا كان الأئمة قد رَوَوْها.

القول الثاني: أن يكون «إِنَّ» بمعنى «نعم»، كما حكى الكسائي عن عاصم قال: العرب تأتي بـ«إِنَّ» بمعنى «نعم»، وحكى سيبويه أن «إِنَّ» تأتي بمعنى «أَجَلٌ»، وإلى هذا القول كان محمد بن يزيد وإسماعيل بن إسحاق القاضي يذهبان. قال النحاس: ورأيتُ أبا إسحاق الزجاج وعليَّ بن سليمان يذهبان إليه^(٥). الزمخشري^(٦): وقد أعجِبَ به أبو إسحاق.

النحاس^(٧): وحَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ سَلِيمَانَ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ

(١) في معاني القرآن ١٨٤/٢ .

(٢) في مجاز القرآن ٢١/٢ .

(٣) ذكره الرازي في تفسيره ٧٥/٢٢ عن قطرب.

(٤) في إعراب القرآن ٤٦/٣ - ٤٧ .

(٥) معاني القرآن للزجاج، وإعراب القرآن للنحاس ٤٤/٣ .

(٦) الكشف ٥٤٣/٢ .

(٧) في إعراب القرآن ٤٤/٣ .

السلام النيسابوري، ثم لقيت عبد الله بن أحمد فحدّثني، قال: حدّثني عمير بن المتوكل، قال: حدّثنا محمد بن موسى التوفلي من ولد حارث بن عبد المطلب، قال: حدّثنا عمرو^(١) بن جميع الكوفي، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن عليّ - وهو ابن الحسين - عن أبيه، عن عليّ بن أبي طالب رضوان الله عليهم أجمعين، قال: لا أحصي كم سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول على منبره: «إِنَّ الحمدُ لله نحمده ونستعينه»^(٢) ثم يقول: «أنا أفصحُ قريشِ كلِّها وأفصحُها بعدي أبانُ بن سعيد بن العاص»^(٣). قال أبو محمد الخفاف^(٤): قال عمير: إعرابه عند أهل العربية والنحو: «إِنَّ الحمدَ لله» بالنصب؛ إلا أن العربَ تجعل «إِنَّ» في معنى نعم، كأنه أراد ﷺ: نعم، الحمدُ لله؛ وذلك أن خطباء الجاهلية كانت تفتح خطبها بنعم. وقال الشاعر في معنى نعم:

قالوا غَدَرْتُ فقلتُ إِنَّ رَبِّمَا
وقال عبد الله بن قيس الرقيّات:

بَكَرَ العواذِلُ في الصَّبَا
ح يَلْمَنَنِي وألومُهُنَّه

(١) في (م): عمر، وهو خطأ، وعمرو بن جميع كذّبه ابن معين، وقال البخاري: منكر الحديث، وقال ابن عدي: يتهم بالوضع. ميزان الاعتدال ٢٥١/٣.

(٢) لم نقف عليه عند غير النحاس، وأورد ابن عطية في المحرر الوجيز ٥٠/٤ المرفوع منه.

(٣) لم نقف عليه، وقوله منه: «أنا أفصح قريش كلها» قال السيوطي في مناهل الصفا في تخريج أحاديث الشفا ص ٥٢: أورده أصحاب الغريب، ولا يُعرف له إسناد.

وأبان بن سعيد بن العاص: قرشيّ أموي، شهد بدرًا مشركاً، وأسلم أيام خيبر، وشهدها مع النبي ﷺ، ومات النبي ﷺ وأبان على البحرين. وقتل في أجنادين سنة ثلاث عشرة، وقيل غير ذلك. الإصابة ١٥/١ - ١٧، وينظر فتح الباري ١٩/٩.

(٤) هو عبد الله بن أحمد بن عبد السلام النيسابوري السالف ذكره في إسناد النحاس.

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٤٤/٣، والبيت في أمالي ابن الشجري ٤٢/٢، وشرح المفصل لابن يعيش ١٣٠/٣، وخزانة الأدب ٢١٥/١١.

وَيَقْلُنَّ شَيْبٌ قَدَ عَلَا لَكَ وَقَدْ كَبِرْتَ فَقُلْتُ إِنَّهُ^(١)

فعلى هذا جائز أن يكون قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ﴾ بمعنى نعم، ولا تنصب. قال النحاس^(٢): أنشدني داود بن الهيثم^(٣)، قال: أنشدني ثعلب:

ليت شعري هل للمحبِّ شفاءً من جَوَى حُبِّهِنَّ إِنْ اللِّقَاءُ

قال النحاس^(٤): وهذا قول حسن؛ إلا أن فيه شيئاً؛ لأنه إنما يقال: نعم زيد خارج، ولا تكاد تقع اللام هاهنا، وإن كان النحويون قد تكلموا في ذلك فقالوا: اللام يُنَوَّى بها التقديم، كما قال:

خالي لأنتَ وَمَنْ جَرِيرٌ خَالُهُ يَنْبُلِ العَلَاءُ وَيَكْرُمُ الأَخْوَالَ^(٥)

آخر:

أُمُّ الحُلَيْسِ لَعَجُوزٌ شَهْرَبَةٌ تَرْضَى مِنَ الشَّاةِ بَعْظَمِ الرَّقَبَةِ^(٦)

أي: لخالي، ولأمّ الحليس، وقال الزجاج^(٧): والمعنى في الآية: إن هذان لهما ساحران، ثم حذف المبتدأ. المهدي: وأنكره أبو علي^(٨) وأبو الفتح بن جني^(٩). قال

(١) ديوان عبيد الله (ويقال: عبد الله) بن قيس الرقيات ص ٦٦، والبيت الأول فيه:

بَكَرَتْ عَلِيٌّ عَوَاذِلِي يَلْحِينِنِي وَأَلُومَهِنَّةُ

(٢) في إعراب القرآن ٤٥/٣، وما قبله منه.

(٣) أبو سعد التنوخي الأنباري، النحوي، اللغوي، أخذ الأدب عن ثعلب. توفي سنة (٣١٦ هـ). السير ٤٨٣/١٤.

(٤) في إعراب القرآن ٤٦/٣.

(٥) هو في خزنة الأدب ٣٢٣/١٠.

(٦) ذكره البغدادي في خزنة الأدب ٣٢٢/١٠، وقال: قال العيني: قائله رؤبة بن العجاج، ونسبه

الصاغاني في العباب إلى عترة بن عروش، وهو الصحيح. اهـ. والشهيرة: العجوز الكبيرة.

(٧) في معاني القرآن له ٣٦٣/٣، ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس في إعراب القرآن ٤٦/٣.

(٨) الحجة ٢٣٠/٥.

(٩) في سر صناعة الإعراب ٣٨٠/١.

أبو الفتح: «هما» المحذوف لم يُحذف إلا بعد أن عُرف، وإذا كان معروفاً فقد استغني بمعرفته عن تأكيده باللام، وَيَقْبَحُ أن يُحذف المؤكِّد وَيُترك المؤكِّد.

القول الثالث: قاله الفراء أيضاً^(١): وجدت الألف دعامة ليست بلام الفعل، فزدت عليها نوناً ولم أغيرها، كما قلت: «الذي»، ثم زدت عليه نوناً فقلت: جاءني الذين عندك، ورأيت الذين عندك، ومررت بالذين عندك.

القول الرابع: قاله بعض الكوفيين، قال: الألف في «هذان» مُشبهة بالألف في يَفعلان، فلم تغير^(٢).

القول الخامس: قال أبو إسحاق^(٣): النحويون القدماء يقولون: الهاء هاهنا مضمرة، والمعنى: إنه هذان لساحران.

قال ابن الأنباري: فأضمرت الهاء التي هي منصوب «إن»، و«هذان» خبر «إن»، و«ساحران» يرفعها «هما» المضمرة، [والتقدير:]^(٤) إنه هذان لهما ساحران. والأشبهه عند أصحاب أهل هذا الجواب أن الهاء اسم «إن»، و«هذان» رفع بالابتداء، وما بعده خبر الابتداء^(٥).

القول السادس: قال أبو جعفر النحاس^(٦): وسألت أبا الحسن بن كيسان عن هذه الآية، فقال: إن شئت أجبتك بجواب النحويين، وإن شئت أجبتك بقولي؛

(١) في معاني القرآن له ١٨٤/٢، ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس في إعراب القرآن ٤٥/٣.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٤٦/٣.

(٣) هو الزجاج، وكلامه في كتابه معاني القرآن ٣/٣٦٢، ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس في إعراب القرآن ٤٦/٣.

(٤) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

(٥) يعني والجملة من المبتدأ والخبر في محل رفع خبر لـ «إن» وقد ضُعِفَ هذا القول - فيما ذكره السمين في الدر ٦٧/٨ - بأن حذف اسم إن غير جائز إلا في الشعر، وبأن اللام دخلت في الخبر.

(٦) في إعراب القرآن ٤٦/٣.

فقلت: بقولك، فقال: سألني إسماعيل بن إسحاق عنها فقلت: القول عندي أنه لما كان يقال: «هذا» في موضع الرفع والنصب والخفض على حال واحدة، وكانت التثنية يجب ألا يغير لها الواحد، أُجريت التثنية مُجرى الواحدة. فقال: ما أحسنَ هذا لو تقدّمك أحدٌ بالقول به حتى يؤنس به! قال ابن كيسان: فقلت له: فيقول القاضي^(١) به حتى يؤنس به؛ فتبسّم.

قوله تعالى: ﴿يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكَ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَّى﴾ هذا من قول فرعون للسحرة^(٢)، أي: غرضهما إفساد دينكم الذي أنتم عليه، كما قال فرعون: ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ [غافر: ٢٦]. ويقال: فلانٌ حسنُ الطريقة، أي: حسنُ المذهب. وقيل: طريقةُ القوم أفضلُ القوم^(٣)، وهذا الذي ينبغي أن يسلكوا طريقته ويقتدوا به، فالمعنى: ويذهب بسادتكم ورؤسائكم؛ استمالةً لهم. أو يذهب ببني إسرائيل وهم الأمثالُ وإن كانوا حوّلًا لكم لما يرجعون إليه من الانتساب إلى الأنبياء. أو يذهب بأهل طريقتكم، فحذف المضاف^(٤).

و«المثلى» تأنيت الأمثل، كما يقال: الأفضل والفضلى. وأنتُ الطريقة على اللفظ، وإن كان يُراد بها الرجال. ويجوز أن يكون التأنيتُ على الجماعة^(٥). وقال الكسائي: «بطريقتكم»: بسنتكم وسمتكم. و«المثلى» نعتٌ، كقولك: امرأةٌ كبرى. تقول العرب: فلان على الطريقة المثلى، يعنون: على الهدى المستقيم^(٦).

(١) يعني: القاضي إسماعيل بن إسحاق.

(٢) النكت والعيون ٤١١/٣.

(٣) في (م): القول، وهو خطأ.

(٤) الكلام بنحوه في تفسير الطبري ١٠٢/١٦ - ١٠٤، والنكت والعيون ٤١١/٣ - ٤١٢، وتفسير

البغوي ٢٢٣/٣.

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٤٧/٣.

(٦) تفسير البغوي ٢٢٣/٣.

قوله تعالى: ﴿فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ﴾ الإجماع: الإحكام والعزم على الشيء. تقول: أجمعتُ الخروجَ وعلى الخروج، أي: عزمْتُ^(١).

وقراءة كل الأمصار: «فَأَجْمِعُوا» إلا أبا عمرو، فإنه قرأ: «فَأَجْمَعُوا»، بالوصل وفتح الميم^(٢)، واحتجَّ بقوله: ﴿فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى﴾ [طه: ٦٠].

قال النحاس^(٣): وفيما حُكي لي عن محمد بن يزيد أنه قال: يجب على أبي عمرو أن يقرأ بخلاف قراءته هذه، وهي القراءة التي عليها أكثرُ الناس. قال: لأنه احتجَّ بـ «جمع». وقوله عزَّ وجلَّ: «فَجَمَعَ كَيْدَهُ» قد ثبت^(٤)، فيبعد أن يكون بعده: «فَأَجْمِعُوا»، ويقربُ أن يكون بعده: «فَأَجْمِعُوا» أي: إغزِمُوا وَجِدُوا، ولَمَّا تقدَّم ذلك وجب أن يكون هذا بخلاف معناه. يقال: أمر مُجَمَّعٌ ومُجَمَّعٌ عليه.

قال النحاس^(٥): وتصحيح^(٦) قراءة أبي عمرو: «فَأَجْمِعُوا»، أي: اجمعوا كلَّ كيدٍ لكم وكلَّ حيلة، فضمُّوه مع أخيه. وقاله أبو إسحاق^(٧).

الثعلبي: القراءة بقطع الألف وكسر الميم لها وجهان:

أحدهما: بمعنى الجمع، تقول: أجمعتُ الشيء وجمعتُه، بمعنى واحد^(٨). وفي «الصحاح»: وأجمعت الشيء: جعلته جميعاً، قال أبو ذؤيب يصفُ حُمراً:

فكأنها بالجِرْعِ بَيْنَ نُبَايِعِ وَأولاتِ ذِي العَرَجَاءِ نَهَبٌ مُجَمَّعٌ^(٩)

(١) معاني القرآن للفراء ١٨٥/٢ .

(٢) السبعة ص ٤١٩ ، والتيسير ص ١٥٢ .

(٣) في إعراب القرآن ٤٧/٣ ، وما قبله منه.

(٤) بعدها في (م): هذا.

(٥) في إعراب القرآن ٤٧/٣ .

(٦) في (م) و(د): ويصح. والمثبت موافق لإعراب القرآن للنحاس.

(٧) في معاني القرآن ٣/٣٦٥ .

(٨) الكلام بنحوه في تفسير البغوي ٣/٢٢٣ .

(٩) الصحاح (جمع)، والبيت في ديوان الهذليين ص ٦ ضمن قصيدة يرثي بها الشاعر أولاده الخمسة . =

أي: مجموع .

والثاني: أنه بمعنى العزم والإحكام، قال الشاعر:

يا ليت شعري والمُنَى لا تَنْفَعُ هل أَعْدُونَ يوماً وأمري مُجْمَعٌ^(١)
أي: مُحْكَم .

﴿ثُمَّ اثْتَوَا صَفًّا﴾ قال مقاتل والكلبي: جميعاً. وقيل: صفوفاً؛ ليكون أشدَّ لهيبتك^(٢). وهو منصوب بوقوع الفعل عليه على قول أبي عبيدة^(٣)، قال: يقال: أتيتُ الصَّفَّ، يعني المصلَّى، فالمعنى عنده: اثتوا الموضع الذي تجتمعون فيه يومَ العيد^(٤).

وحُكِيَ عن بعض فصحاء العرب^(٥): ما قدرتُ أن آتِيَ الصَّفَّ، يعني المصلَّى. وقال الزجاج^(٦): يجوز أن يكون المعنى: ثم اثتوا والناس مُصْطَفُونَ، فيكون على هذا مصدرًا في موضع الحال. ولذلك لم يُجمع.

وقُرى: «ثُمَّ ائْتُوا» بكسر الميم وياء^(٧). ومن ترك الهمز أبدل من الهمزة ألفاً^(٨). ﴿وَقَدْ أَقْلَحَ الْيَوْمَ مِنْ أَسْتَعْلَى﴾ أي: من غلب. وهذا كله من قول السحرة بعضهم لبعض. وقيل: من قول فرعون لهم^(٩).

= ونبأيع: اسم مكان أو جبل في ديار هذيل، وروي بتقديم الياء (يُنأيع). وأولات ذي العرجاء: مواضع نسبها إلى مكان فيه أكمة عرجاء. معجم البلدان ٢٥٧/٥ و ٩٨/٤ .

(١) معاني القرآن للفراء ١٨٥/٢ ، وسلف البيت ٢٢/١١ .

(٢) تفسير البغوي ٢٢٣/٣ .

(٣) في مجاز القرآن ٢٣/٢ ، ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس في إعراب القرآن ٤٧/٣ .

(٤) وهذا قول الزجاج أيضاً في معاني القرآن له ٣٦٥/٣ .

(٥) هو أبو العرب الكلبي، كما في مجاز القرآن ٢٣/٢ .

(٦) في معاني القرآن ٣٦٥/٣ .

(٧) نسبها ابن عطية في المحرر الوجيز ٥١/٤ لابن كثير في رواية شبل (وهي غير المشهورة عن ابن كثير). قال ابن مجاهد في السبعة ص ٤٢٠ : وهذا غلط، ولا وجه لكسرها.

(٨) الحجة لأبي علي الفارسي ٢٣٤/٥ .

(٩) النكت والعيون ٤١١/٣ - ٤١٢ .

قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَمْوَسِيَّ إِيمًا أَنْ تُلْقِي وَإِنَّمَا أَنْ تُكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى ۗ﴾ (٦٥) قَالَ بَلْ أَلْقَوُا فَإِذَا جَاهَلْتُمْ وَعَصِيَّتُهُمْ بِخَيْلٍ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهُمْ تَسَعَى ۗ﴾ (٦٦) فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى ۗ فَلَمَّا لَا تَخَفُ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى ۗ﴾ (٦٧) وَأَلْقَى مَا فِي يَمِينِكَ تَلَقَّفَ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سِحْرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَقَى ۗ﴾ (٦٨) فَأَلْقَى السَّحْرَةَ سُجَّدًا قَالُوا ءَأَمَّنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى ۗ﴾ (٦٩) قَالَ ءَأَمَنْتُمْ لَمْ قَبْلَ أَنْ ءَأَذِّنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَيْدُكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَأَلْصِقَنَّاكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَنَعْلَمَنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَلْقَى ۗ﴾ (٧١)

قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَمْوَسِيَّ﴾ يريد السحرة. ﴿إِنَّمَا أَنْ تُلْقَى﴾ عصاك من يدك ﴿وَأِنَّمَا أَنْ تُكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى﴾ تَأَدَّبُوا مع موسى، فكان ذلك سبب إيمانهم^(١). ﴿قَالَ بَلْ أَلْقَوُا فَإِذَا جَاهَلْتُمْ﴾ في الكلام حذف، أي: فآلقوا، دلَّ عليه المعنى^(٢).

وقرأ الحسن: ﴿وَعَصِيَّتُهُمْ﴾ بضم العين^(٣). قال هارون الفارسي: لغة بني تميم «وَعَصِيَّتُهُمْ»، وبها يأخذ الحسن^(٤). الباقرن بالكسر إبتاعاً لكسرة الصاد. ونحوه: ذُلِّيَّ وِدَلِّيَّ وَقِسِّيَّ وَقِسِّيَّ^(٥).

﴿بِخَيْلٍ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهُمْ تَسَعَى﴾، وقرأ ابن عباس وأبو حيوة وابن ذكوان ورواح عن يعقوب: «تُخَيِّلُ» بالياء^(٦)، وردَّوه إلى العِصِيَّ والحبال؛ إذ هي مؤنثة. وذلك أنهم لطحوا العِصِيَّ بالزئبق، فلَمَّا أصابها حرّ الشمس ارتهشت واهتزت^(٧). قال الكلبي:

(١) تفسير الرازي ٨١/٢٢.

(٢) تفسير البغوي ٢٢٤/٣.

(٣) القراءات الشاذة ص ٨٨، ونسبها لعيسى.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٤٨/٣.

(٥) تفسير الرازي ٨٣/٢٢.

(٦) قراءة ابن ذكوان (وهو راوي ابن عامر) وقراءة رُوِّح عن يعقوب في التيسير ص ١٥٢، والنشر ٣٢١/٢.

(٧) تفسير البغوي ٢٢٤/٣.

خُيِّلَ إِلَى مُوسَى أَنَّ الْأَرْضَ حَيَاتٌ، وَأَنَّهَا تَسْعَى عَلَى بطنِهَا^(١).

وَقُرئ: «تُخَيِّلُ» بمعنى تتخيل، وطريقه طريق «تُخَيِّلُ»^(٢)، ومن قرأ: «يُخَيِّلُ» بالياء ردّه إلى الكيد^(٣). وقرئ: «نُخَيِّلُ» بالنون؛ على أن الله هو المُخَيِّلُ، للمحنة والابتلاء^(٤).

وقيل: الفاعل «أَنَّهَا تَسْعَى»، فـ «أَنَّ» في موضع رفع، أي: يَخَيِّلُ إِلَيْهِ سَعِيَّهَا، قاله الزَّجَّاجُ^(٥). وزعم الفراء^(٦) أن موضعها موضع نصب؛ أي: بأنها، ثم حذف الباء.

والمعنى في الوجه الأوّل: تشبّه إليه من سحرهم وكيدهم حتى ظنّ أنها تسعى. وقال الزَّجَّاجُ^(٧): «ومن قرأ بالتاء جعل «أَنَّ» في موضع نصب، أي: تُخَيِّلُ إِلَيْهِ ذَاتَ سَعِي. قال: ويجوز أن تكون في موضع رفع بدلاً من الضمير في «تُخَيِّلُ»، وهو عائد على الحبال والعِصِيّ، والبدل فيه بدل اشتمال. و«تسعى» معناه: تمشي.

قوله تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى﴾ أي: أضمر. وقيل: وَجَدَ. وقيل: أحسّ، أي: من الحيّات، وذلك على ما يعرض من طباع البشر على ما تقدّم^(٨). وقيل: خاف أن يفتتنَ الناسُ قبل أن يُلقِيَ عصاه. وقيل: خاف حين أبطأ عليه الوحي بإلقاء العصا أن يفترق الناسُ قبل ذلك فيفتنوا^(٩).

وقال بعض أهل الحقائق: إنما كان السبب أن موسى عليه السلام لما التقى

(١) الوسيط للواحي ٢١٤/٣.

(٢) نسبها السمين في الدر المصون ٧٣/٨ لأبي السّمّال.

(٣) تفسير البغوي ٢٢٤/٣.

(٤) الكشاف ٥٤٤/٢، ونسبها أبو حيان في البحر ٢٥٩/٦ لأبي حيوة.

(٥) في معاني القرآن له ٣٦٦/٣.

(٦) في معاني القرآن له ١٨٦/٢، ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس في إعراب القرآن ٤٨/٣.

(٧) في معاني القرآن ٣٦٦/٣، ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس.

(٨) ص ٦٧-٦٨ من هذا الجزء.

(٩) إعراب القرآن للنحاس ٤٨/٣، وتفسير الرازي ٨٤/٢٢.

بالسحرة وقال لهم: ﴿وَيْلَكُمْ لَا تَفْقَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ﴾ [طه: ٦١] التفت، فإذا جبريلُ على يمينه، فقال له: يا موسى، تَرَفَّقْ بأولياء الله. فقال موسى: يا جبريلُ، هؤلاء سحرة جاؤوا بسحر عظيم ليبتلوا المعجزة، وينصروا دينَ فرعون، ويردوا دينَ الله، تقول: تَرَفَّقْ بأولياء الله! فقال جبريل: هم من الساعة إلى صلاة العصر عندك، وبعد صلاة العصر في الجنة. فلما قال له ذلك، أوجس في نفس موسى، وخطر أن ما يُدريني ما عَلِمُ الله فيّ، فلعلِّي أكون الآن في حالة، وَعَلِمَ اللهُ فيّ على خلافها كما كان هؤلاء. فلَمَّا علم الله ما في قلبه أوحى الله إليه: ﴿لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾ أي: الغالب لهم في الدنيا، وفي الدرجات العلا في الجنة، للنبوة والاصطفاء الذي أتاك الله به.

وأصل «خيفة»: خوفاً، فانقلبت الواو ياء لانكسار الخاء^(١).

قوله تعالى: ﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا﴾ ولم يقل: وألق عصاك، فجائز أن يكون تصغيراً لها، أي: لا تُبال بكثرة حبالهم وعصيتهم، وألق العويد الفرد الصغير الجرم الذي في يمينك، فإنه بقدره الله يتلقفها على وحدته وكثرتها، وصغره وعظمتها. وجائز أن يكون تعظيماً لها، أي: لا تحفل بهذه الأجرام الكثيرة الكبيرة، فإن في يمينك شيئاً أعظم منها كلها، وهذه على كثرتها أقل شيء وأنزره عندها، فألقه يتلقفها بإذن الله ويمحقها^(٢).

و«تلقف» بالجزم جواب الأمر، كأنه قال: إن تلقه يتلقف، أي: تأخذ وتبتلع.

وقرأ السلمي وحفص: «تلقف» ساكنة اللام؛ من لقف يلقف لقفاً. وقرأ ابن ذكوان وأبو حيوة الشامي ويحيى بن الحارث: «تلقف» بحذف التاء ورفع الفاء، على معنى فإنها تتلقف^(٣).

(١) إعراب القرآن للنحاس ٤٩/٣ .

(٢) تفسير الرازي ٨٤/٢٢ .

(٣) قراءة حفص راوي عاصم وقراءة ابن ذكوان راوي ابن عامر في السبعة ص ٤٢٠ ، والتيسير ص ١١٢ .

والخِطَابَ لِمُوسَى. وَقِيلَ: لِلْعَصَا. وَاللَّقْفُ: الْأَخْذُ بِسُرْعَةٍ؛ يُقَالُ: لَقِفْتُ الشَّيْءَ بِالْكَسْرِ - أَلْقَفُهُ لَقْفًا، وَتَلَقَّفْتُهُ أَيْضًا، أَي: تَنَاوَلْتَهُ بِسُرْعَةٍ. عَنِ يَعْقُوبَ: يُقَالُ: رَجُلٌ لَقِفٌ ثَقِفٌ، أَي: خَفِيفٌ حَادِقٌ. وَاللَّقْفُ - بِالْتَحْرِيكِ -: سَقُوطُ الْحَائِطِ. وَلَقَدْ لَقِفَ الْحَوْضُ لَقْفًا، أَي: تَهَوَّرَ مِنْ أَسْفَلِهِ وَاتَّسَعَ^(١). وَتَلَقَّفَ وَتَلَقَّمْ وَتَلَهَّمْ بِمَعْنَى. وَقَدْ مَضَى فِي «الْأَعْرَافِ»^(٢). لَقِمْتُ اللَّقْمَةَ بِالْكَسْرِ لَقْمًا، وَتَلَقَّمْتُهَا: إِذَا ابْتَلَعْتَهَا فِي مُهْلَةٍ. وَكَذَلِكَ لِهَمَّهُ بِالْكَسْرِ: إِذَا ابْتَلَعَهُ^(٣).

﴿مَا صَنَعُوا﴾ أَي: الَّذِي صَنَعُوهُ، وَكَذَا ﴿إِنَّمَا صَنَعُوا﴾ أَي: إِنَّ الَّذِي صَنَعُوهُ. ﴿كَيْدٌ﴾ بِالرَّفْعِ ﴿سِحْرٍ﴾ بِكَسْرِ السِّينِ وَإِسْكَانِ الْحَاءِ، وَهِيَ قِرَاءَةُ الْكُوفِيِّينَ إِلَّا عَاصِمًا^(٤). وَفِيهِ وَجْهَانٌ:

أحدهما: أَنْ يَكُونَ الْكَيْدُ مِضَافًا إِلَى السِّحْرِ عَلَى الْإِتْبَاعِ مِنْ غَيْرِ تَقْدِيرِ حَذْفٍ. وَالثَّانِي: أَنْ يَكُونَ فِي الْكَلَامِ حَذْفٌ، أَي: كَيْدٌ ذِي سِحْرٍ^(٥).

وَقَرَأَ الْبَاقُونَ: «كَيْدٌ»^(٦) بِالنَّصْبِ بِوَقُوعِ الصَّنْعِ عَلَيْهِ، وَ«مَا» كَافَّةً، وَلَا تُضْمَرُ هَاءٌ.

«سَاحِرٍ» بِالْإِضَافَةِ. وَالْكَيْدُ فِي الْحَقِيقَةِ عَلَى هَذِهِ الْقِرَاءَةِ مِضَافٌ لِلْسَّاحِرِ؛ لَا لِلْسِّحْرِ. وَيَجُوزُ فَتْحُ «أَنَّ» عَلَى مَعْنَى: لِأَنَّ مَا صَنَعُوا كَيْدٌ سَاحِرٌ^(٧).

﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ أَي: لَا يَفُوزُ وَلَا يَنْجُو حَيْثُ أَتَى مِنَ الْأَرْضِ. وَقِيلَ:

(١) الصَّحَاحُ (لَقْفٌ). وَيَعْقُوبُ: هُوَ ابْنُ السَّكَيْتِ، وَقَوْلُهُ فِي إِصْلَاحِ الْمَنْطِقِ ص ٧٤. وَقَوْلُهُ: ثَقِفٌ لَقْفٌ؛ قِيدَهُ الْفَيْرُوزُ أَبَادِي فِي الْقَامُوسِ (لَقْفٌ) بِالْفَتْحِ، وَكَتَفٌ، وَأَمِيرٌ.

(٢) ٢٩٧/٩ - ٢٩٨.

(٣) الصَّحَاحُ (لَقْمٌ) وَ(لَهْمٌ).

(٤) السَّبْعَةُ ص ٤٢١، وَالتَّيْسِيرُ ص ١٥٢.

(٥) تَفْسِيرُ الرَّازِي ٨٥/٢٢.

(٦) ظَاهِرُ الْعِبَارَةِ يُوهِمُ أَنَّ قِرَاءَةَ «كَيْدٌ» بِالنَّصْبِ هِيَ مِنَ الْمَتَوَاتِرِ، لَكِنَّا قِرَاءَةُ شَاذَةٌ، قَرَأَ بِهَا ابْنُ مَسْعُودٍ ؓ وَأَبُو عَمْرَانَ الْجَوْنِي. زَادَ الْمَسِيرُ ٣٠٦/٥، وَالْمَحْرَرُ الْوَجِيزُ ٥٢/٤.

(٧) إِعْرَابُ الْقُرْآنِ لِلنَّحَّاسِ ٤٩/٣. وَقَوْلُهُ: يَجُوزُ فَتْحُ «أَنَّ» يَعْنِي فِي اللُّغَةِ لَا فِي التَّلَاوَةِ.

حيث احتال. وقد مضى في «البقرة» حكمُ الساحر ومعنى السحر؛ فتأملهُ هناك^(١).

قوله تعالى: ﴿فَأَلْقَى السَّحْرَةَ سَاجِدًا﴾ لِمَا رَأَوْا مِنْ عَظِيمِ الْأَمْرِ وَخَرَقِ الْعَادَةِ فِي الْعَصَا، فَإِنَّهَا ابْتَلَعَتْ جَمِيعَ مَا احْتَالُوا بِهِ مِنَ الْحِبَالِ وَالْعِصِيِّ، وَكَانَتْ حَمَلًا ثَلَاثَ مِائَةٍ بَعِيرٍ، ثُمَّ عَادَتْ عَصَاً لَا يَعْلَمُ أَحَدٌ أَيْنَ ذَهَبَتِ الْحِبَالُ وَالْعِصِيُّ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى^(٢). وقد مضى في «الأعراف»^(٣) هذا المعنى وأمر العصا مستوفى.

﴿قَالُوا ءَأَمْنَا رَبِّ هَرُونَ وَمُوسَى * قَالَ ءَأَمَنْتُمْ لَكُمْ﴾ أي: به، يقال: آمن له، وآمن به، ومنه: ﴿فَأَمَّنَ لَمْ لُوطٌ﴾ [العنكبوت: ٢٦]، وفي «الأعراف» قال: ﴿ءَأَمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ ءَأَذَنَ لَكُمْ﴾ [الآية: ١٢٣] إنكارٌ منه عليهم، أي: تعدّيتهم وفعلتُم ما لم أمركم به.

﴿إِنَّهُمْ لَكَايِرُكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ﴾. أي: رئيسكم في التعليم، وإنما غلبكم لأنه أحذقُ به منكم. وإنما أراد فرعونُ بقوله هذا لِيُشَبِّهَ عَلَى النَّاسِ حَتَّى لَا يَتَّبِعُوهُمْ فَيُؤْمِنُوا كإيمانهم، وإلا فقد علم فرعونُ أنهم لم يتعلّموا من موسى، بل قد علّموا السحر قبل قدوم موسى وولادته^(٤). ﴿فَلَا قُطِعَ أَيْدِيكُمْ وَأَنْجِلْكُمْ مِنْ خِلْفِ وَلَا ضَلَبْنَكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ﴾ أي: على جذوع النخل^(٥). قال سويد بن أبي كاهل:

هُمُ صَلَبُوا الْعَبْدِيَّ فِي جَذَعِ نَخْلَةٍ فَلَا عَطَسَتْ شَيْبَانُ إِلَّا بِأَجْدَعَا^(٦)
فَقَطَّعَ وَصَلَّبَ حَتَّى مَاتُوا رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى.

وقرأ ابن مُحَيِّصِنَ هُنَا وَفِي «الأعراف» [الآية: ١٢٤]: «فَلَا قُطِعَنَّ»، «وَلَا ضَلَبْنَكُمْ»

(١) ٢٧٢/٢ وما بعدها.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٤٩/٣.

(٣) ٢٩٧/٩ - ٢٩٨.

(٤) تفسير أبي الليث ٣٤٩/٢ بنحوه.

(٥) مجاز القرآن ٢٣/٢، وتفسير الطبري ١١٥/١٦.

(٦) أمالي ابن الشجري ٦٠٦/٢، ونسبه البصري في حماسته ٨٠/١ لقراد بن حنش الصاردي. والأجدع:

المقطوع الأنف. شرح أبيات المغني للبغدادي ٦٢/٤.

بفتح الألف والتخفيف؛ من قطع وصلب^(١). ﴿وَلَنَعْلَمَنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى﴾ يعني: أنا أم رب موسى^(٢).

قوله تعالى: ﴿قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْيَاسِنِ وَالَّذِي فَطَرْنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٧١﴾ إِنَّا ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِنَعْفِرَ لَنَا خَطِيئَتَنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السَّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿٧٢﴾ إِنَّهُمْ مِنْ بَنَاتِ رَبِّهِمُ مَحْجُورَاتٌ فَإِنْ لَمْ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُنَّ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٣﴾ وَمَنْ يَأْتِهِمْ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ ﴿٧٤﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى ﴿٧٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قَالُوا﴾ يعني السحرة ﴿لَنْ نُؤْثِرَكَ﴾ أي: لن نختارك ﴿عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْيَاسِنِ﴾ قال ابن عباس: يريد من اليقين والعلم^(٣). وقال عكرمة وغيره: لَمَّا سجدوا أراهم الله في سجودهم منازلهم في الجنة؛ فهذا قالوا: «لن نُؤْثِرَكَ»^(٤).

وكانت امرأة فرعون تسأل: من غلب؟ فقيل لها: غلب موسى وهارون، فقالت: آمنتُ بربِّ موسى وهارون. فأرسل إليها فرعونُ فقال: انظروا أعظمَ صخرة؛ فإنَّ مَضَّتْ^(٥) على قولها فألقوها عليها، فلما أتوها رفعت بصرها إلى السماء، فأبصرت منزلها في الجنة، فمضت على قولها؛ فنزع الله روحها^(٦)، وألقيت الصخرة على جسدها وليس فيها روح^(٧).

وقيل: قال مقدم السحرة لمن يثقُ به لَمَّا رأى من عصا موسى ما رأى: أنظر إلى

(١) القراءات الشاذة ص ٨٨.

(٢) المحرر الوجيز ٤/٥٣، وزاد الميسر ٥/٣٠٧.

(٣) ذكره البغوي في تفسيره ٣/٢٢٥ دون نسبة.

(٤) الوسيط للواحد ٣/٢١٤ - ٢١٥.

(٥) في النسخ الخطية: مرت، والمثبت من (م).

(٦) في (خ) و(د) و(ز) و(ف) و(م): فانتزع روحها، والمثبت من (ظ).

(٧) أخرجه الطبري ٢٣/١١٥ عن القاسم بن أبي بزة.

هذه الحيّة: هل تجوّفت فتكون جنياً، أو لم تتجوّف فهي من صنعة الصانع الذي لا يعزّب عليه مصنوع؟ فقال: ما تجوّفت^(١)؛ فقال: آمنتُ بربِّ هارون وموسى.

﴿وَالَّذِي فَطَرَنَا﴾ قيل: هو معطوفٌ على ﴿مَا جَاءَنَا مِنَ الْيَتْنِ﴾ أي: لن نؤثرك على ما جاءنا من الينات، ولا على الذي فَطَرْنَا، أي: خَلَقْنَا. وقيل: هو قسم؛ أي: والله لن نؤثرك^(٢).

﴿فَأَقِصْ مَا أَنْتَ قَاضٍ﴾ التقدير: ما أنت قاضيه. وليست «ما» هاهنا التي تكونُ مع الفعل بمنزلة المصدر؛ لأنَّ تلك تُوصَلُ بالأفعال، وهذه موصولةٌ بابتداءٍ وخبر^(٣). قال ابن عباس: فاصنع ما أنت صانع^(٤). وقيل: فاحكم ما أنت حاكم، أي: من القَطْع والصلب^(٥). وحُذفت الياء من قاضٍ في الوصلِ لسكونها وسكون التنوين. وأجاز^(٦) سيبويه إثباتها في الوقف لأنه قد زالت علّة التقاء الساكنين.

﴿إِنَّمَا نَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ أي: إنّما ينفذُ أمرُك فيها. وهي منصوبةٌ على الظرف، والمعنى: إنّما نقضي في متاع هذه الحياة الدنيا^(٧)، أو وقت هذه الحياة الدنيا، فتقدّر حذف المفعول. ويجوز أن يكون التقدير: إنّما نقضي أمورَ هذه الحياة

(١) في (د) و(م): ..هل تخوفت.. أو لم تتخوف.. ما تخوفت.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٤٩/٣ - ٥٠.

(٣) جوّز جماعة كثيرة أن توصل ما المصدرية بالجملة الاسمية، فيما قاله السمين في الدرر المصون ٧٨/٨. وقد ذكر الوجوهين (يعني أن تكون ما موصولة أو مصدرية ظرفية) المكبري في إملة ما من به الرحمن ٥٨٩/٣ (على هامش الفتوحات الإلهية).

(٤) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٤١٤/٣، والواحدي في الوسيط ٢١٥/٣، والبغوي في تفسيره ٢٢٥/٣ دون نسبة.

(٥) النكت والعيون ٤١٤/٣، والواحدي في الوجيز ٢٣/٢ (على هامش مراح لبيد).

(٦) في (د) و(م) وإعراب القرآن للنحاس ٥٠/٣ (والكلام منه): واختار، والمثبت من باقي النسخ، وينظر الكتاب ١٨٣/٤ - ١٨٥.

(٧) إعراب القرآن للنحاس ٥٠/٣.

الدنيا، فَتَنْتَصِبَ انتصابَ المفعول، و«ما» كَافَّةٌ لِأَنَّ^(١). وأجاز الفراء الرفع على أن تجعل «ما» بمعنى الذي، وتحذف الهاء من تقضي، ورفعت «هذه الحياة الدنيا»^(٢).

﴿إِنَّا ءَامَنَّا بِرَبِّنَا﴾ أي: صدقنا بالله وحده لا شريك له وما جاءنا به موسى ﴿لِيَغْفِرَ لَنَا خَطِيئَاتِنَا﴾ يريدون الشُّركَ الذي كانوا عليه^(٣). ﴿وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ﴾ «ما» في موضع نصبٍ معطوفةٌ على الخطايا. وقيل: لا موضع لها، وهي نافية، أي: ليغفر لنا خطايانا من السحر وما أكرهتنا عليه.

النحاس^(٤): والأول أولى. المهدوي: وفيه بعد؛ لقولهم: ﴿أَيْنَ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾ [الشعراء: ٤١]، وليس هذا بقول مُكْرَهِينَ؛ ولأنَّ الإكراهَ ليس بذنب، وإن كان يجوز أن يكونوا أكرهوا على تعلمه^(٥) صغاراً. قال الحسن: كانوا يُعَلِّمُونَ السحر أطفالاً، ثُمَّ عَمِلُوهُ مختارين بعد^(٦). ويجوز أن يكون «ما» في موضع رفعٍ بالابتداء ويضمُ الخبر، والتقدير: وما أكرهتنا عليه من السحر موضوعٌ عنَّا^(٧). و«من السحر» على هذا القول والقول الأوَّل يتعلَّق بـ «أكرهتنا». وعلى أنَّ «ما» نافيةٌ؛ يتعلَّق بـ «خطايانا»^(٨).

﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ أي: ثوابه خيرٌ وأبقى. فحذف المضاف؛ قاله ابن عباس. وقيل: الله خيرٌ لنا منك، وأبقى عذاباً لنا من عذابك لنا. وهو جوابُ قوله: ﴿وَلَنَعْلَمَنَّ

(١) الكلام بنحوه في إملاء ما منَّ به الرحمن ٥٨٨/٣ (على هامش الفتوحات الإلهية).

(٢) معاني القرآن للفراء ١٨٧/٢، وإعراب القرآن للنحاس ٥٠/٣، ومشكل إعراب القرآن ٤٦٩/٢-٤٧٠.

وكلام الفراء في جواز رفع «الحياة» يعني في اللغة لا في التلاوة.

(٣) الوسيط للواحد ٢١٥/٣ عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) في إعراب القرآن ٥٠/٣.

(٥) في (خ) و(د) و(ز) و(م): تعليمه، والمثبت من (ظ).

(٦) تفسير البغوي ٢٢٥/٣ بنحوه.

(٧) البيان لأبي البركات الأنباري ١٤٩/٢، وإملاء ما منَّ به الرحمن ٥٨٩/٣ (بهامش الفتوحات الإلهية).

(٨) مشكل إعراب القرآن ٤٧٠/٢.

أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى ﴿١﴾ . وقيل : الله خيرٌ لنا إنْ أطعناه ، وأبقى عذاباً منك إنْ عصيناه^(١) .

قوله تعالى : ﴿ إِنَّكُمْ مِنْ يَأْتِ رَبِّهِمْ مَجْرِمًا ﴾ قيل : هو من قول السحرة لَمَّا آمنوا . وقيل : ابتداءً كلام من الله عزَّ وجلَّ^(٢) . والكناية في «إنه» ترجعُ إلى الأمر والشأن^(٣) . ويجوز : إنَّ مَنْ يَأْتِ ، ومنه قول الشاعر :

إِنَّ مَنْ يَدْخُلُ الْكَنِيسَةَ يَوْمًا يَلْتَقُ فِيهَا جَاذِرًا وَظَبَاءً^(٤)
أراد : إنَّه من يدخل .

أي : إنَّ الأمر هذا ، وهو أنَّ المجرمَ يدخل النَّارَ ، والمؤمنَ يدخلُ الجَنَّةَ .

والمجرم : الكافر^(٥) . وقيل : الذي يقترب المعاصي ويكتسبها . والأول أشبه ؛ لقوله : ﴿ فَإِنَّ لَمْ يَهْتَمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ﴾ . وهذه صفةُ الكافر المُكذَّب الجاحد ؛ على ما تقدَّم بيَّنه في سورة «النساء»^(٦) وغيرها ، فلا يَنْتفع بحياته ، ولا يَسْتريح بموته . قال الشاعر :

أَلَا مَنْ لِنَفْسٍ لَا تَمُوتُ فَيَنْقُضِي شَقَاها وَلَا تَحْيَا حَيَاةً لَهَا طَعْمُ^(٧)
وقيل : نفسُ الكافر معلقةٌ في حَنْجرتِه ، كما أخبر الله تعالى عنه ، فلا يَمُوتُ بفراقها ، ولا يحيى باستقرارها^(٨) .

(١) الكلام بنحوه في النكت والعيون ٣/٤١٥ ، والمحزر الوجيز ٤/٥٣ ، وتفسير البغوي ٣/٢٢٥ .

(٢) المحزر الوجيز ٤/٥٣ .

(٣) تفسير الرازي ٢٢/٩٠ .

(٤) نسبته ابن السيد البطليوسي في الحلل ص ٢٨٧ للأخطل ، ولم تقف عليه في ديوانه من رواية السكري ، وكذا قال البغدادي في الخزانة ١/٤٥٨ . والجاذر : جمع جُوذُر ، وهو ولد البقرة .

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط ٣/٢١٥ عن ابن عباس رضي الله عنهما .

(٦) ٦/٩٢ .

(٧) البيت في النكت والعيون ٣/٤١٥ ، والوسيط للواحدي ٣/٢١٥ ، وزاد المسير ٥/٣٠٩ ، واللسان (طعم) .

(٨) النكت والعيون ٣/٤١٥ .

ومعنى ﴿مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا﴾: من يأت موعداً ربه. ومعنى ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا﴾ أي: يمت عليه، ويؤا فيه مصداقاً به. ﴿فَدَعَمَلٌ﴾ أي: وقد عمل ﴿أَلْصَلِحَاتِ﴾ أي: الطاعات وما أمر به ونهى عنه. ﴿فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى﴾ أي: الرفيعة التي قصرت دونها الصفات. ودلّ قوله: ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا﴾ على أن المراد بالمجرم المشرك.

قوله تعالى: ﴿جَنَّتٌ عَدْنٌ﴾ بيانٌ للدَّرَجَاتِ وبدلٌ منها، والعدن: الإقامة، وقد تقدّم بيانه (١). ﴿تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا﴾ أي: من تحت عُرفها وسُرُرِها ﴿الْأَنْهَارُ﴾ من الخمر والعسل واللبن والماء، وقد تقدّم (٢). ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ أي: ماكثين دائمين. ﴿وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى﴾ أي: من تطهّر من الكفر والمعاصي.

ومن قال: هذا من قول السحرة؛ قال: لعلّ السحرة سمعوه من موسى، أو من بني إسرائيل إذ كان فيهم بمصر أقوام، وكان فيهم أيضاً المؤمن من آل فرعون. قلت: ويحتمل أن يكون ذلك إلهاماً من الله لهم، أنطقهم بذلك لما آمنوا. والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَفْ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى ۖ فَنَجِّيهِمْ بِعَبْرَتِهِمْ فَنَجِّيهِمْ مِنْ آلِيمٍ مَا غَشِيَهُمْ ۗ ۝٧٨ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَىٰ ۗ ۝٧٩﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي﴾ تقدّم الكلام في هذا مستوفى. ﴿فَاصْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا﴾ أي: يابساً لا طين فيه ولا ماء، وقد مضى في «البقرة» ضرب موسى البحر، وكُنِيته إِيَّاهُ (٣)، وإغراق فرعون، فلا معنى للإعادة. ﴿لَا تَخَفْ دَرَكًا﴾ أي: لحاقاً من فرعون وجنوده. ﴿وَلَا تَخْشَى﴾. قال ابن جريج:

(١) ٢٦٤/١٣ - ٢٦٥.

(٢) ٢١٨/١٢.

(٣) سلف ٩٢/٢ - ٩٣.

قال أصحاب موسى له: هذا فرعون قد أدرگنا، وهذا البحرُ قد غَشِينَا، فأنزل الله تعالى: ﴿لَا تَخَفْ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى﴾ أي: لا تخاف دَرَكَاً من فرعون، ولا تخشى غَرَقاً من البحر إن غَشِيكَ^(١).

وقرأ حمزة: «لا تَخَفْ»^(٢) على أنه جواب الأمر. التقدير: إن تضرب لهم طريقاً في البحر لا تَخَفْ. «ولا تخشى» مستأنفٌ على تقدير: ولا أنت تخشى^(٣). أو يكون مجزوماً، والألف مشبعةٌ من فتحة، كقوله: ﴿فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا﴾ [الأحزاب: ٦٧]، أو يكون على حدِّ قول الشاعر:

كَأَنْ لَمْ تَرَى قَبْلِي أُسِيرًا يَمَانِيًا^(٤)

على تقدير حذف الحركة كما تُحذف حركة الصَّحِيح. وهذا مذهبُ الفراء^(٥).

وقال آخر:

هَجَوْتُ زَبَانَ ثَم جِئْتُ مَعْتَدِرًا
مَنْ هَجَوِ زَبَانَ لَمْ تَهْجُو وَلَمْ تَدْعِ^(٦)

وقال آخر:

أَلَمْ يَأْتِيكَ وَالْأَنْبَاءُ تَنْوِي
بِمَا لَأَقْتُ لَبُونِ بَنِي زِيَادِ^(٧)

قال النحاس^(٨): وهذا من أقبح الغلط أن يُحمل كتابُ الله عزَّ وجلَّ على الشذوذ

(١) في (د): أن يمستك، وفي (م): أن يمستك إن غشيك، والمثبت من (خ) و(ز) و(ظ) و(ف)، وهو الموافق للنكت والعيون ٤١٥/٣ - ٤١٦ والكلام منه.

(٢) السبعة ص ٤٢١، والتيسير ص ١٥٢.

(٣) في (خ) و(ز) و(ف): ولا أنت لا تخشى، وفي (د): ولا أنت ولا تخشى، والمثبت من (ظ) و(م). والكلام في مشكل إعراب القرآن ٤٧٠/٢، والبيان لأبي البركات الأنباري ١٥٠/٢.

(٤) قائله عبد يغوث الحارثي اليميني، وصدرة: وتضحك مني شيخة عشمية، وهو في خزنة الأدب ٢٠١/٢.

(٥) في معاني القرآن ١٨٧/٢ - ١٨٨.

(٦) البيت لأبي عمرو بن العلاء البصري يخاطب به الفرزدق، وكان هجاء ثم جاءه معتدراً، وزبان هو أبو عمرو نفسه. والبيت في معاني القرآن للفراء ١٨٧/٢، ومعجم الأدباء ١٥٨/١١.

(٧) البيت لقيس بن زهير، وقد سلف ٤٤٣/١١.

(٨) في إعراب القرآن ٥١/٣، وفيه البيتان السالفان.

من الشعر. وأيضاً فإنّ الذي جاء به من الشُّعر لا يُشبه من الآية شيئاً؛ لأنّ الياء والواو مُخالفتان للألف؛ لأنَّهُما تتحركان، والألف لا تتحرك، فللشاعر إذا اضطرَّ أن يُقدِّرها متحركتين، ثم يحذف الحركة للجزم، وهذا محالٌ في الألف.

والقراءة الأولى أبين؛ لأنّ بعده: «وَلَا تَخْشَى» مُجمَع عليه بلا جزم؛ وفيها ثلاث تقديرات:

الأول: أن يكون «لا تخاف» في موضع الحال من المُخاطب، التقدير: فاضرب لهم طريقاً في البحر ييساً غير خائف ولا خاشٍ.

الثاني: أن يكون في موضع النعت للطريق؛ لأنّه معطوفٌ على «يبس» الذي هو صفة، ويكون التقدير: لا تخاف فيه، فحذف الراجع من الصفة.

والثالث: أن يكون منقطعاً خبر ابتداء محذوف، تقديره: وأنت لا تخاف^(١).

قوله تعالى: ﴿فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ﴾ أي: أتبعهم ومعه جنوده، وقُرى: «فَاتَّبَعَهُمْ» بالتشديد^(٢)، فتكون الباء في «بجنوده» عدت الفعل إلى المفعول الثاني؛ لأنّ أتبع يتعدى إلى مفعول واحد. أي: تبعهم ليلحقهم بجنوده، أي: مع جنوده كما يُقال: ركب الأمير سيفه، أي: مع سيفه.

ومن قطع، فأتبع يتعدى إلى مفعولين: فيجوز أن تكون الباء زائدة، ويجوز أن يكون اقتصر على مفعول واحد. يقال: تبعه وأتبعه، ولحقه وألحقه بمعنى واحد. وقوله: «بجنوده» في موضع الحال، كأنه قال: فأتبعهم سائقاً جنوده^(٣).

﴿فَعَشِيَهُمْ مِّنَ اللَّيْلِ مَا عَاشِيَهُمْ﴾ أي: أصابهم من البحر ما غرقهم، وكرّر على معنى التعظيم والمعرفة بالأمر.

(١) إعراب القرآن للنحاس ٥٠/٣، ومشكل إعراب القرآن ٤٧٠/٢.

(٢) هي رواية عبيد عن أبي عمرو البصري كما في السبعة ص ٤٢٢، وهي غير المشهورة عن أبي عمرو.

(٣) المحرر الوجيز ٥٥/٤ بنحوه.

﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنَ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى﴾ أي: أضلَّهُم عن الرِّشْد، وما هداهم إلى خيرٍ ولا نجاة؛ لأنَّه قدَّر أنَّ موسى عليه السلام ومن معه لا يفوتونه؛ لأنَّ بين أيديهم البحر.

فلما ضرب موسى البحر بعصاه انفلق منه اثنا عشر طريقاً، وبين الطرق الماء قائماً كالجبال. وفي سورة الشعراء ﴿فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ [الآية: ٦٣]، أي: الجبل الكبير، فأخذ كلُّ سبِطٍ طريقاً. وأوحى الله إلى أطواد الماء أن تشبكي، فصارت شبكاتٍ يرى بعضهم بعضاً، ويسمع بعضهم كلامَ بعض، وكان هذا من أعظم المعجزات، وأكبر الآيات، فلما أقبل فرعون، ورأى الطرق في البحر، والماء قائماً، أوهمهم أنَّ البحر فعلَ هذا لهيبته، فدخل هو وأصحابه فانطبق البحر عليهم^(١).

وقيل: إنَّ قوله: ﴿وَمَا هَدَى﴾ تأكيدٌ لإضلاله إيَّاهم. وقيل: هو جوابٌ قول فرعون: ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ [غافر: ٢٩]، فكذَّبه الله تعالى^(٢). وقال ابن عباس: ﴿وَمَا هَدَى﴾ أي: ما هدى نفسه، بل أهلك نفسه وقومه.

قوله تعالى: ﴿يَبْنَئِ إِسْرَءِيلَ قَدْ أَجْمَعْتُمْ مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى ۗ ﴿٨٧﴾ كُلُّوا مِمَّنْ طَيَّبْنَاهُ مِمَّا رَزَقْنَكُمْ وَلَا تَطْعَمُوا فِيهِ فَبِحَلِّ عَلَيْكُمْ عُصْبِي وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ عُصْبِي فَقَدْ هَوَى ۗ ﴿٨٨﴾ وَإِنِّي لَعَفَّارٌ لِّمَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى ۗ ﴿٨٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَبْنَئِ إِسْرَءِيلَ قَدْ أَجْمَعْتُمْ مِّنْ عَدُوِّكُمْ﴾ لما أنجاهم من فرعون قال لهم هذا ليشكروا. ﴿وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ﴾ «جانب» نصب على المفعول الثاني لـ «واعدنا» ولا يحسن أن ينتصب على الظرف؛ لأنَّه ظرفٌ مكانٍ مختص^(٣) غير مبهم.

(١) إعراب القرآن للنحاس ٥٢/٢ دون ذكر تشبُّك الماء ليرى بعضهم بعضاً.

(٢) تفسير البغوي ٢٢٦/٣، والمحرر الوجيز ٥٥/٤.

(٣) في النسخ: محض، والمثبت من مشكل إعراب القرآن ٤٧١/٢ والكلام منه، وينظر الدر المصون

وإنما تتعدى الأفعال والمصادر إلى ظروف المكان بغير حرف جر إذا كانت مُبهمَةً.

قال مكّي: هذا أصلٌ لا خلاف فيه، وتقديرُ الآية: وواعدناكم إتيانَ جانبِ الطُّورِ، ثمَّ حذف المضاف.

قال النحاس^(١): أي: أمرنا موسى أن يأمركم بالخروج معه؛ لُنُكَلِّمَهُ^(٢) بحضرتكم، فتسمعوا الكلام.

وقيل: وعدَ موسى بعد إغراق فرعون أن يأتيَ جانبَ الطورِ الأيمنَ فيؤتِيهِ التوراةَ^(٣)، فالوعدُ كان لموسى، ولكن حُوطبوا به؛ لأنَّ الوعد كان لأجلهم.

وقرأ أبو عمرو: «وَوَعَدْنَاكُمْ» بغير ألف^(٤)، واختاره أبو عبيد؛ لأنَّ الوعد إنما هو من الله تعالى لموسى خاصة، والمُواعدة لا تكون إلا من اثنين؛ وقد مضى في «البقرة» هذا المعنى^(٥).

و«الأَيْمَنَ» نصب؛ لأنَّه نعتٌ للجانب، وليس للجبل يمينٌ ولا شمال، فإذا قيل: خُذْ عن يمينِ الجبل؛ فمعناه: خُذْ على يمينك من الجبل^(٦). وكان الجبل على يمين موسى إذ أتاه.

﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوى﴾ أي: في التَّيِّه، وقد تقدَّم القول فيه^(٧).

﴿كُلُوا مِن طَيْبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ أي: من لذيذ الرزق. وقيل: من حلاله؛ إذ لا صنَع فيه لآدمي فتدخله شُبُهَة.

(١) في إعراب القرآن ٥٢/٣ .

(٢) في (د) و(م) وإعراب القرآن للنحاس: ليكلمه.

(٣) الوسيط للواحدى ٢١٦/٣ .

(٤) السبعة ص ٤٢٢، والتيسير ص ٧٣ .

(٥) ٩٨/٢ .

(٦) تفسير الطبري ٥٥٩/١٥ عند قوله تعالى: ﴿وَنَدَيْنَهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ﴾ [مريم: ٥٢] بنحوه.

(٧) ١١٨/٢ .

﴿وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ﴾ أي: لا تحملنكم السعة والعافية أن تعصوا؛ لأنَّ الطغيان: التجاوز إلى ما لا يجوز^(١). وقيل: المعنى: أي لا تكفروا النعمة، ولا تنسوا شكر المنعم بها عليكم. وقيل: أي: ولا تستبدلوا بها شيئاً آخر، كما قال: ﴿أَسْتَبْدِلُوكَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾ [البقرة: ٦١]. وقيل: لا تدخروا منه لأكثر من يومٍ وليلة، قال ابن عباس: فدود عليهم ما ادخروه؛ ولولا ذلك ما دود^(٢) طعامُ أبداً.

﴿فِيحِلَّ عَلَيْكَ غَضَبِي﴾ أي: يجب وينزل، وهو منصوبٌ بالفاء في جواب النهي من قوله: «وَلَا تَطْغَوْا».

﴿وَمَنْ يَحِلَّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ﴾ قرأ الأعمش ويحيى بن وثاب والكسائي: «فِيحِلَّ» بضم الحاء، «وَمَنْ يَحِلُّ» بضم اللام الأولى^(٣). الباقون بالكسر، وهما لغتان. وحكى أبو عبيدة^(٤) وغيره أنه يقال: حَلَّ يَحِلُّ: إذا وجب، وحَلَّ يَحُلُّ: إذا نزل. وكذا قال الفراء^(٥): الضمُّ من الحُلُول بمعنى الوقوع، والكسر من الوجوب. والمعنيان متقاربان؛ إلا أن الكسر أولى؛ لأنهم قد أجمعوا على قوله: ﴿وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّهِمٌ﴾ [الزمر: ٤٠]. وغضبُ الله: عقابه ونقمته وعذابه.

﴿فَقَدْ هَوَىٰ﴾ قال الرَّجَّاج^(٦): فقد هلك، أي: صار إلى الهاوية، وهي قعرُ النار، من هَوَى يَهْوِي هَوِيًّا، أي: سقط من علوٍ إلى سفلى، وهوى فلان، أي: مات^(٨).

(١) إعراب القرآن للنحاس ٥٢/٣ .

(٢) في النسخ: فتدود عليهم... ما تدود، والمثبت من النكت والعيون ٤١٦/٣ (والكلام منه) ومن معاجم اللغة.

(٣) قراءة الكسائي في السبعة ص ٤٢٢، والتيسير ص ١٥٢، وقراءة الأعمش ذكرها البغوي في تفسيره ٢٢٧/٣ .

(٤) في إعراب القرآن للنحاس ٥٢/٣ والكلام منه: أبو عبيد. ولم نقف على هذا الكلام في مجاز القرآن لأبي عبيدة.

(٥) في معاني القرآن له ١٨٨/٢ .

(٦) إعراب القرآن للنحاس ٥٢/٣ - ٥٣ .

(٧) في معاني القرآن له ٣٧٠/٣، ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس في إعراب القرآن ٥٣/٣ .

(٨) تهذيب اللغة ٤٨٨/٦ - ٤٩٠ .

وذكر ابن المبارك: أخبرنا إسماعيل بن عيَّاش قال: حدثنا ثعلبة بن مسلم، عن أيوب بن بشير، عن شُقَيْبِ الأصبَحِيِّ قال: إِنَّ فِي جَهَنَّمَ جِبَلًا يُدْعَى صَعُودًا، يَطَّلَعُ فِيهِ الْكَافِرُ أَرْبَعِينَ خَرِيفًا قَبْلَ أَنْ يَرْقَاهُ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿سَأُرْهِقُهُمْ صَعُودًا﴾ [المدثر: ١٧]، وَإِنَّ فِي جَهَنَّمَ قَصْرًا يُقَالُ لَهُ: هَوَى، يُرْمَى الْكَافِرُ مِنْ أَعْلَاهُ، فِيهِوِي أَرْبَعِينَ خَرِيفًا قَبْلَ أَنْ يَبْلُغَ أَصْلَهُ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَحِلَّلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى﴾ وذكر الحديث^(١). وقد ذكرناه في كتاب «التذكرة»^(٢).

قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي لَفَعَّادٌ لِمَنْ تَابَ﴾ أي: من الشُّرِكِ. ﴿وَأَمِنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ أي: أقام على إيمانه حتى مات عليه؛ قاله سفيان الثوري وقتادة وغيرهما^(٣). وقال ابن عباس: أي: لم يشك في إيمانه، ذكره الماوردي^(٤) والمهدوي. وقال سهل ابن عبد الله التُّسْتَرِيِّ وابن عباس أيضاً: أقام على السنَّة والجماعة^(٥)، ذكره الثعلبي. وقال أنس: أخذ بسنَّة النبي ﷺ، ذكره المهدوي، وحكاه الماوردي عن الربيع بن أنس^(٦). وقول خامس: أصاب العمل، قاله ابن زيد^(٧)، وعنه أيضاً: تعلَّم العلم ليهتدي كيف يفعل^(٨)، ذكر الأول المهدوي، والثاني الثعلبي. وقال الشعبي ومقاتل والكلبي: علم أن لذلك ثواباً وعليه عقاباً^(٩)؛ وقاله الفراء^(١٠). وقول ثامن: «ثم

(١) الزهد لابن المبارك (٣٣٦ - زوائد نعيم)، وهو مقطوع، وأيوب بن بشير مجهول، كما في ميزان الاعتدال ١/ ٢٨٥.

(٢) ص ٤٠١ - ٤٠٢.

(٣) أخرجه الطبري ١٦/ ١٢٨ عن قتادة. وسيأتي الخبر عن سفيان.

(٤) في النكت والعيون ٣/ ٤١٦، وأخرجه الطبري ١٦/ ١٢٧ - ١٢٨.

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٥/ ٣١٢ عن سعيد بن جبیر.

(٦) في النكت والعيون ٣/ ٤١٧، وأخرجه الطبري ١٦/ ١٢٨.

(٧) أخرجه الطبري ١٦/ ١٢٨، وذكره الماوردي في النكت والعيون ٣/ ٤١٧.

(٨) ذكره البغوي في تفسيره ٣/ ٢٢٧.

(٩) تفسير البغوي ٣/ ٢٢٧.

(١٠) في معاني القرآن ٢/ ١٨٨، ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس في إعراب القرآن ٣/ ٥٣.

اهتدى» في ولاية أهل بيت النبي ﷺ؛ قاله ثابت البناني^(١).

والقول الأول أحسن هذه الأقوال إن شاء الله، وإليه يرجع سائرهما. قال وكيع عن سفيان: كنا نسمع في قوله عز وجل: ﴿وَلِيِّنَا لِنُقَاتِلَ لِمَن تَابَ﴾ أي: من الشرك، ﴿وَمِنَ﴾ أي: بعد الشرك ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾: صلى وصام ﴿ثُمَّ اهْتَدَى﴾: مات على ذلك^(٢).

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَمُوسَى ﴿٨٧﴾ قَالَ هُمْ أَوْلَاءٌ عَلَيَّ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى ﴿٨٨﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ﴿٨٩﴾ فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَقْتُورِ الْمِمَّ يَعِدُكُمُ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَن يُمِيلَ عَلَيْكُمُ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي ﴿٩٠﴾ قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا وَلَكِنَّا حُمِلْنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقُورِ فَقَدَفْتُمَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ﴿٩١﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّمْ يَخُورْ ففَعَلُوا هَذَا إِلَهَكُم وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسَى ﴿٩٢﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُرْجَعُونَ إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ لِيُخْبِرُوا بَأْسَ اللَّهِ الَّذِي كَذَّبُوا ﴿٩٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَمُوسَى﴾ أي: ما حملك على أن تسبقهم؟ قيل: عني بالقوم جميع بني إسرائيل، فعلى هذا قيل: استخلف هارون على بني إسرائيل، وخرج معه سبعين رجلاً للميقات.

فقوله: ﴿هُم أَوْلَاءٌ عَلَيَّ أَثَرِي﴾ ليس يريد أنهم يسرون خلفه متوجهين إليه، بل أراد أنهم بالقرب مني ينتظرون عودي إليهم^(٣). وقيل: لا، بل كان أمر هارون بأن يتبع في بني إسرائيل أثره ويلتحقوا به^(٤).

(١) أخرجه الطبري ١٦/١٢٩، وهو في النكت والعيون ٣/٤١٧، وزاد المسير ٥/٣١٢.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٣/٥٣.

(٣) تفسير الرازي ٢٢/٩٩ بنحوه.

(٤) أخرجه الطبري ١٦/١٣٠ عن ابن إسحاق بنحوه.

وقال قوم: أرادَ بالقوم السبعين الذين اختارهم، وكان موسى لَمَّا قُرِبَ من الطور سبقهم شوقاً إلى سماع كلام الله عزَّ وجلَّ^(١).

وقيل: لما وفد إلى طور سيناء بالوعد^(٢) اشتاق إلى ربِّه، وطالت عليه المسافة من شدة الشوق إلى الله تعالى، فضاق به الأمر حتى شقَّ قميصه، ثم لم يصبر حتى خلفهم ومضى وحده، فلَمَّا وقف في مقامه قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَمُوسَى﴾ فبقي ﷺ متحيراً عن الجواب وكنى عنه بقوله: ﴿هُمُ أَوْلَاءَ عَلِيٍّ أَثَرِي﴾، وإنَّما سأله عن السبب الذي أعجله بقوله: «ما» فأخبر عن مجيئهم بالأثر. ثم قال: ﴿وَعَجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِرَضِي﴾، فكنى عن ذكر الشوق وصرفه^(٣) إلى ابتغاء الرضا^(٤).

ذكر عبد الرزاق عن معمر عن قتادة في قوله: ﴿وَعَجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِرَضِي﴾ قال: شوقاً. وكانت عائشة رضي الله عنها إذا أوث إلى فراشها تقول: هاتوا المجيد. فتؤتى بالمصحف، فتأخذه في صدرها، وتنام معه تتسلى بذلك؛ رواه سفيان عن مسعر عن عائشة رضي الله عنها^(٥). وكان عليه الصلاة والسلام إذا أمطرت السماء خلع ثيابه، وتجرد حتى يُصيبه المطر، ويقول: «إنَّه حديثُ عهدٍ بربِّه»^(٦). فهذا من الرسول ﷺ وممن بعده من قبيل الشوق؛ ولذلك قال الله تبارك اسمه فيما يُروى عنه: «طال شوقُ الأبرار إلى لقائي، وأنا إلى لقائهم أشوق»^(٧).

قال ابن عباس: كان الله عالماً ولكن قال: ﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ﴾ رحمةً لموسى، وإكراماً له بهذا القول، وتسكيناً لقلبه، ورفقةً عليه، فقال مُجيباً لربِّه: ﴿هُمُ

(١) تفسير البغوي ٢٢٧/٣، وزاد المسير ٣١٣/٥ بنحوه.

(٢) في (خ): بالوفد.

(٣) في (د) و(م): وصدقه.

(٤) تفسير الرازي ٩٩/٢٢ بنحوه.

(٥) لم تقف عليه.

(٦) في (خ) و(م): بريي. والحديث أخرجه أحمد (١٢٣٦٥) ومسلم (٨٩٨) من حديث أنس ؓ.

(٧) ذكره الديلمي في الفردوس (٨٠٦٧) عن أبي الدرداء ؓ موقوفاً.

أُولَآءِ عَلَىٰ أَثَرِي ﴿١﴾ : قال أبو حاتم: قال عيسى: بنو تميم يقولون: «هُمُ أَوْلَا» مقصورة مرسلة، وأهل الحجاز يقولون: «أولاء» ممدودة. وحكى الفراء^(١): «هُمُ أَوْلَايَ عَلَىٰ أَثَرِي». وزعم أبو إسحاق الرِّجَّاج^(٢) أن هذا لا وجه له.

قال النحاس^(٣): وهو كما قال؛ لأن هذا ليس مما يُضاف فيكون مثل: هُدَايَ. ولا يخلو من إحدَى جهتين: إمَّا أن يكون اسماً مبهماً، فإضافته مُحال، وإمَّا أن يكون بمعنى الذين، فلا يُضاف أيضاً؛ لأن ما بعده من تمامه، وهو معرفة.

وقرأ ابن أبي إسحاق، ونصر، ورؤيس عن يعقوب: ﴿عَلَىٰ إِثْرِي﴾ بكسر الهمزة وإسكان التاء^(٤): وهو بمعنى أثر، لغتان.

﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ أي: عجلتُ إلى الموضع الذي أمرتني بالمصير إليه لترضى عني^(٥). يقال: رَجُلٌ عَجِلٌ وَعَجَلٌ وَعَجُولٌ وَعَجْلَانٌ: بَيْنُ الْعَجَلَةِ، وَالْعَجَلَةُ: خلاف البُطء^(٦).

قوله تعالى: ﴿فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ﴾ أي: اختبرناهم وامتحانهم بأن يستدلوا على الله عزَّ وجلَّ. ﴿وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾ أي: دعاهم إلى الضلالة، أو هو سببها.

وقيل: فتناهم: ألقيناهم في الفتنة، أي: زينا لهم عبادة العجل، ولهذا قال موسى: ﴿إِن هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ [الأعراف: ١٥٥].

(١) في معاني القرآن ١٨٨/٢ ونسبه إلى بعض القراء. ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس في إعراب القرآن ٥٣/٣، وما قبله وما بعده منه.

(٢) في معاني القرآن له ٣٧١/٣.

(٣) في إعراب القرآن له ٥٣/٣.

(٤) قراءة رؤيس عن يعقوب في النشر ٣٢١/٢.

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٥٤/٣.

(٦) الصخاح (عجل).

قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان السامريُّ من قومٍ يعبدون البقر، فوقع بأرض مصر، فدخل في دين بني إسرائيل بظاهره، وفي قلبه ما فيه من عبادة البقر^(١). وقيل: كان رجلاً من القبط، وكان جاراً لموسى؛ آمن به وخرج معه. وقيل: كان عظيماً من عظماء بني إسرائيل، من قبيلة تُعرف بالسَّامرة، وهم معروفون بالشام. قال سعيد بن جبير: كان من أهل كَرَمَانَ^(٢).

قوله تعالى: ﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا﴾ حال. وقد مضى في «الأعراف» بيانه مستوفى^(٣). ﴿قَالَ يَقْوَرُ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبِّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا﴾ وعدَّهم عزَّ وجلَّ الجنَّة إذا أقاموا على طاعته^(٤)، ووعدهم أن يُسمعهم كلامه في التوراة على لسان موسى، ليعملوا بما فيها، فيستحقُّوا ثواب عملهم. وقيل: وعدَّهم النصر والظفر. وقيل: وعده قوله: ﴿وَإِنِّي لَفَقَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَاْمَنَ﴾ الآية [طه: ٨٢]^(٥).

﴿أَفْطَالَ عَلَيْكُمْ الْعَهْدُ﴾ أي: أفنسيتم؟ كما قيل: والشيء قد يُنسى لطول العهد.

﴿أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾: «يحلّ» أي: يجب وينزل. والغضب: العقوبة والتَّقمة. والمعنى: أم أردتم أن تفعلوا فعلاً يكون سبب حلول غضب الله بكم؛ لأنَّ أحداً لا يطلب غضب الله، بل قد يرتكب ما يكون سبباً للغضب.

﴿فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي﴾ لأنهم وعدوه أن يُقيموا على طاعة الله عزَّ وجلَّ إلى أن يرجع

(١) ذكره أبو الليث في تفسيره ٣٥٢/٢، والواحدي في الوسيط ٢١٧/٣، وأخرجه النسائي في الكبرى (١١٢٦٣) مطولاً، وقد ذكره ابن كثير بطوله في تفسيره ٢٨٥/٥-٢٩٣ ثم قال: .. كأنه تلقاه ابن عباس رضي الله عنهما مما أبيع نقله من الإسرائيليات عن كعب الأحبار أو غيره، والله أعلم.

(٢) عرائس المجالس ص ٢١٠، وتفسير الرازي ١٠١/٢٢. وكرمان: ولاية كبيرة ذات بلاد وقرى ومدن واسعة بين فارس ومكران وسجستان وخراسان. معجم البلدان ٤/٤٥٤.

(٣) ٣٣٦/٩

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٣/٥٤.

(٥) النكت والعيون ٣/٤١٧ - ٤١٨.

إليهم من الطُّور^(١). وقيل: وعدهم أن يسيروا^(٢) على أثره للميقات فتوقفوا^(٣).

﴿قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا﴾ بفتح الميم، وهي قراءة نافع وعاصم وعيسى بن عمر^(٤). قال مجاهد والسدي: ومعناه: بطاقتنا. ابن زيد: لم نملك أنفسنا، أي: كنا مضطربين^(٥).

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر: «بِمَلِكِنَا» بكسر الميم^(٦). واختاره أبو غبيد وأبو حاتم؛ لأنها اللُّغة العالية. وهو مصدر مَلَكَتُ الشيءَ أَمَلِكُهُ مَلِكًا. والمصدر مضافٌ إلى الفاعل، والمفعول محذوف، كأنه قال: بِمَلِكِنَا الصواب، بل أخطأنا، فهو اعترافٌ منهم بالخطأ^(٧).

وقرأ حمزة والكسائي: «بِمَلِكِنَا» بضم الميم^(٨)، والمعنى: بسُلطاننا، أي: لم يكن لنا مُلكٌ فنخلف موعدك^(٩).

ثم قيل: قوله: «قَالُوا» عامٌّ يُراد به الخاص، أي: قال الذين ثبتوا على طاعة الله إلى أن رجع^(١٠) إليهم من الطُّور: ﴿مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا﴾^(١١). وكانوا اثني عشر ألفاً، وكان جميعُ بني إسرائيل ستَّ مئة ألف^(١٢).

(١) تفسير الرازي ١٠٢/٢٢ بنحوه.

(٢) قوله: أن يسيروا، من (ظ).

(٣) النكت والعيون ٤١٨/٣.

(٤) قراءة نافع وعاصم في السبعة ص ٤٢٢، والتيسير ص ١٥٣.

(٥) تفسير الطبري ١٣٤/١٦، والنكت والعيون ٤١٨/٣.

(٦) السبعة ص ٤٢٢، والتيسير ص ١٥٣.

(٧) الحجة للفارسي ٢٤٤/٥، ومشكل إعراب القرآن ٤٧١/٢ بنحوه.

(٨) السبعة ص ٤٢٢، والتيسير ص ١٥٣.

(٩) الحجة للفارسي ٢٤٤/٥.

(١٠) المثبت من (ظ)، وفي غيرها: يرجع.

(١١) إعراب القرآن للنحاس ٥٤/٣.

(١٢) عرائس المجالس ص ٢١٢، والوسيط للواحدى ٢١٨/٣.

﴿وَلَيْكُنَّا جُنُودًا﴾ بضم الحاء وتشديد الميم مكسورة؛ قراءة نافع وابن كثير وابن عامر وحفص وزُوريس. الباقون بفتح الحرفين خفيفة^(١). واختاره أبو عبيد وأبو حاتم؛ لأنهم حملوا حُلِيِّ القوم معهم وما حملوه كرها^(٢).

﴿أَوْزَارًا﴾ أي: أثقالاً^(٣) ﴿مِنْ زِينَةِ الْقَوَارِ﴾ أي: من حُلِيِّهم. وكانوا استعاروه حين أرادوا الخروج مع موسى عليه السلام، وأوهموهم أنهم يجتمعون في عيد لهم أو وليمة. وقيل: هو ما أخذوه من آل فرعون، لما قذفهم البحر إلى الساحل. وسُميت أوزاراً بسبب أنها كانت آثاماً، أي: لم يحلَّ لهم أخذها، ولم تحلَّ لهم الغنائم^(٤)، وأيضاً فالأوزار: هي الأثقال في اللُّغة^(٥).

﴿فَقَذَفْنَاهَا﴾ أي: ثَقُلَ علينا حملُ ما كان معنا من الحُلِيِّ، فقذفناه في النَّار ليزوب^(٦)، أي: طرحناه فيها. وقيل: طرحناه إلى السامريِّ؛ لترجع فترى فيها رأيك. قال قتادة: إنَّ السامريِّ قال لهم حين استبطأ القومُ موسى: إنَّما احتبس عليكم من أجل ما عندكم من الحُلِيِّ. فجمعوه ودفَعوه إلى السامريِّ، فرمى به في النار، وصاعَّ لهم منه عجباً، ثمَّ ألقى عليه قبضةً من أثر فرس الرسول؛ وهو جبريل عليه السَّلام. وقال معمر: الفرس الذي كان عليه جبريل هو الحياة، فلما ألقى عليه القبضة صار عجباً جسداً له خُوار^(٧). والخُوار: صوت البقر.

وقال ابن عباس: لَمَّا انسكبت الحُلِيُّ في النَّار، جاء السامريِّ وقال لهارون:

(١) السبعة ص ٤٢٣، والتيسير ص ١٥٣، والنشر ٢/٣٢٢. وزُوريس: هو راوي يعقوب من العشرة.

(٢) الوسيط للواحد ٢١٨/٣ بنحوه.

(٣) أخرجه الطبري ١٦/١٣٦ - ١٣٧ عن مجاهد.

(٤) تفسير البغوي ٣/٢٢٨ بنحوه، وسلف هذا الكلام ٩/٣٣٣.

(٥) ينظر الصحاح (وزر).

(٦) إعراب القرآن للنحاس ٣/٥٤.

(٧) النكت والعيون للماوردي ٣/٤١٩.

يا نبيَّ الله، أألقي ما في يدي؟ وهو يظنُّ أنه كبعض ما جاء به غيره من الحلبيّ؛ فقذف الترابَ فيه، وقال: كنْ عَجلاً جسداً له خُوار، فكان كما قال؛ للبلاء والفتنة، فخار خُورةٍ واحدةٍ لم يُتبعها مثلها^(١).

وقيل: خُواره وصوته كان بالريح؛ لأنَّه كان عميل فيه خروفاً، فإذا دخلت الريح في جوفه خار، ولم تكن فيه حياة. وهذا قولٌ مجاهد.

وعلى القول الأوَّل كان عَجلاً من لحم ودم، وهو قول الحسن وقتادة والسديّ^(٢).

وروى حمّاد عن سِماك، عن سعيد بن جُبَيْر، عن ابن عباس قال: مرَّ هارون بالسامريِّ وهو يصنع العجل، فقال: ما هذا؟ فقال: ينفع ولا يضر، فقال: اللهم أعطه ما سألك على ما في نفسه، فقال: اللهم إنِّي أسألك أنْ يخور. وكان إذا خار سجدوا، وكان الخُوار من أجل دعوة هارون^(٣).

قال ابن عباس: خار كما يخور الحيُّ من العُجول^(٤).

وروي أنَّ موسى قال: يا رب، هذا السامريُّ أخرجَ لهم عَجلاً جسداً له خُوار من حُلِيِّهم، فمن جعل الجسد والخُوار؟ قال الله تبارك وتعالى: أنا. قال موسى ﷺ: وعزَّتْك وجلالك وارتفاعك وعلوك وسلطانك^(٥)، ما أضلَّهُم غيرك. قال: صدقتَ يا حكيم الحكماء. وقد تقدَّم هذا كله في سورة «الأعراف»^(٦).

(١) أخرجه الطبري في تفسيره ٦٧١/١ - ٦٧٢ مطولاً، وينظر عرائس المجالس ص ٢١١.

(٢) النكت والعيون ٤١٩/٣. قال الطاهر ابن عاشور في التحرير والتنوير ١١٠/٩: ما وقع من القصص أنه كان لحماً ودماً ويأكل ويشرب، فهو من وضع القصاصين. وسلف هذا ٣٣٤/٩.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير ٣١٠/٥ - ٣١١.

(٤) الوسيط للواحد ٢١٨/٣.

(٥) قوله: وارتفاعك وعلوك وسلطانك، ليس في (خ)، ووقع في (ظ): وعلو شأنك.

(٦) ٣٣٢/٩ - ٣٣٤.

﴿فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى﴾ أي: قال السامريُّ ومن تبعه وكانوا ميّالين إلى التّشبيه؛ إذ قالوا: ﴿أَجْعَل لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَمْ ءِ إِلَهَةٌ﴾. ﴿فَنَسِيَ﴾ أي: فضلَّ موسى [وذهب] يطلبه^(١)، فلم يعلم مكانه، وأخطأ الطريق إلى ربّه. وقيل معناه: فتركه موسى هنا وخرج يطلبه. أي: ترك موسى إلهه هنا^(٢).

وروى إسرائيل عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: أي: فنسي موسى أن يذكر لكم أنه إله^(٣). وقيل: الخطابُ خبرٌ عن السامريِّ، أي: ترك السامريُّ ما أمره به موسى من الإيمان فضلَّ^(٤)؛ قاله ابن الأعرابي.

فقال الله تعالى مُحتجًا عليهم: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ﴾ أي: يعتبرون ويتفكرون في أنه لا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا، أي: لا يُكَلِّمُهُمْ. وقيل: لا يعودُ إلى الخُوار والصوت. ﴿وَلَا يَمَلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ فكيف يكون إلهًا؟! والذي يعبدُه موسى ﷺ يضرُّ وينفع، ويُثيبُ ويُعطي ويمنع.

و«أَنْ لَا يَرْجِعُ» تقديره: أنه لا يرجع، فلذلك ارتفع الفعلُ، فخففت «أَنْ» وحُذف الضمير. وهو الاختيار في الرؤية والعلم والظن^(٥). قال:

في فتية كسيوف^(٦) الهند قد علموا أن هالك كل من يخفى وينتعل^(٧)
وقد يُحذف مع التشديد، قال:

(١) في (د) و(ز) و(خ): يطلب.

(٢) أخرج الطبري ١٦/١٤٢ نحو هذه الأخبار، وما بين حاصرتين منه، وينظر تفسير الرازي ٢٢/١٠٤.

(٣) زاد المسير ٥/٣١٥.

(٤) أخرجه بنحوه الطبري ١٦/١٤١ عن ابن عباس.

(٥) معاني القرآن للزجاج ٣/٣٧٣.

(٦) في (د) و(ز) و(خ) و(م): من سيوف، والمثبت من (ظ)، وهو الموافق للمصادر.

(٧) البيت للأعشى، وهو في ديوانه ص ١٠٩. والشطر الثاني فيه: أن ليس يدفع عن ذي الحيلة الحيل.

وهما رؤايتان للبيت فيما ذكره التبريزي في شرح القوائد العشر ص ٣٣٨.

فلو كنت ضبيًا عرفت قرابتي ولكن زنجي عظيم المشافر^(١)
أي: ولكنك.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِيَ ﴿٩٠﴾ قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى ﴿٩١﴾ قَالَ يَهْتَرُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴿٩٢﴾ أَلَا تَتَّبِعُنَّ أَفْصَيْتَ أَمْرِيَ ﴿٩٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: من قبل أن يأتي موسى ويرجع إليهم: ﴿يَقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ﴾ أي: ابتليتم وأضللتهم به، أي: بالعجل ﴿وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ﴾ لا العجل ﴿فَاتَّبِعُونِي﴾ في عبادته ﴿وَأَطِيعُوا أَمْرِيَ﴾ لا أمر السامري. أو: فاتبعوني في مسيري إلى موسى ودعوا العجل. فعصوه و﴿قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ﴾ أي: لن نزال مُقيمين على عبادة العجل^(٢) ﴿حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى﴾ فننظر هل يعبده كما عبدناه؛ فتوهّموا أنّ موسى يعبدُ العجل، فاعتزلهم هارون في اثني عشر ألفاً من الذين لم يعبدوا العجل، فلما رجع موسى وسمع الصياح والجلبة، وكانوا يرقصون حول العجل، قال لل سبعين معه: هذا صوت الفتنة؛ فلما رأى هارون أخذ شعر رأسه يمينه، ولحيته بشماله غضباً^(٣)، و﴿قَالَ يَهْتَرُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا﴾ أي: أخطؤوا الطريق وكفروا ﴿أَلَا تَتَّبِعُنَّ﴾ «لا» زائدة أي: أن تتبع أمري ووصيتي. وقيل: ما منعك عن أتباعي في الإنكار عليهم^(٤). وقيل: معناه: هلاً قاتلتهم إذ قد علمت أنني لو

(١) البيت للفرزدق كما في الكتاب ١٣٦/٢، وخزانة الأدب ٤٤٤/١٠. قال البغدادي: والبيت في هجو رجل من ضبّة، فناه عن ضبّة ونسبه إلى الزنج. والمشافر: جمع مشفر بكسر الميم وفتح الفاء، وهو شفة البعير، واستعير هنا لشفة الإنسان لما قصد من بشاعة خلقه. ثم قال البغدادي: واعلم أن قافية البيت اشتهرت كذا عند النحويين، وصوابه: ولكن زنجياً غلاظاً مشافره.

(٢) الوسيط للواحد ٢١٩/٣.

(٣) تفسير البغوي ٢٢٩/٣، وينظر عرائس المجالس ص ٢١٦.

(٤) ذكره الماوردي عن مقاتل ٤٢٠/٣.

كنتُ بينهم لقاتلتهم على كفرهم. وقيل: ما منعك من اللّٰهوق بي لما فُتِنوا^(١).

﴿أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾ يريد: أنْ مُقَامَكَ بينهم وقد عبدوا غيرَ الله تعالى عِصْيَانٌ منك لي؛ قاله ابن عباس^(٢). وقيل: معناه: هَلَّا فارقتهم، فتكون مفارقتك إيَّاهم تقريباً لهم ورَجْرَأ^(٣).

ومعنى «أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي» قيل: إنَّ أمرَه ما حكاه الله تعالى عنه: ﴿وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلَقَنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلَحَ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٢] فلما أقام معهم، ولم يُبَالِغْ في مَنعهم، والإنكارِ عليهم، نسه إلى عِصْيَانِهِ ومُخَالَفَةِ أمرِهِ^(٤). مسألة: وهذا كُلُّه أصلٌ في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتغييره ومفارقة أهله، وأنَّ المقيمَ بينهم - لا سيَّما إذا كان راضياً - حُكْمُهُ كحكْمهم. وقد مضى هذا المعنى في «آل عمران» و«النساء» و«المائدة» و«الأنعام» و«الأعراف» و«الأنفال»^(٥).

وسُئِلَ الإمام أبو بكر الطَّرْطُوشِيُّ رحمه الله: ما يقول سيدنا الفقيه في مذهب الصوفية؟ وأُعلِمَ - حرس الله مدته - أنَّه اجتمع جماعةٌ من رجال، فيُكثِّرون من ذِكرِ الله تعالى، وذكرِ محمدٍ ﷺ، ثمَّ إنَّهم يُوقعون بالقضيب على شيءٍ من الأديم، ويقوم بعضهم يرقص ويتواجد حتى يقع مَعْشِيًّا عليه، ويحضرون شيئاً يأكلونه. هل الحضور معهم جائزٌ أم لا؟ أفوتنا ماجورين يرحمكم الله^(٦). وهذا القول الذي يذكرونه:

يا شيخُ كُفِّ عَنِ الذُّنُوبِ قَبْلَ التَّفَرُّقِ وَالرِّزْلِ
وَاعْمَلْ لِنَفْسِكَ صَالِحاً مَا دَامَ يَنْفَعُكَ الْعَمَلُ

(١) تفسير البغوي ٢٢٩/٣.

(٢) ذكره الرازي في تفسيره ١٠٨/٢٢ بنحوه.

(٣) تفسير البغوي ٢٢٩/٣.

(٤) النكت والعيون ٤٢٠/٣.

(٥) ٧٣/٥، ١٨٥/٧، ١٠٥/٨، ٣٦٥/٩، ٤٨٦/٩.

(٦) لفظة: ماجورين من (م).

أَمَّا الشَّبَابُ فَقَدْ مَضَى وَمَشَيْبُ رَأْسِكَ قَدْ نَزَلَ
وفي مثل هذا ونحوه.

الجواب: - يرحمك الله - مذهب الصوفية بطالةً وجهالةً وضلالةً، وما الإسلام
إلا كتابُ الله وسنةُ رسوله، وأمَّا الرقص والتواجد، فأولُ من أحدثه أصحاب
السامريِّ، لما اتَّخَذَ لهم عَجَلًا جسدًا له حُور؛ قاموا يرقصون حوَالِه ويَتواجدون،
فهو دينُ الكفَّارِ وَعِبَادِ العجلِ، وأمَّا القضيْبُ فأولُ من اتَّخَذَهُ الزنادقة لِيَشْغَلُوا به
المسلمين عن كتابِ الله تعالى. وإنَّما كان يجلسُ النبي ﷺ مع أصحابه كأنَّما على
رؤوسهم الطير^(١) من الوقار؛ فينبغي للسلطان ونُوَّابِه أنْ يَمْنَعَهُم من الحضور في
المساجد وغيرها، ولا يَجِلُّ لأحدٍ يؤمنُ بالله واليوم الآخر أنْ يَحْضَرَ معهم، ولا
يُعِينَهُم على باطلهم. هذا مذهبُ مالك وأبي حنيفة والشافعي وأحمد بن حنبل وغيرهم
من أئمة المسلمين، وبالله التوفيق.

قوله تعالى: ﴿قَالَ يَبْنَؤُمْ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي﴾ إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ
بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿٩٤﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَمِرِيُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ
بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ
سَوَّيْتُ لِي نَفْسِي ﴿٩٦﴾ قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسٌ وَإِنَّ
لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ وَانظُرْ إِلَى إِلْهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ
لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ
كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾ ﴿

قوله تعالى: ﴿يَبْنَؤُمْ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي﴾ ابن عباس: أخذ شعره بيمينه
ولحيته بيساره^(٢)؛ لأنَّ الغيرة في الله ملكته، أي: لا تفعل هذا، فيتوهَّموا أنه منك

(١) أخرجه أحمد (١٨٤٥٤)، وأبو داود (٣٨٥٥)، والنسائي في الكبرى (٥٨٤٤) من حديث أسامة بن
شريك ؓ.

(٢) النكت والعيون ٤٢٠/٣.

استخفافاً أو عقوبة. وقد قيل: إن موسى عليه السلام إنما فعل هذا على غير استخفافٍ ولا عقوبة كما يأخذ الإنسان بلحية نفسه. وقد مضى هذا المعنى في «الأعراف» مستوفى^(١). والله عزَّ وجلَّ أعلم بما أراد نبيه عليه السلام.

﴿إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ أي: خشيتُ أن أخرج وأتركهم، وقد أمرتني أن أخرج معهم، فلو خرجتُ لأتبعني قومٌ وتخلَّف^(٢) مع العجل قومٌ، وربما أدى الأمر إلى سفك الدماء، وخشيتُ إن زجرتهم أن يقع قتالٌ فتلومني على ذلك^(٣).

وهذا جوابُ هارونَ لموسى عليه السلام عن قوله: «أفَعَصَيْتَ أَمْرِي»^(٤) وفي «الأعراف» [الآية: ١٥٠]: ﴿إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَمُّوْنِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي﴾^(٥) فَلَا تُشْمِتُ فِي الْأَعْدَاءِ ﴿لأنك أمرتني أن أكون معهم، وقد تقدّم.

ومعنى ﴿وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾: لم تعمل بوصيتي في حفظه؛ قاله مقاتل. وقال أبو عبيدة^(٦): لن تنتظر عهدي وقدومي.

فتركه موسى، ثم أقبل على السامريِّ في ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَسْمِرِي﴾ أي: ما أمرُك وشأنُك، وما الذي حملك على ما صنعت؟ قال قتادة: كان السامريُّ عظيماً في بني إسرائيل من قبيلة يقال لها: سامرة^(٧)، ولكن عدوَّ الله نافق بعد ما قطع البحر مع موسى.

فلما مرَّت بنو إسرائيل بالعمالقة وهم يعكفون على أصنام لهم، ﴿قَالُوا يَنْمُوسَى

(١) ٢٤٠/٩.

(٢) في (د) و(ز) و(ظ) و(م): يتخلّف.

(٣) ينظر الوسيط للواحد ٢١٩/٣.

(٤) النكت والعيون ٤٢١/٣.

(٥) بعدها في (د): على ذلك، وهذا جواب هارون لموسى عليه السلام.

(٦) في مجاز القرآن ٢٦/٢، ونقله المصنف عنه مع قول مقاتل الذي قبله من النكت والعيون ٤٢١/٣.

(٧) النكت والعيون ٤٢١/٣.

أَجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمُ آلِهَةٌ ﴿١﴾ [الأعراف: ١٣٨]، فاغتنمها السامريّ، وَعَلِمَ أَنَّهُمْ يَمِيلُونَ إِلَى عِبَادَةِ الْعَجَلِ، فَاتَّخَذَ الْعَجَلَ. ﴿٢﴾ قَالَ ﴿٣﴾ السامريّ مُجِيباً لِمُوسَى: ﴿بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ﴾ يعني: رأيتُ ما لم يَرَوْا؛ رأيتُ جبريلَ عليه السلام على فرس الحياة، فألقي في نفسي أن أقبضَ من أثره قبضةً، فما ألقىته على شيء إلا صار له روحٌ ولحمٌ ودمٌ، فلما سألوك أن تجعلَ لهم إلهاً زَيَّنْتَ لي نفسي ذلك (١).

وقال عليّ ؑ: لما نزل جبريلُ ليصعدَ بموسى عليه السلام إلى السماء، أبصره السامريُّ من بين الناس، فقبض قبضةً من أثر الفرس.

وقيل: قال السامريّ: رأيتُ جبريلَ على الفرس، وهي بقاء (٢)، حَظَّوْهَا مَدُّ الْبَصْرِ، فألقي في نفسي أن أقبضَ من أثرها، فما ألقىته على شيء إلا صار له روحٌ ودمٌ. وقيل: رأى جبريلَ يومَ نزل على رَمَكَةَ وَدِيقِ (٣)، فتقدّم خيلَ فرعون في ورود البحر.

ويقال: إنَّ أُمَّ السامريّ جعلته حين وضعتُه في غارٍ خوفاً من أن يقتله فرعون، فجاءه جبريلُ عليه السلام، فجعل كفَّ السامريّ في فم السامريّ، فَرَضَعَ الْعَسْلَ وَاللَّبْنَ، فاختلف إليه فعرفه من حينئذ. وقد تقدّم هذا المعنى في «الأعراف» (٤).
ويقال: إن السامريّ سمع كلامَ موسى عليه السلام، حيث عمل تمثالين من شَمَعٍ؛ أحدهما ثور والآخر فرس، فألقاهما في النيل حين (٥) طلب قبر يوسف عليه السلام وكان في تابوت من حجر في النيل، فأتى به الثورُ على قرنه، فتكلّم السامريّ بذلك

(١) الكلام بنحوه في تفسير أبي الليث ٣٥٣/٢، وعرائس المجالس ص ٢١٠، والوسيط للواحدي ٢٢٠/٣.

(٢) في (د) و(م): تلقى.

(٣) الرَمَكَةُ: الفرس والبرذونة تُتخذ للنسل. القاموس (رمك). والوديق: التي تشتهي الفحل. النهاية (ودق).

(٤) ٣٣٣/٩ - ٣٣٤، وتنظر قصة السامري في تفسير الطبري ٦٦٩/١ وما بعدها، وعرائس المجالس ص ٢١٠ - ٢١١، وهذه الأخبار من الإسرائيليات.

(٥) قوله: حين، من (ظ).

الكلام الذي سمعه من موسى، وألقى القبضه في جوف العجل فخار.

وقرأ حمزة والكسائي والأعمش وخلف: «بِمَا لَمْ تَبْصُرُوا» بالتاء على الخطاب.

الباقون بالياء على الخبر^(١).

وقرأ أبي بن كعب وابن مسعود والحسن وقتادة: «فَقَبِضْتُ قَبْضَةً» بصاد غير

معجمة. ورؤي عن الحسن ضم القاف من «قبضة» والصاد غير معجمة^(٢). الباقون:

﴿قَبِضْتُ قَبْضَةً﴾ بالصاد المعجمة.

والفرق بينهما أن القبض بجميع الكف، والقبص بأطراف الأصابع، ونحوهما

الخصم والقضم^(٣)، والقبضة بضم القاف: القدر المقبوض؛ ذكره المهدوي. ولم

يذكر الجوهري «قبضة» بضم القاف والصاد غير المعجمة، وإنما ذكر «القبضة» بضم

القاف والصاد المعجمة، وهو ما قبضت عليه من شيء، يقال: أعطاه قبضة من سويق

أو تمر، أي: كفا منه، وربما جاء بالفتح^(٤). قال: والقبص - بكسر القاف والصاد غير

المعجمة -: العدد الكثير من الناس، قال الكميت:

لكم مسجدا لله المزوران والحصى لكم قبضه من بين أثرى وأقترى^(٥)

﴿قَبِذْتَهَا﴾ أي: طرحتها في العجل.

﴿وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾ أي: زينته؛ قاله الأخفش. وقال ابن زيد: حدثنني

(١) السبعة ص ٤٢٤، والتيسير ص ١٥٣، والنشر ٢/٣٢٢، وذكرها عن الأعمش أبو حيان في البحر

٢٧٣/٦.

(٢) قراءة ابن مسعود وأبي في المحرر الوجيز ٤/٦١، وقراءة الحسن وقتادة في القرءات الشاذة ص ٨٩.

(٣) الخضم: الأكل بأطراف الأضراس، والقضم: الأكل بأطراف الأسنان. القاموس (خضم) و(قضم).

(٤) الصحاح (قبض).

(٥) الصحاح (قبص)، والبيت في ديوان الكميت ص ١٥٥، قال ابن قتيبة في المعاني الكبير ١/٥٢٧ في

هذا البيت: يعني المسجد الحرام ومسجد الرسول ﷺ، والحصى: العدد الكثير، وأثرى: أكثر، وأقتر:

أقل، أراد الناس جميعاً.

نفسى^(١). والمعنى مُتقارب.

قوله تعالى: ﴿قَالَ فَأَذْهَبَ﴾ أي: قال له موسى: فاذهب، أي: من بيننا ﴿فَأَتَكَ لَكَ فِي الْحَيَوةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسٌ﴾ أي: لا أَمَسُّ ولا أَمَسُّ طَوَلَ الحِياة. فنفاه موسى عن قومه، وأمر بني إسرائيل ألا يُخالطوه، ولا يَقربوه، ولا يُكَلِّموه، عقوبةً له، قال الشاعر:

تَمِيمٌ كَرِهَطَ السَّامِرِيِّ وَقَوْلُهُ أَلَا لَا يَرِيدُ السَّامِرِيُّ مِسَاسًا^(٢)
قال الحسن: جعل الله عقوبة السامريِّ ألا يُماسَّ النَّاسَ ولا يُماسُّوه؛ عقوبةً له ولمن كان منه إلى يوم القيامة، وكأن الله عزَّ وجلَّ شَدَّدَ عليه المحنة، بأن جعله لا يُماسُّ أحداً، ولا يُمَكِّنُ من أن يَمَسَّهُ أحدٌ، وجعل ذلك عقوبةً له في الدنيا. ويقال: ابتلي بالوسواس، وأصلُ الوسواس من ذلك الوقت^(٣).

وقال قتادة: بقاياهم إلى اليوم يقولون ذلك: لا مساس، وإن مَسَّ واحدٌ من غيرهم أحداً منهم حُمَّ كلاهما في الوقت. ويقال: إن موسى هَمَّ بقتل السامريِّ، فقال الله تعالى له: لا تَقْتُلْهُ، فإنه سَخِيٌّ^(٤).

ويقال: لَمَّا قال له موسى: ﴿فَأَذْهَبَ فَأَتَكَ لَكَ فِي الْحَيَوةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسٌ﴾ خاف فهرب، فجعل يَهيم في البرية مع السباع والوحش، لا يجد أحداً من الناس يَمَسُّه؛ حتى صار كالقائل: لا مساس، لبعده عن الناس وبعده الناس عنه، كما قال الشاعر:
حَمَّالُ رِايَاتٍ بِهَا قِنَعَا سَا حَتَّى تَقُولَ الْأَزْدُ لَا مِسَاسًا^(٥)

(١) النكت والعيون ٤٢٣/٣، وعنه نقل المصنف قول الأخفش.

(٢) الكلام بنحوه في النكت والعيون ٤٢٤/٣، والبيت في مجاز القرآن ٢٧/٢، والمحجر الوجيز ٦٢/٤، وعندهما: مَساس، بدل: مَساساً.

(٣) تفسير أبي الليث ٣٥٣/٢.

(٤) عرائس المجالس ص ٢١٤، وينظر الوسيط للواحدى ٢٢٠/٣.

(٥) النكت والعيون ٤٢٣/٣، وذكر الشطر الثاني من الرجز ابن عطية في المحجر الوجيز ٦١/٤، =

مسألة: هذه الآية أصلٌ في نفي أهل البدع والمعاصي وهجرانهم، وألا يُخالطوا، وقد فعل النبي ﷺ ذلك بكعب بن مالك والثلاثة الذين خُلفوا^(١).

ومن التجأ إلى الحرم وعليه قتلٌ لا يُقتل عند بعض الفقهاء، ولكن لا يُعامل ولا يُبايع ولا يُشارى، وهو إرهابٌ إلى الخروج. ومن هذا القبيل التغريب في حدّ الزنى، وقد تقدّم جميعُ هذا كله في موضعه، فلا معنى لإعادته^(٢). والحمد لله وحده.

وقال هارون القارئ: ولغة العرب: لا مَساسٍ، بكسر السين وفتح الميم، وقد تكلم النحويون فيه، فقال سيبويه^(٣): هو مبنئٌ على الكسر كما يقال: اضرب الرجل. وقال أبو إسحاق^(٤): «لا مَساسٌ» نفي، وكُسرت السين لأن الكسرة من علامة التأنيث، تقول: فعلتِ يا امرأة^(٥).

قال النحاس^(٦): وسمعتُ عليَّ بن سليمان يقول: سمعت محمدَ بن يزيد يقول: إذا اعتلَّ الشيء من ثلاث جهات وجبَ أن يُبنى، وإذا اعتلَّ من جهتين وجب ألا ينصرف، لأنه ليس بعد ترك الصرف إلا البناء، فمَساسٍ ودرالكِ اعتلَّ من ثلاث جهات؛ منها: أنه معدول، ومنها أنه مؤنَّث، وأنه معرفة، فلما وجب البناء فيه، وكانت الألفُ قبل السين ساكنة كُسرت السين لالتقاء الساكنين، كما تقول: اضرب الرجل. ورأيْتُ أبا إسحاق يذهب إلى أن هذا القولُ خطأ، وألزم أبا العباس إذا سُمي

= ونسبه لرؤية، ولم نقف عليه في المطبوع من ديوانه. ووقع في النسخ: قناعسا، بدل: قناعسا. ووقع في (م): مَساساً، وفي النسخ الخطية: مَساساً، بدل: مَساسا، والمثبت من المصدرين السالفين. وقوله: قناعسا، أي الرجل الشديد المنيع، والجمع: قناعيس. تاج العروس (قنعس).

(١) أخرج حديثهم البخاري ومسلم، وسلف ٤١٣/١٠.

(٢) مسألة من التجأ إلى الحرم وعليه قتل سلفت ٣٧٣/٢، ومسألة التغريب في حدّ الزاني سلفت ١٤٥/٦ وما بعدها.

(٣) ينظر الكتاب ١٥٢/٤.

(٤) هو الزجاج، وقوله في معاني القرآن ٣/٣٧٤ - ٣٧٥.

(٥) في النسخ: المرأة، والمثبت من معاني القرآن للزجاج وإعراب القرآن للنحاس ٥٦/٣ والكلام منه.

(٦) في إعراب القرآن ٥٦/٣ - ٥٧.

امرأة بفرعون أن يبينه، هذا لا يقوله أحد.

وقال الجوهري في «الصحاح»: وأما قولُ العرب: لا مَسَاسٍ، مثال: قَطَامٍ، فإنما بُني على الكسر؛ لأنه معدولٌ عن المصدر، وهو المَسُّ^(١).

وقرأ أبو حيوة: «لا مَسَاسٍ»^(٢).

﴿وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ﴾ يعني يومَ القيامة. والموعود مصدر، أي: إنَّ لك وعداً لعذابك. وقرأ ابنُ كثير وأبو عمرو: «تُخْلِفُهُ» بكسر اللام^(٣)، وله معنيان: أحدهما: ستأتيه ولن تجده مُخلفاً، كما تقول: أحمده، أي: وجدته محموداً. والثاني: على التهديد، أي: لا بدَّ لك من أن تصيرَ إليه^(٤). الباقر بفتح اللام؛ بمعنى: إنَّ الله لن يُخلفك إيَّاه.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْظِرْ إِلَىٰ إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ﴾ أي: دُمْتَ وأقمتَ عليه. ﴿عَاكِفًا﴾ أي: مُلازماً، وأصله: ظَلَلْتُ، قال:

خَلَا أَنْ الْعِتَاقَ مِنَ الْمَطَايَا أَحْسَنَ بِهِ فَهَنَّ إِلَيْهِ شَوْسٌ^(٥)
أي: أَحْسَنَ. وكذلك قرأ الأعمشُ بلامين على الأصل^(٦).

وفي قراءة ابن مسعود: «ظَلَّتْ» بكسر الظاء. يقال: ظَلَلْتُ أفعُلُ كذا: إذا فعلته نهاراً، وظَلَّتْ وظَلَّتْ؛ فمن قال: ظَلَّتْ حَدَفَ اللام الأولى تخفيفاً، ومن قال:

(١) الصحاح (مس).

(٢) المحتسب ٥٦/٢.

(٣) السبعة ص ٤٢٤، واليسير ص ١٥٣.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٥٧/٣.

(٥) قائله أبو زبيد الطائي، وهو في أمالي القالي ١٧٦/١ - وفيه: حَسِينٌ، بدل: أَحْسَنٌ - والاعتضاب ص ٢٩٩، والبيت ضمن أبيات يصف فيها قوماً سروا والأسد يقفوا آثارهم لكي ينتهز فيهم فرصة. وقوله: شَوْسٌ: الشَّوْسُ: النظر بِمُؤَخَّرِ العين تَكْبِيرًا وتَعْظِيمًا. القاموس (شوس).

(٦) نسبها ابن خالويه في القراءات الشاذة ص ٨٩ لأبي.

ظَلَّتْ، أَلْقَى حَرَكَةَ اللَّامِ عَلَى الظَّاءِ^(١).

و﴿لَنْحَرِقَنَّهٗ﴾ قراءة العامة بضم النون وشد الراء؛ من حَرَّقَ يُحَرِّقُ. وقرأ الحسنُ وغيره بضم النون وسكون الحاء وتخفيف الراء، من أَحْرَقَهُ يُحْرِقُهُ^(٢). وقرأ عليّ وابن عباس وأبو جعفر وابن مُحَيِّصَن وأشهب العُقَيْلِي: «لَنْحَرِقَنَّهٗ» بفتح النون وضم الراء خفيفة^(٣)؛ من حَرَّقْتُ الشَّيْءَ أَحْرَقْتُهُ حَرَقًا: بَرَدْتَهُ وَحَكَّكْتَ بَعْضَهُ بِبَعْضٍ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: حَرَّقَ نَابَهُ يَحْرِقُهُ وَيَحْرِقُهُ، أَي: سَحَقَهُ حَتَّى سُمِعَ لَهُ صَرِيْفٌ، فَمَعْنَى هَذِهِ الْقِرَاءَةِ: لَنْبَرُدَّنَّهُ بِالْمَبَارِدِ^(٤)، وَيُقَالُ لِلْمَبْرَدِ: الْمِحْرَقُ. والقراءتان الأوليان معناهما الحرق بالنار. وقد يمكن جمع ذلك فيه.

قال السُّدِّيُّ: ذَبَحَ الْعَجَلَّ، فَسَالَ مِنْهُ كَمَا يَسِيلُ مِنَ الْعَجَلِ إِذَا دُبِحَ، ثُمَّ بَرَدَ عِظَامُهُ بِالْمَبْرَدِ وَحَرَقَهُ^(٥).

وفي حرف ابن مسعود: «لَنْذَبِحَنَّهُ ثُمَّ لَنْحَرِقَنَّهٗ»^(٦) وَاللَّحْمُ وَالِدُمُّ إِذَا أُحْرِقَا صَارَا رِمَادًا، فَيُمْكِنُ تَذْرِيبُهُ فِي الْيَمِّ، فَأَمَّا الذَّهَبُ فَلَا يَصِيرُ رِمَادًا. وَقِيلَ: عَرَفَ مُوسَى مَا صَيَّرَ بِهِ الذَّهَبَ رِمَادًا، وَكَانَ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِهِ.

ومعنى ﴿لَنْنَسِفَنَّهٗ﴾: لَنْطَيِّرَنَّهُ. وقرأ أبو رجاء: «لَنْنَسِفَنَّهٗ» بضم السين^(٧)، لغتان،

(١) إعراب القرآن للنحاس ٥٧/٣ ، وقراءة ابن مسعود في القراءات الشاذة ص ٨٩ .

(٢) قرأ بها أبو جعفر - وهو من العشرة - في رواية ابن جماز. النشر ٣٢٢/٢ ، وذكرها عن الحسن ابن خالويه في الشاذة ص ٨٩ .

(٣) قراءة أبي جعفر - وهو من العشرة - في رواية ابن وردان في النشر ٣٢٢/٢ ، وذكرها عن عليّ وابن عباس ابن خالويه في الشاذة ص ٨٩ ، وابن جني في المحتسب ٥٨/٢ .

(٤) الصحاح (حرق).

(٥) تفسير الرازي ١١٢/٢٢ بنحوه.

(٦) أخرجه الطبري ١٥٦/١٦ عن قتادة. وينظر هذا الكلام في المحرر الوجيز ٦٢/٤ ، وتفسير الرازي ١١٢/٢٢ - ١١٣ بنحوه.

(٧) القراءات الشاذة ص ٨٩ ونسبها لعيسى.

والتَّسْفُفُ: نفضُ الشيء لتذهب به الريح، وهو التَّذرية، والمِنْسَفُ: ما يُنْسَفُ به الطعام، وهو شيء منصوب^(١) الصِّدر، أعلاه مُرتَفِعٌ، والتَّسْفَافَةُ: ما يَسْقُطُ منه، يقال: عَزَلِ التَّسْفَافَةَ وَكُلُّ مِنَ الْخَالِصِ. ويقال: أَتَانَا فُلَانٌ كَأَنَّ لِحِيته مَنْسَفٌ؛ حكاها أبو نصر أحمد بن حاتم^(٢). والمِنْسَفَةُ: أَلَّةٌ يُقْلَعُ بِهَا الْبِنَاءُ، وَنَسَفْتُ الْبِنَاءَ نَسْفًا: قَلَعْتَهُ، وَنَسَفَ الْبَعِيرُ الْكَلًّا يَنْسِفُهُ - بِالْكَسْرِ - إِذَا اقْتَلَعَهُ بِأَصْلِهِ، وَانْتَسَفْتُ الشَّيْءَ: اقْتَلَعْتَهُ؛ عَنِ أَبِي زَيْدٍ^(٣).

قوله تعالى: ﴿إِن كَأَنَّ الْهَيْكُلَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ لا العَجَل، أي: وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمُهُ؛ يَفْعَلُ الْفِعْلَ عَنِ الْعِلْمِ، وَنَصَبَ عَلَى التَّفْسِيرِ. وَقَرَأَ مُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ: «وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا»^(٤).

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقُ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا ۚ مَن أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا ۚ ﴿٩٩﴾ خَلِيلَيْنِ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا ۚ ﴿١٠٠﴾ يَوْمَ يُفْعَفُ فِي الصُّورِ وَتَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ۚ ﴿١٠١﴾ يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ۚ ﴿١٠٢﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ۚ ﴿١٠٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ﴾ الكاف في موضع نصب نعت لمصدر محذوف^(٥)، أي: كما قصصنا عليك خبر موسى ﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾ فَصْصًا كَذَلِكَ مِنْ أَخْبَارِ مَا قَدْ سَبَقُ؛ لِيَكُونَ تَسْلِيَةً لَكَ، وَلِيَدُلَّ عَلَى صِدْقِكَ.

(١) كذا في النسخ الخطية والصحاح والقاموس (نسف) وفي (م) وتهذيب اللغة ٦/١٣ : متصوب.

(٢) الباهلي، صاحب الأصمعي، روى عنه وعن أبي زيد، صنف: النبات والشجر، أبيات المعاني، ما يلحن به العامة.. توفي سنة (٥٢٣١هـ). بغية الوعاة ١/٣٠١.

(٣) الصحاح (نسف).

(٤) القراءات الشاذة ص ٨٩، والمحتسب ٥٨/٢.

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٥٧/٣.

﴿وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا﴾ يعني القرآن. وسمي القرآن ذكراً لما فيه من الذكر، كما سمي الرسول ذكراً؛ لأن الذكر كان ينزل عليه. وقيل: «آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا» أي: شرفاً، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ﴾ [الزخرف: ٤٤] أي: شرف وتنويه باسمك^(١).

قوله تعالى: ﴿مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ﴾ أي: القرآن فلم يؤمن به، ولم يعمل بما فيه ﴿فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا﴾ أي: إثماً عظيماً، وحِملاً ثقيلاً. ﴿خَلِيلَيْنِ فِيهِ﴾ يريد: مُقيمين فيه، أي: في جزائه، وجزاؤه جهنم. ﴿وَسَاءَ لِمَنْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا﴾ يريد: بنس الحمل حملوه يوم القيامة. وقرأ داود بن رفيع: ﴿فَإِنَّهُ يُحْمَلُ﴾^(٢).

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ قراءة العامة «يُنْفَخُ» بضم الياء على الفعل المجهول. وقرأ أبو عمرو وابن أبي إسحاق بنون مسمى الفاعل^(٣). واستدل أبو عمرو بقوله تعالى: «وَنَحْشُرُ» بنون^(٤). وعن ابن هرْمُز: «يُنْفَخُ» بفتح الياء^(٥)، أي: ينفخ إسرافيل.

أبو عياض: «في الصُّور»^(٦). الباقون: «في الصُّور» وقد تقدّم هذا في «الأنعام»^(٧) مستوفى، وفي كتاب «التذكرة»^(٨).

وقرأ طلحة بن مُصَرِّف: «وَيُحْشَرُ» بضم الياء، «الْمُجْرِمُونَ» رفعاً بخلاف المصحف^(٩). والباقون: ﴿وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ﴾ أي: المشركين.

(١) ينظر تفسير الرازي ١١٣/٢٢.

(٢) القراءات الشاذة ص ٩٠، ولم نقف على ترجمة داود بن رفيع. ووقع في (ظ): داود وابن رفيع.

(٣) قراءة أبي عمرو في السبعة ص ٤٢٤، والتيسير ص ١٥٣.

(٤) ينظر الحجة لأبي علي الفارسي ٢٥٠/٥.

(٥) ذكرها الرازي في تفسيره ١١٤/٢٢، وأبو حيان في البحر ٢٧٨/٦ دون نسبة.

(٦) المحتسب ٥٩/٢ وفيه: عياض. وسلفت القراءة ٤٣١/٨ عن عياض أيضاً، وذكرها أبو حيان في البحر في موضعين: ١٦١/٤ عن عياض و ٢٧٨/٦ عن ابن عياض. ولم نعرفه.

(٧) ٤٣٠/٨ - ٤٣٢.

(٨) ص ١٦٦ وما بعدها.

(٩) القراءات الشاذة ص ٩٠ ونسبها للحسن.

﴿زُرْقًا﴾ حال من المجرمين، والزَّرَقُ خلاف الكَحَل. والعرب تشاءم بزَرَقِ العيون وتذمه، أي: تُشَوِّه خِلْقَتَهُمْ بِزُرْقَةِ عَيُونِهِمْ وسوادِ وجوههم. وقال الكلبي والفراء^(١): «زُرْقًا» أي: عُميًا. وقال الأزهري^(٢): عطاشا قد ازرقَّتْ أعينُهُم من شِدَّةِ العطش؛ وقاله الزجاج^(٣)، قال: لأن سوادَ العين يتغيَّر ويَزُرُقُ من العطش. وقيل: إنه الطمع الكاذب إذا تعقَّبته الخيبة؛ يقال: ابيضَّت عيني لطول انتظاري لكذا.

وقول خامس: إن المراد بالزُّرْقَةِ شخوص البصر من شدة الخوف، قال الشاعر:
لقد زَرِقْتُ عيناك يا بنَ مُكْعَبِ
كما كُلُّ ضَبِّي من اللُّومِ أزرُقُ^(٤)
يقال: رجل أزرُقُ العين، والمرأة زرقاءُ بينةُ الزُّرْقِ. والاسم الزُّرْقَةُ. وقد زَرِقَتْ عينُه - بالكسر - وأزرقت عينه ازرقاقًا، وأزرقت عينه ازريقاقًا^(٥).

وقال سعيد بن جبير: قيل لابن عباس في قوله: ﴿وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ وقال في موضع آخر: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبِكَمَا وَصَّأُتُ﴾ [الإسراء: ٩٧] فقال: إنَّ ليوم القيامة حالات؛ فحالة يكونون فيه زُرْقًا، وحالة عُميًا^(٦).

﴿يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ﴾ أصلُ الحَفَّتِ في اللغة السكون، ثم قيل لمن خَفَضَ صوته: خَفَّتَه، والمعنى^(٧): يتسارون؛ قاله مجاهد^(٨)، أي: يقول بعضهم لبعض في الموقف

(١) في معاني القرآن ١٩١/٢، ونقله المصنف عنه بواسطة الماوردي في النكت والعيون ٤٢٤/٣ وما قبله وما بعده منه.

(٢) نقله عنه المصنف بواسطة الماوردي في النكت والعيون ٤٢٤/٣، وينظر تهذيب اللغة ٤٢٨/٨.

(٣) في معاني القرآن ٣٧٦/٣.

(٤) النكت والعيون ٤٢٤/٣ - ٤٢٥، والبيت لسُوَيْد بن أبي كاهل اليشكري، وهو في الحيوان للجاحظ ٣٣٢/٥، وجمهرة اللغة لابن دريد ٣٢٤/٢، والأغاني ٣٩٦/٢١. وابن مكعب: هو محرز بن المكعب الضَّبِّي، من شعراء المفضليات. المفضليات ص ٢٥١.

(٥) الصحاح (زرق)، وفيه البيت السابق.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم كما في الدر المنثور ٣٠٧/٤.

(٧) قوله: والمعنى، من (م).

(٨) أخرجه الطبري ١٦١/١٦ عن ابن عباس رضي الله عنهما وفتادة.

سرّاً: ﴿إِنْ لَيْتُمْ﴾ أي: ما لبثتم، يعني: في الدنيا، وقيل: في القبور ﴿إِلَّا عَشْرًا﴾ يريد: عشرَ ليالٍ. وقيل: أراد ما بين النفختين، وهو أربعون سنة؛ يُرْفَع العذاب في تلك المدة عن الكفار - في قول ابن عباس - فيستقصرون تلك المدة. أو مدة مُقامهم في الدنيا لشِدَّة ما يرون من أهوال يوم القيامة^(١)، وَيُخَيَّلُ إلى أمثلِهِم أي: أعدلهم قولاً، وأعقلهم، وأعلمهم عند نفسه أنهم ما لبثوا إلا يوماً واحداً، يعني: لبثهم في الدنيا؛ عن قتادة؛ فالتقدير: إلا مثلَ يوم. وقيل: إنهم من شِدَّة هول المَطْلَع نُسوا ما كانوا فيه من نعيم الدنيا حتى رأوه كيوم. وقيل: أراد بيوم لبثهم ما بين النفختين، أو لبثهم في القبور على ما تقدّم^(٢). «وعشراً» و«يوماً» منصوبان بـ «لبثتم».

قوله تعالى: ﴿وَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٦﴾ لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُمْ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَا نَنْفَعُ الشَّفِيعَةَ إِلَّا مَنْ أَدْنَى لَهُ مِنَ الرَّحْمَنِ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴿١٩﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ-
عَلَمًا ﴿٢٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ﴾ أي: عن حال الجبال يوم القيامة. ﴿فَقُلْ﴾ جاء هذا بفاء، وكل^(٣) سؤال في القرآن «قل» بغير فاء إلا هذا؛ لأنَّ المعنى: إن سألك عن الجبال فقل، فتضمَّن الكلام معنى الشرط. وقد عَلِمَ الله أَنَّهُم يسألونَه عنها، فأجاب^(٤) قبل السؤال، وتلك أسئلةٌ تقدَّمت سألوها عنها النبي ﷺ، فجاء الجواب عقب السؤال؛ فلذلك كان بغير فاء، وهذا سؤالٌ لم يسأله عنه بعد؛ فتفهَّمه.

﴿يَنْسِفُهَا﴾: يُطَيِّرُهَا. ﴿نَسْفًا﴾ قال ابن الأعرابي وغيره: يَقْلَعُهَا قَلْعًا من أصولها،

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٣٢١/٥ بنحوه عن علي بن أحمد النيسابوري.

(٢) تفسير الطبري ١٦١/١٦ - ١٦٢ - وزاد المسير ٣٢١/٥ بنحوه.

(٣) في (خ) و(ز) و(ظ): جاء هذا بعد كل..، والمثبت من (د) و(م).

(٤) في (ظ): فأجابه، وفي (م): فأجابهم.

ثُمَّ يُصَيِّرُهَا رَملاً يَسِيلُ سَيْلاً، ثُمَّ يُصَيِّرُهَا كَالصَّوْفِ الْمَنْفُوشِ تَطْيِيرُهَا الرِّيحُ هَكَذَا وَهَكَذَا. قَالَ: وَلَا يَكُونُ الْعَيْنُ مِنَ الصَّوْفِ إِلَّا الْمَصْبُوغُ^(١)، ثُمَّ كَالهَبَاءِ الْمَنْثُورِ.

﴿فَيَذَرُهَا﴾ أَي: يَذُرُ مَوَاضِعَهَا ﴿قَاعًا صَفْصَفًا﴾ القَاع: الأَرْضُ الْمَلْسَاءُ بِلا نَبَاتٍ وَلَا بِنَاءٍ؛ قَالَه ابْنُ الأَعْرَابِيِّ^(٢).

وقال الجوهري^(٣): والقاع: المستوي من الأرض، والجمع أقوع وأقواعٌ وقيعانٌ، صارت الواو ياءً لكسر ما قبلها.

وقال الفراء: القاعُ: مستنقعُ الماء^(٤). والصَّفْصَفُ: القرعاء^(٥).

الكلبي: هو الذي لا نبات فيه. وقيل: المستوي من الأرض كأنه على صفٍّ واحدٍ في استوائه؛ قاله مجاهد^(٦). والمعنى واحدٌ في القاع والصَّفْصَفِ، فالقاعُ: الموضع المنكشف، والصَّفْصَفُ: المستوي الأملس. وأنشد سيبويه^(٧):

وَكَمْ دُونَ بَيْتِكَ مِنْ صَفْصَفٍ وَذَكَذَاكَ رَمَلٍ وَأَعْقَادِهَا^(٨)

و«قاعاً» نصب على الحال والصَّفْصَفُ صَفْصَفُهُ^(٩). و﴿لَا تَرَى﴾ في موضع الصفة.

﴿فِيهَا عَرِجًا﴾ قال ابن الأعرابي: العوجُ: التَّعَوُّجُ فِي الفِجَاجِ. والأَمْتُ: النَّبْكَ. وقال أبو عمرو: الأمتُ: النَّبْكَ، وهي التَّلَالُ الصُّغَارُ، واحِداً نَبْكَ^(١٠)، أي: هي أرضٌ

(١) ياقوتة الصراط ص ٣٥٠.

(٢) ياقوتة الصراط ص ٣٥١.

(٣) في الصحاح (قوع).

(٤) معاني القرآن للفراء ١٩١/٢.

(٥) ياقوتة الصراط ص ٣٥١.

(٦) النكت والميون ٤٢٦/٣.

(٧) في الكتاب ٥٦/٢.

(٨) البيت للأعشى، وهو في ديوانه ص ١٢٣.

(٩) قوله: صفته من (ظ).

(١٠) في النسخ: نَبْكَ، والمثبت من المعاجم.

مستوية، لا انخفاض فيها ولا ارتفاع. تقول: امتلأ [السقاء] فما به أمت^(١)، وملأت القربة ملئاً لا أمت فيه، أي: لا استرخاء فيه^(٢). والأمت في اللغة: المكان المرتفع. وقال ابن عباس: «عَوْجاً»: مَيْلاً. قال: والأمت: الأثر مثل الشراك. وعنه أيضاً: «عَوْجاً»: وادياً، «وَلَا أَمْتاً»: رابية^(٣). وعنه أيضاً: العوج [الانخفاض] والأمت: الارتفاع^(٤). وقال قتادة: «عَوْجاً»: صَدْعاً، «وَلَا أَمْتاً» أي: أكمة^(٥). وقال يمان: الأمت: الشقوق في الأرض^(٦). وقيل: الأمت أن يغلظ مكان في الفضاء أو الجبل، ويدق في مكان؛ حكاة الصولي^(٧).

قلت: وهذه الآية تدخل في باب الرقى؛ تُرقى بها الثآليل، وهي التي تُسمى عندنا بالبراريق، واحدها بروقة؛ تطلع في الجسد وخاصة في اليد: تأخذ ثلاثة أعوادٍ من تبن الشعير، يكون في طرف كلِّ عودٍ عقدة، تُمرُّ كلَّ عقدة على الثآليل، وتقرأ الآية مرة، ثم تدفن الأعواد في مكان ندي؛ تعفن وتعفن الثآليل؛ فلا يبقى لها أثر. جرِّت ذلك في نفسي وفي غيري، فوجدته نافعاً إن شاء الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ﴾ يريد إسرافيل عليه السلام إذا نَفَخَ في الصور ﴿لَا عِوَجَ لَكُمْ﴾ أي: لا معدل لهم عنه، أي: عن دعائه، لا يزيغون ولا ينحرفون، بل يُسرعون إليه ولا يَحيدون عنه. وعلى هذا أكثر العلماء. وقيل: «لَا عِوَجَ

(١) الصحاح (امت) وما بين حاصرتين منه.

(٢) معاني القرآن للفراء ١٩١/٢.

(٣) أخرجهما الطبري ١٦٤/١٦ و ١٦٦.

(٤) أخرجه الطبري ١٦٥/١٦ من قول مجاهد، وما بين حاصرتين منه.

(٥) أخرجه الطبري ١٦٥/١٦.

(٦) ذكره العيني في عمدة القاري ٥٨/١٩.

(٧) النكت والعيون ٤٢٦/٣، وينظر معاني القرآن للزجاج ٣/٣٧٧، والصولي هو أبو بكر محمد بن يحيى بن عبد الله بن العباس بن محمد بن صول، البغدادى، صاحب التصانيف. توفي سنة (٣٣٥هـ) سير أعلام النبلاء ٣٠١/١٥.

لَهُ» أي: لدعائه^(١). وقيل: يتَّبَعُونَ الداعِيَ اتِّبَاعاً لا عِوَجَ لَهُ. فالمصدرُ مضمر، والمعنى: يتَّبَعُونَ صوتَ الداعي للمحشر. نظيره: ﴿وَأَسْمِعْ يَوْمَ يُنَادَى الْمَتَادُ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ الآية [ق: ٤١]. وسيأتي.

﴿وَحَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ﴾ أي: ذلَّت وسكنت؛ عن ابن عباس^(٢).

قال:

لَمَّا أتى خبِرُ الزُّبَيْرِ تواضَعَتْ سورُ المدينة والجبالُ الحُشْعُ^(٣)
فكلُّ لسانٍ ساكِنٌ هناك للهية.

﴿لِلرَّحْمَنِ﴾ أي: من أجله. ﴿فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ الهمسُ: الصوتُ الخفيُّ؛ قاله مجاهد^(٤). عن ابن عباس: الحِسُّ الخفيُّ. الحسنُ وابنُ جُريج: هو صوتُ وقع الأقدام بعضها على بعض إلى المَحْشَرِ؛ ومنه قولُ الراجز:

وَهُنَّ يَمْشِينَ بِنَا هَمِيسَا

يعني: صوتُ أخفاف الإبل في سيرها^(٥). ويُقالُ للأسد: الهمُوسُ؛ لأنَّه يَهْمِسُ في الظُّلْمَةِ، أي: يَطَأُ ويطنأ خفياً. قال رؤبةُ يصفُ نفسه بالشَّدَّة:

لَيْتَ يَدُقُّ الْأَسَدُ الْهَمُوسَا وَالْأَقْهَبَيْنِ الْفِيلَ وَالْجَامُوسَا^(٦)
وَهَمَسَ الطَّعَامَ، أي: مضغَهُ وفوه مُنْضَمًّا؛ قال الراجز:

(١) تفسير الطبري ١٦/١٦٧، وتفسير البغوي ٣/٢٣١ بنحوه.

(٢) أخرجه الطبري ١٦/١٦٨.

(٣) البيت لجرير، وسلف ٢/٢٠٩.

(٤) النكت والعيون ٣/٤٢٧. وهو في تفسير مجاهد ١/٤٠٢ - ٤٠٣، وتفسير الطبري ١٦/١٦٩ بلفظ: الهمس: خفض الصوت.

(٥) تفسير الطبري ١٦/١٦٨، والنكت والعيون ٣/٤٢٧، والرجز سلف ٣/٣٢٢.

(٦) الصحاح (همس)، والرجز في ديوان رؤبة ص ٦٩ والأقهب: ما كان لونه إلى الكدره مع البياض للسواد، والأقهبان: الفيل والجاموس؛ كل واحدٍ منهما أقهب للونه. اللسان (قهب).

لقد رأيتُ عجباً مُذْأَمْساً عجائزاً مثلَ السَّعَالِي خَمْساً
يَأْكُلْنَ مَا أَصْنَعُ هَمْساً هَمْساً^(١)

وقيل: الهمسُ: تحريكُ الشَّفَةِ واللِّسَانِ. وقرأ أبيُّ بن كعب: «فَلَا يَنْطِقُونَ إِلَّا هَمْساً»^(٢). والمعنى متقارب، أي: لا يُسمع لهم نطقٌ ولا كلامٌ ولا صوتٌ أقدام.

وبناء (ه م س) أصله الخفاء كيفما تصرَّف؛ ومنه الحروف المهموسة، وهي عشرةٌ يجمعها قولك: حَثَّهُ شَخْصٌ فَسَكَتَ، وإنَّما سُمِّي الحرفُ مهموساً؛ لأنه ضَعُفَ^(٣) الاعتمادُ في موضعه حتى جَرَى معه النَّفْسُ.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ﴾ «مَنْ» في موضع نصب على الاستثناء الخارج من الأول^(٤)، أي: لا تنفعُ الشفاعةُ أحداً إلا شفاعَةً من أذن له الرحمن^(٥). ﴿وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ أي: رَضِيَ قوله في الشفاعة. وقيل: المعنى، أي: إنَّما تنفعُ الشفاعةُ لمن أذن له الرحمن في أن يُشْفَعَ له، وكان له قولٌ يُرَضَى. قال ابن عباس: هو قولٌ: لا إله إلا الله^(٦).

قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: من أمر السَّاعَةِ. ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ من أمرِ الدنيا؛ قاله قتادة. وقيل: يعلم ما يصيرون إليه من ثوابٍ أو عقاب، «وما خلفهم»: ما خَلْفُوهُ وراءهم في الدنيا^(٧). ثم قيل: الآيةُ عامَّةٌ في جميع الخلق^(٨). وقيل: المراد:

(١) الرجز في نوادر أبي زيد ص ٥٧، وكتاب سيبويه ٢٨٥/٣. قال البغدادي في خزنة الأدب ٢٢٢/٣ (طبعة دار صادر): والبيت من أبيات سيبويه الخمسين التي ما عُرِفَ قائلها. وقال ابن المستوفي: وجدت هذه الأبيات الثمانية في كتاب نحو قديم للعجاج أبي رؤبة، وأراه بعيداً عن نمطه. والسعالي: جمع سيعلاة؛ وهي أثنى الغول. وقيل: ساحرة الجن. ويروى: مثل الأفاعي.

(٢) النكت والعيون ٤٢٧/٣.

(٣) في (خ) (د) (ز) والصحاح (همس) والكلام منه: أضعف، والمثبت من (ظ) (م).

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٥٨/٣.

(٥) تفسير الرازي ١١٨/٢٢.

(٦) الوسيط للواحد ٢٢٢/٣.

(٧) تفسير الطبري ١٧٠/١٦ - ١٧١.

(٨) المحرر الوجيز ٦٥/٤.

الذين يتبعون الداعي^(١).

قوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ الهاء في «به»: لله تعالى، أي: أحد لا يحيط به علماً، إذ الإحاطة مُشِعْرَةٌ بالحدِّ، ويتعالى الربُّ عن التحديد. وقيل: تعود على العِلْمِ، أي: أحد لا يحيط علماً بما يعلمه الله^(٢).

وقال الطبري^(٣): الضميرُ في «أيديهم»، و«خلفهم»، و«يحيطون»؟ يعودُ على الملائكة؛ أَعْلَمَ اللهُ مَنْ يَعْبُدُهَا أَنَّهَا لَا تَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهَا وَمَا خَلْفَهَا.

قوله تعالى: ﴿وَعَنْتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَعَنْتِ الْوُجُوهُ﴾ أي: ذَلَّتْ وَخَضَعَتْ؛ قاله ابن الأعرابي وغيره^(٤). ومنه قيل للأسير: عان^(٥). قال أمية بن أبي الصلت^(٦):

مَلِيكَ عَلَى عَرْشِ السَّمَاءِ مُهَيِّمٍ لِعِزَّتِهِ تَعْنُو الْوُجُوهُ وَتَسْجُدُ
وقال أيضاً:

وَعَنَّا لَهُ وَجْهِي وَخَلَقِي كُلُّهُ فِي السَّاجِدِينَ لَوَجْهِهِ مَشْكُورًا^(٧)
قال الجوهرى^(٨): عنا يعنوا: خضع وذلل، وأعناه غيره، ومنه قوله تعالى:

(١) بعدها في (د) و(م): والحمد لله. وذكر هذا القول البغوي في تفسيره ٢٣٢/٣.

(٢) تفسير البغوي ٢٣٢/٣.

(٣) في تفسيره ١٧١/١٦، ونسبه لبعضهم، وهو قول الفراء في معاني القرآن ١٩٢/٢.

(٤) ياقوتة الصراط ص ٣٥٢.

(٥) تفسير البغوي ٢٣٢/٢، وينظر الصحاح (عنو).

(٦) في ديوانه ص ٣٩.

(٧) ديوانه ص ٦٩، وفيه: في الخاشعين، بدل: في الساجدين. وهو في النكت والعيون ٤٢٧/٣ مثل رواية المصنف.

(٨) في الصحاح (عنو).

﴿وَعَنْتِ أَلْوَجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾ ، ويقال أيضاً: عَنَا فِيهِمْ فَلَانَّ أَسِيرًا، أي: أقامَ فِيهِمْ على إيساره واحْتِسِس. وَعَنَاهُ غَيْرُهُ تَغْنِيَةٌ: حبسه. والعاني: الأسير، وقومٌ عُنَاةٌ، ونسوةٌ عَوَانٍ. وَعَنْتَ بِهِ أُمُورٌ: نزلت.

وقال ابن عباس: «عَنْتَ»: ذَلَّتْ. وقال مجاهد: خشعت^(١). الماوردي^(٢): والفرقُ بين الذلِّ والخشوع - وإن تقاربَ معناهما - هو^(٣) أنَّ الذلَّ: أنْ يكونَ ذليلَ النفس، والخشوعُ: أنْ يتذللَ لذي طاعة. وقال الكلبي: «عنت» أي: عملت. عطية العوفي: استسلمت. وقال طلق بن حبيب: إنَّه وضعُ الجبهةِ والأنفِ على الأرضِ في السجود^(٤).

النحَّاس^(٥): ﴿وَعَنْتِ أَلْوَجُوهُ﴾ في معناه قولان: أحدهما: أنَّ هذا في الآخرة. وروى عكرمة عن ابن عباس: ﴿وَعَنْتِ أَلْوَجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾ قال: الركوعُ والسجود. ومعنى «عنت» في اللغة: القهرُ والغلبة، ومنه: فُتِحَتْ البلادُ عَنُوةً، أي: غلبةً، قال الشاعر:

فما أخذوها عَنُوةً عن مودَّةٍ ولكن بضرب المَشْرِفِي استَقَالَهَا^(٦)
وقيل: هو من العناء بمعنى التعب. وكنتى عن النَّاسِ بالوجه؛ لأنَّ آثارَ الذلِّ إنَّما تتبيَّنُ في الوجه^(٧).

(١) أخرجهما الطبري ١٧٢/١٦ - ١٧٣ .

(٢) في النكت والعيون ٤٢٧/٣ ، وما قبله منه.

(٣) لفظة: هو. ليست في (د) و(م).

(٤) هذه الأقوال في النكت والعيون ٤٢٨/٣ . وقول طلق بن حبيب أخرجه الطبري ١٧٤/١٦ .

(٥) في إعراب القرآن ٥٨/٣ .

(٦) قائله كثير عزة، وهو في ديوانه ص ٢٢٧ ، وفيه: فما تركوها، بدل: فما أخذوها. ويحدُّ، بدل:

بضرب. والبيت أورده الفراء في معاني القرآن ١٩٣/٢ مثل رواية المصنف. والمشرفي: السيف

المنسوب إلى المشارف، وهي قرى من أرض اليمن. اللسان (شرف).

(٧) تفسير الرازي ١٢٠/٢٢ بنحوه.

﴿لِيَحْيِيَ الْفِتْوَىٰ﴾ وفي القيوم ثلاث تأويلات؛ أحدها: أنه القائم بتدبير الخلق. الثاني: أنه القائم على كل نفس بما كسبت. الثالث: أنه الدائم الذي لا يزول ولا يبيد^(١). وقد مضى في «البقرة» هذا^(٢). ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ أي: خسر من حمل شركاً.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَمَلَّ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ لأن العمل لا يقبل من غير إيمان. و«من» في قوله: «مِنَ الصَّالِحَاتِ» للتبعيض^(٣)، أي: شيئاً من الصالحات. وقيل: للجنس^(٤).

﴿فَلَا يَخَافُ﴾ قرأ ابن كثير ومجاهد وابن مُحيصن: «يَخْفُ» بالجزم^(٥)، جواباً لقوله: «وَمَنْ يَمَلَّ». الباكون: «يَخَافُ» رفعاً على الخير، أي: فهو لا يَخَافُ، أو: فإنه لا يخاف. ﴿ظُلْمًا﴾ أي: نقصاً لثواب طاعته، ولا زيادة عليه في سيئاته. ﴿وَلَا هَضْمًا﴾ بالانتقاص من حقه. والهضم: النقص والكسر؛ يقال: هَضَمْتُ ذلك من حقي، أي: حَطَطْتُهُ وتركته. وهذا يَهْضِمُ الطعام، أي: يَنْقُصُ ثِقَلَهُ. وامرأة هَضِيمُ الكشح: ضامرة البطن^(٦). الماوردي: والفرق بين الظلم والهضم؛ أن الظلم: المنع من الحق كُلَّهُ، والهضم: المنع من بعضه، والهضم: ظلم وإن افترقا من وجه، قال المتوكل الليثي:

إِنَّ الْأَذْلَةَ وَاللِّئَامَ لَمَعَشْرٌ مَوْلَاهُمْ الْمَتَهَضَّمُ الْمَظْلُومُ^(٧)

(١) النكت والعيون ٤٢٨/٣ .

(٢) ٢٦٧/٤ - ٢٦٩ .

(٣) المحرر الوجيز ٦٥/٤ .

(٤) الوسيط للواحد ٢٢٢/٣ ، وزاد المسير ٣٢٤/٥ .

(٥) قراءة ابن كثير في السبعة ص ٤٢٤ ، والتيسير ص ١٥٣ .

(٦) تفسير الطبري ١٦/١٧٨ ، وزاد المسير ٣٢٤/٥ بنحوه .

(٧) النكت والعيون ٤٢٨/٣ ، والبيت في ديوان المتوكل الليثي ص ٧٩ ، وفي طبقات فحول الشعراء =

قال الجوهري^(١): «ورجلٌ هَظِيمٌ ومُهْتَضَمٌ: أي: مظلوم. وتَهَضَّمه، أي: ظلمه، واهتَضَّمه: إذا ظلمه وكَسَرَ عليه حَقَّهُ.»

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ۗ فَتَعَلَىٰ اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ﴾ أي: كما بيَّنا لك في هذه السورة من البيان، فكذلك جعلناه ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ أي: بلغة العرب. ﴿وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ﴾ أي: بيَّنا ما فيه من التخويف والتهديد والثواب والعقاب. ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ أي: يخافون الله فيجتنبون مَعَاصِيَهُ، ويحذرون عقابه.

﴿أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ أي: موعظة. وقال قتادة: حذراً وورعاً. وقيل: شرفاً^(٢)؛ فالذكرُ هاهنا بمعنى الشرف، كقوله: ﴿وَإِنَّهُمْ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْلِكَ﴾ [الزخرف: ٤٤]. وقيل: أي: ليتذكروا العذاب الذي تُوعِدُوا به. وقرأ الحسن: «أَوْ نُحْدِثُ» بالنون، ورُوي عنه رفعُ الثاءِ وجزمُها^(٣).

قوله تعالى: ﴿فَتَعَلَىٰ اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾ لَمَّا عَرَفَ الْعِبَادَ عَظِيمَ نِعْمِهِ وَإِنزَالَ الْقُرْآنِ؛ نَزَّهُ نَفْسَهُ عَنِ الْأَوْلَادِ وَالْأَنْدَادِ فَقَالَ: ﴿فَتَعَلَىٰ اللَّهُ﴾ أي: جلَّ اللهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ، أي: ذو الحق.

﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾ عَلمَ نَبِيِّهِ كَيْفَ يَتَلَقَّى الْقُرْآنَ.

= ٦٨٤/٢ ، وفيه: معاشر، بدل: لمعشر. والمتوكل الليثي عدّه ابن سلام في الطبقة السابعة من الإسلاميين، وقال: يكنى أبا جهمة كان كوفياً، وكان في عصر معاوية.

(١) الصحاح (مضم).

(٢) تفسير الطبري ١٦/١٧٩ ، والنكت والعيون ٣/٤٢٨ .

(٣) الكشاف ٢/٥٥٤ ، وزاد المسير ٥/٣٢٥ ، والبحر المحيط ٦/٢٨١ . وذكر القراءة ابن جنّي في المحتسب ٢/٥٩ عن الحسن بالياء وجزم الثاء.

قال ابن عباس: كان عليه الصلاة والسلام يُبادرُ جبريلَ، فيقرأُ قبل أن يفرغَ جبريلُ من الوحي حرصاً على الحفظ، وشفقةً على القرآن مخافةً النسيان، فنهاه الله عن ذلك وأنزل: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ﴾. وهذا كقوله: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾^(١) [القيامة: ١٦] على ما يأتي.

وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: لا تتلّه قبل أن تتبينه^(٢). وقيل: «وَلَا تَعْجَلْ» أي: لا تسأل^(٣) إنزاله «قبل أن يُقضى» أي: يأتيك «وَحْيُهُ». وقيل: المعنى: لا تُلقِه إلى الناس قبل أن يأتِكَ بيانُ تأويله^(٤).

وقال الحسن: نزلت في رجلٍ لطم وجهَ امرأته، فجاءت إلى النبي ﷺ تطلبُ القصاص، فجعل النبي ﷺ لها القصاص، فنزل ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ [النساء: ٣٤]، ولهذا قال: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [الكهف: ١١٤] أي: فهماً؛ لأنّه عليه الصلاة والسلام حكم بالقصاص وأبى الله ذلك^(٥).

وقرأ ابن مسعود وغيره: «مِن قَبْلِ أَنْ نَقْضِي» بالنون وكسر الضاد «وَحْيُهُ» بالنصب^(٦).

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلِ فَنَسَىٰ وَلَمْ يُجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلِ فَنَسَىٰ﴾ قرأ الأعمشُ باختلافٍ عنه

(١) الوسيط للواحد ٢٢٣/٣، وحديث ابن عباس رضي الله عنهما أخرجه البخاري (٤٩٢٩)، ومسلم (٤٤٨) بنحوه.

(٢) تفسير مجاهد ٤٠٣/١، وأخرجه الطبري ١٦/١٨٠، وفيهما: لا تله على أحد حتى تُبينه لك.

(٣) في (د) و(م): لا تسأل.

(٤) النكت والعيون ٤٢٩/٣.

(٥) أخرجه الطبري ٦/٦٨٨، والواحد في أسباب النزول ص ١٤٥، وهو مرسل. وسلف ٦/٢٧٩.

(٦) قرأ بها يعقوب من العشرة. النشر ٢/٣٢٢، وذكرها عن ابن مسعود ﷺ ابن الجوزي في زاد المسير

٣٢٦/٥، ونسبها ابن خالويه في القراءات الشاذة ص ٩٠ للمجذري والحسن ومجاهد.

«فَنَسِيًّا» بِإِسْكَانِ الْيَاءِ^(١)، وله معنيان:

أحدهما: تَرَكَ، أي: تَرَكَ الأَمْرَ والعَهْدَ؛ وهذا قول مجاهد وأكثر المفسرين^(٢)، ومنه ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة: ٦٧]. و[الثاني]: قال ابن عباس: «نسي» هنا من السهو والنسيان، وإنما أُخِذَ الإنسانُ منه لأنه عُهِدَ إليه فَنَسِيَ^(٣). قال ابن زيد: نَسِيَ ما عَهَدَ الله إليه في ذلك، ولو كان له عزمٌ ما أطاع عدوّه إبليس^(٤). وعلى هذا القول يَحْتَمِلُ أن يكون آدمٌ عليه السلام في ذلك الوقت مُؤَاخِذًا^(٥) بالنسيان، وإن كان النسيان عتاً اليوم مرفوعاً.

ومعنى «مِنْ قَبْلُ» أي: من قبل أن يأكل من^(٦) الشجرة؛ لأنه نُهي عنها.

والمرادُ تسليّةُ النبي ﷺ، أي: طاعةُ بني آدم للشيطان أمرٌ قديم، أي: إن نَقَضَ هؤلاء العَهْدَ؛ فإنَّ آدمَ أيضاً عهدنا إليه فَنَسِيَ؛ حكاه القشيري وكذلك الطبري^(٧). أي: وإن يُعْرَضَ يا محمد هؤلاء الكفرة عن آياتي، ويخالفوا رُسُلِي، ويطيعوا إبليس، فَيَقْدِمُوا فَعَلَ ذلك أبوهم آدم.

قال ابن عطية^(٨): وهذا التأويلُ ضعيف، وذلك كون آدمَ مثلاً للكفار الجاحدين بالله ليس بشيء، وآدمُ إنّما عصى بتأويل، ففي هذا غَضاضَةٌ عليه ﷺ، وإنَّما الظاهرُ في الآية إمَّا أن يكون ابتداءً قصصٍ لا تَعَلَّقُ له بما قبله، وإمَّا أن يجعل تعلقه أنه لَمَّا

(١) المحتسب ٥٩/٢ .

(٢) أخرجه الطبري ١٨٢/١٦ عن ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد.

(٣) النكت والعيون ٤٣٠/٣، وما بين حاصرتين منه، وأخرجه الطبري ١٨٢/١٦ - ١٨٣ .

(٤) أخرجه الطبري ١٨٢/١٦ .

(٥) في (خ) و(د) و(ز) و(م): مأخوذاً، والمثبت من (ظ). والكلام بنحوه في تفسير البغوي ٢٣٣/٣ .

(٦) لفظة: من، من (م)، وهذا القول ذكره الرازي في تفسيره ١٢٤/٢٢ عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٧) في تفسيره ١٨١/١٦ .

(٨) في المحرر الوجيز ٦٦/٤، وما قبله منه.

عُهِدَ إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ أَلَّا يَعْجَلَ بِالْقُرْآنِ، مِثْلَ لِه نَبِيِّ قَبْلَهُ عَهْدٌ إِلَيْهِ فَنَسِيَ فَعُوقِبَ؛ لِيَكُونَ أَشَدَّ فِي التَّحْذِيرِ وَأَبْلَغَ فِي الْعَهْدِ إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ، وَالْعَهْدُ هَاهُنَا فِي مَعْنَى الْوَصِيَّةِ، «وَنَسِيَ» مَعْنَاهُ: تَرَكَ، وَنَسْيَانُ الذُّهُولِ لَا يُمْكِنُ هُنَا؛ لِأَنَّهُ لَا يَتَعَلَّقُ بِالنَّاسِ عِقَابٌ.

وَالْعِزْمُ: الْمُضِيُّ عَلَى الْمَعْتَقِدِ فِي أَيِّ شَيْءٍ كَانَ، وَأَدَمٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَدْ كَانَ يَعْتَقِدُ أَلَّا يَأْكُلُ مِنَ الشَّجَرَةِ، لَكِنْ لَمَّا وَسَّوسَ إِلَيْهِ إِبْلِيسُ لَمْ يَعْزَمْ عَلَى مُعْتَقَدِهِ. وَالشَّيْءُ الَّذِي عُهِدَ إِلَى آدَمَ هُوَ أَلَّا يَأْكُلُ مِنَ الشَّجَرَةِ، وَأُعْلِمُ مَعَ ذَلِكَ أَنَّ إِبْلِيسَ عَدُوٌّ لَهُ.

وَاخْتَلَفَ فِي مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿وَلَمْ يَجِدْ لَهُ عِزْمًا﴾ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَقَتَادَةُ: لَمْ نَجِدْ لَهُ صَبْرًا عَنْ أَكْلِ الشَّجَرَةِ وَمُواظِبَةً عَلَى التَّزَامِ الْأَمْرِ^(١).

قَالَ النَّحَّاسُ: وَكَذَلِكَ هُوَ فِي اللَّغَةِ، يُقَالُ: لِفُلَانٍ عِزْمٌ، أَي: صَبْرٌ وَثَبَاتٌ عَلَى التَّحَفُّظِ مِنَ الْمَعَاصِي حَتَّى يَسْلَمَ مِنْهَا، وَمِنْهُ: ﴿فَأَصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أَوْلَاؤُا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الْأَحْقَافُ: ٣٥].

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَيْضًا وَعَطِيَّةُ الْعَوْفِيُّ: حِفْظًا لَمَّا أُمِرَ بِهِ^(٢)، أَي: لَمْ يَتَحَفَّظْ مِمَّا نَهَيْتُهُ حَتَّى نَسِيَ. وَذَهَبَ عَنْ عِلْمِ ذَلِكَ بِتَرْكِ الْإِسْتِدْلَالِ؛ وَذَلِكَ أَنَّ إِبْلِيسَ قَالَ لَهُ: إِنَّ أَكْلَهَا خُلِدَتْ فِي الْجَنَّةِ، يَعْنِي: عَيْنَ تِلْكَ الشَّجَرَةِ، فَلَمْ يُطْعَمْ، فَدَعَا إِلَى نَظِيرِ تِلْكَ الشَّجَرَةِ مِمَّا دَخَلَ فِي عُمُومِ النَّهْيِ، وَكَانَ يَجِبُ أَنْ يَسْتَدَلَّ عَلَيْهِ فَلَمْ يَفْعَلْ، وَظَنَّ أَنَّهَا لَمْ تَدْخُلْ فِي النَّهْيِ، فَأَكَلَهَا تَأْوِيلًا^(٣). وَلَا يَكُونُ نَاسِيًا لِلشَّيْءِ مَنْ يَعْلَمُ أَنَّهُ مَعْصِيَةٌ.

وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: «عِزْمًا»: مُحَافِظَةٌ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ^(٤). وَقَالَ الضَّحَّاكُ: عَزِيمَةٌ أَمْرٌ. ابْنُ كَيْسَانَ: إِصْرَارًا وَلَا إِضْمَارًا لِلْعُودِ إِلَى الذَّنْبِ.

قَالَ الْقَشِيرِيُّ: وَالْأَوَّلُ أَقْرَبُ إِلَى تَأْوِيلِ الْكَلَامِ؛ وَلِهَذَا قَالَ قَوْمٌ: آدَمُ لَمْ يَكُنْ مِنْ

(١) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ ١٦/١٨٣ عَنْ قَتَادَةَ مُخْتَصَرًا.

(٢) أَخْرَجَهُ عَنْهُمَا الطَّبْرِيُّ ١٦/١٨٣ - ١٨٤.

(٣) تَفْسِيرُ الرَّازِيِّ ٣/١٣ بِنَحْوِهِ، وَسَلَفَ نَحْوَ هَذَا الْكَلَامِ ١/٤٥٥.

(٤) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ ١٦/١٨٤.

أولي العزم من الرسل؛ لأنَّ الله تعالى قال: ﴿وَلَمْ يَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾. وقال المُعَظَّم: كلُّ الرسل أولو العزم، وفي الخبر: «ما من نبيٍّ إلَّا وقد أخطأ - أو همَّ بخطيئة - ما خلا يحيى بن زكريا»^(١). فلو خرج آدم بسبب خطيئته من جُملة أولي العزم؛ لخرج جميع الأنبياء سوى يحيى.

وقد قال أبو أمامة: لو أنَّ أحلام بني آدم جُمعت منذ خلق الله الخلق إلى يوم القيامة، ووُضعت في كفة ميزان، ووُضع حِلْمُ آدم في كفةٍ أُخرى؛ لرجحهم، وقد قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَمْ يَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾^(٢).

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى ﴿١٧١﴾ فَقُلْنَا يَا قُلُومُ إِنَّا هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴿١٧٢﴾ إِنَّ لَكَ إِلَّا جَمْعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى ﴿١٧٣﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى ﴿١٧٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى﴾ تقدّم في «البقرة»^(٣) مستوفى.

﴿فَقُلْنَا يَا قُلُومُ إِنَّا هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ﴾ نهى، ومجازه: لا تقبل منه، فيكون ذلك سبباً لخروجكما من الجنة^(٤). ﴿فَتَشْقَى﴾ يعني: أنت وزوجك؛ لأنَّهما في استواء العلة واحد^(٥)، ولم يقل: فتشقى؛ لأنَّ المعنى معروف، وأدُم عليه السلام هو

(١) أخرجه أحمد (٢٢٩٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما - وعنده: أحد: بدل: نبي - ، وفي إسناده علي بن زيد بن جدعان، وهو ضعيف كما في ميزان الاعتدال ١٢٧/٣ - ١٢٨.

وأخرجه ابن عدي في الكامل ٨١٤/٢ من طريق آخر عن ابن عباس، وقال: غريب من حديث شعبة وغيره، لا يرويه إلا إبراهيم السباك عن سليمان بن حرب عن شعبة. اهـ.

(٢) سلف ٤٥٧/١.

(٣) ٤٣٣/١.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٥٨/٣.

(٥) النكت والعيون ٤٣٠/٣.

المُخاطَب، وهو المقصود^(١). وأيضاً لَمَّا كان الكادَّ عليها والكاسبَ لها؛ كان بالشقاء أخصَّ^(٢).

وقيل: الإخراج واقع عليهما والشقاوة على آدم وحده، وهو شقاوة البدن، ألا ترى أنه عقبه بقوله: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى﴾ أي: في الجنة ﴿وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى﴾، فأعلمه أن له في الجنة هذا كله: الكسوة والطعام والشراب والمسكن، وأنت إن ضيَّعت الوصية، وأطعت العدو؛ أخرجكما من الجنة، فشقيت تعباً ونصباً، أي: جُعت وعريت وظمئت وأصابتك الشمس؛ لأنك تُردُّ إلى الأرض إذا أُخرجت من الجنَّة.

وإنما خصَّه بذكر الشقاء ولم يقل: فتشقيان؛ ليُفهمنا^(٣) أن نفقة الزوجة^(٤) على الزوج، فمن يومئذٍ جرث نفقة النساء على الأزواج، فلَمَّا كانت نفقة حواء على آدم، كذلك نفقات بناتها على بني آدم بحق الزوجية.

وأعلمنا في هذه الآية أن النفقة التي تجبُّ للمرأة على زوجها هذه الأربعة: الطعام، والشراب، والكسوة، والمسكن، فإذا أعطاها هذه الأربعة، فقد خرج لها^(٥) من نفقتها، فإن تفضَّل بعد ذلك فهو مأجور، فأما هذه الأربعة فلا بدَّ لها منها؛ لأنَّ بها إقامة المهجة^(٦).

قال الحسن: المراد بقوله: «فتشقى» شقاء الدنيا، لا يرى ابنُ آدم إلا ناصباً. وقال الفراء^(٧): هو أن يأكل من كدِّ يديه.

(١) إعراب القرآن للنحاس ٥٨/٣.

(٢) النكت والعيون ٤٣٠/٣.

(٣) في (د) فعلنا، وفي (خ) و(ز) و(م): يعلمنا، والمثبت من (ظ).

(٤) في (خ) و(ز) و(ظ): المرأة.

(٥) في (خ) و(د) و(ز) و(م): إليها، والمثبت من (ظ).

(٦) المهجة: الروح. القاموس المحيط (مهج).

(٧) في معاني القرآن له ١٩٣/٢، ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس في إعراب القرآن ٥٨/٣، وقول الحسن الذي قبله منه.

وقال سعيد بن جبير: أهبط إلى آدم ثوراً أحمر، فكان يحرث عليه، ويمسحُ العرق عن جبينه، فهو شقاؤه الذي قال الله تبارك وتعالى^(١).

وقيل: لما أهبط من الجنة كان من أوّل شقائه أن جبريل أنزل عليه حبات من الجنة، فقال: يا آدم، ازرع هذا. فحرث وزرع، ثمّ حصد، ثمّ نقى، ثمّ طحن، ثمّ عجن، ثمّ خبز، ثمّ جلس ليأكل بعد التعب، فتدحرج رغيّفه من يده حتى صار أسفلّ الجبل، وجرى وراءه آدم حتى تعب وقد عرق جبينه، قال: يا آدم، فكذلك رزقك بالتعب والشقاء، ورزقٌ ولدك من بعدك ما كنت في الدنيا^(٢).

قوله تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا يَجْمَعُ فِيهَا وَلَا تَعْرِىٰ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَىٰ﴾ فيه مسألان^(٣):

الأولى: قوله تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا يَجْمَعُ فِيهَا﴾ أي: في الجنة. ﴿وَلَا تَعْرِىٰ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا﴾ أي: لا تعطش. والظمأ: العطش. ﴿وَلَا تَصْحَىٰ﴾ أي: تبرز للشمس فتجد حرّها. إذ ليس في الجنة شمس، إنّما هو ظلّ ممدود^(٤)، كما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس.

قال أبو العالية: نهار الجنة هكذا: وأشار إلى ساعة المصلين صلاة الفجر.

قال أبو زيد: ضحاً الطريق يضحو ضحواً^(٥): إذا بدا لك وظهر. وضحيث^(٦) - بالكسر - ضحاً: عرقت. وضحيث أيضاً للشمس ضحاً، ممدود: برزت، وضحيث - بالفتح - مثله، والمستقبل: أضحي، في اللغتين جميعاً^(٧)، قال عمر بن أبي ربيعة:

(١) أخرجه الطبري ١٦/١٨٦.

(٢) تاريخ الطبري ١/١٢٨ - ١٢٩، وعرائس المجالس ص ٣٩ - ٤٠، والخبر من الإسرائيليات.

(٣) كذا وقع، لكنه لم يرد إلا مسألة واحدة.

(٤) الوسيط للواحد ٣/٢٢٤، وتفسير البغوي ٣/٢٢٣ - ٢٣٤.

(٥) قال الزبيدي في تاج العروس (ضحى): ضحا الطريق ضحواً؛ كملو.. ونقله الجوهري [الصحاح (ضحى)] عن أبي زيد وضبط مصدره بالفتح.

(٦) قبلها في (م): وضحيث. والكلام من هنا إلى قوله: برزت. ساقط من (د) و(ز) و(ظ).

(٧) الصحاح (ضحو).

رَأَتْ رَجُلًا أَيَّمَا إِذَا الشَّمْسُ عَارَضَتْ فَيَضْحَى وَأَمَّا بِالْعَشِيِّ فَيُخْصِرُ^(١)
وفي الحديث أن ابن عمر رأى رجلاً مُحَرِّمًا قد استظلَّ، فقال: أضح لمن
أحرمت له^(٢). هكذا يرويه المُحدِّثون، بفتح الألف وكسر الحاء، من أضحيتُ. وقال
الأصمعي: إنما هو: إضح لمن أحرمت له، بكسر الألف وفتح الحاء، من ضحيتُ
أضحى؛ لأنه إنما^(٣) أمره بالبروز للشمس، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَنْتَ لَا تَظْمَرُ فِيهَا وَلَا
نَضْحَى﴾^(٤). وأنشد:

ضَحِيْتُ لَهُ كَيْ أَسْتَظِلَّ بِظِلِّهِ إِذَا الظِّلُّ أَضْحَى فِي الْقِيَامَةِ قَالِصًا^(٥)
وقرأ أبو عمرو والكوفيون إلّا عاصماً في رواية أبي بكر عنه: «وَأَنْتَ» بفتح
الهمزة^(٦) عطفاً على «أَلَّا تَجُوعَ». ويجوز أن يكون في موضع رفعٍ عطفاً على
الموضع، والمعنى: ولك أنك لا تظماً فيها. الباقون بالكسر على الاستئناف، وعلى
العطف على «إِنَّ لَكَ»^(٧).

قوله تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَتَّادِمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ
وَمَلَكَ لَا يَبَلَى ﴿١١٦﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَّتْ لهُمَا سَوْءَ تَهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلِيمَا مِنْ
وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى ءَادَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴿١١٧﴾ ثُمَّ أَجْنَبَهُ رَبُّهُ فَنَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى ﴿١١٨﴾
قوله تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ﴾ تقدّم في «الأعراف»^(٨). ﴿قَالَ﴾ يعني

- (١) ديوان عمر بن أبي ربيعة ص ٦٤ ، وفيه : أمّا ، بدل : أيما . وسلف البيت ٣٦٦/١ .
(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ٣٠٩/٤ (نشرة العمري)، والبيهقي في السنن الكبرى ٧٠/٥ ،
ووقع في مطبوع ابن أبي شيبة: ضح لمن أحرمت له.
(٣) لفظة: إنما، ليست في (د) و(م).
(٤) الصحاح (ضحو).
(٥) ذكره المرزوقي في الأزمنة والأمكنة ٩٦/٢ دون نسبة. وقُلِّصَ الظلُّ: انقبض. القاموس (قلص).
(٦) وقرأ بها أيضاً ابن كثير المكي وابن عامر الشامي. السبعة ص ٤٢٤ ، والتيسير ص ١٥٣ .
(٧) إعراب القرآن للنحاس ٥٩/٣ .
(٨) ١٧٤/٩ - ١٧٥ .

الشیطان: ﴿يَتَقَادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْغُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى﴾. وهذا يدلُّ على المُشافهة، وأنه دخل الجنة في جوف الحية على ما تقدّم في «البقرة» بيانه^(١)، وتقدّم هناك تعيين الشجرة، وما للعلماء فيها، فلا معنى للإعادة. ﴿فَأَكَلَا مِنَّا فَبَدَّتْ لهُمَا سَوْءُ تُهْمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن رَّرَقِ الْجَنَّةِ﴾ تقدّم في «الأعراف» مستوفى^(٢). وقال الفراء^(٣): «وَطَفِقَا» في العربية: أقبلاً، قال: وقيل: جَعَلَا يُلْصِقَانِ عَلَيْهِمَا ورق التين.

قوله تعالى: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ فيه ست مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿وَعَصَى﴾ تقدّم في «البقرة» القول في ذنوب الأنبياء^(٤)، وقال بعض المتأخرين من علمائنا: والذي ينبغي أن يقال: إن الله تعالى قد أخبر بوقوع ذنوب من بعضهم، ونسبها إليهم، وعاتبهم عليها، وأخبروا بذلك عن نفوسهم، وتنصّلوا منها، واستغفروا منها، وتابوا، وكلُّ ذلك ورد في مواضع كثيرة لا يقبل التأويل جملتها، وإن قبل ذلك آحادها، وكلُّ ذلك مما لا يُزري بمناصبهم، وإنما تلك الأمور التي وقعت منهم على جهة الندور، وعلى جهة الخطأ والنسيان، أو تأويل دعا إلى ذلك، فهي بالنسبة إلى غيرهم^(٥) حسنات، وفي حقهم سيئات بالنسبة إلى مناصبهم، وعلو أقدارهم؛ إذ قد يُؤاخذ الوزير بما يُثاب عليه السائس، فأشفقوا من ذلك في موقف القيامة، مع علمهم بالأمن والأمان والسلامة. قال: وهذا هو الحق.

ولقد أحسن الجنيد حيث قال: حسنات الأبرار سيئات المقربين^(٦). فهم

(١) ٤٦٤/١، وسلف الكلام أن خبر دخول إبليس الجنة في جوف الحية من الإسرائيليات.

(٢) ١٧٩/٩.

(٣) في معاني القرآن ١٩٤/٢، ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس في إعراب القرآن ٥٩/٣.

(٤) ٤٥٩/١ - ٤٦٠، والكلام الذي سيذكره المصنف حتى نهاية المسألة الأولى سلف ثمة.

(٥) لفظة: بالنسبة: من (م)، وفي (ظ): فهي لغيرهم.

(٦) ذكره العروسي في حاشيته على شرح الرسالة القشيرية للشيخ زكريا الأنصاري ١٤١/١، وذكره ابن

عساكر في تاريخ دمشق ٦٥/٢ ونسبه لأبي سعيد الخراز.

- صلوات الله وسلامه عليهم - وإن كانوا قد شهدت النصوصُ بوقوع ذنوبٍ منهم، فلم يُخَلِّ ذلك بمناصبهم، ولا قَدَح في رُتبتهم^(١)، بل قد تلافاهم، واجتباهم، وهداهم، ومدحهم، وزكَّاهم، واختارهم، واصطفاهم، صلواتُ الله عليهم وسلامه.

الثانية: قال القاضي أبو بكر بن العربي^(٢): لا يجوز لأحدٍ منا اليوم أن يُخبر بذلك عن آدم إلا إذا ذكرناه في أثناء قوله تعالى عنه، أو قول نبيِّه، فأما أن يتدعى ذلك من قِبَل نفسه؛ فليس بجائزٍ لنا في آبائنا الأذنين إلينا، المماثلين لنا، فكيف في أبنينا الأقدم الأعظم الأكرم النبيِّ المُقَدَّم، الذي عَدَّره الله سبحانه وتعالى، وتاب عليه، وغَفَرَ له.

قلت: وإذا كان هذا في المخلوق لا يجوز، فالإخبارُ عن صفات الله عزَّ وجلَّ كاليد والرجل، والإصبع والجنب، والنزول إلى غير ذلك أولى بالمنع، وأَنَّهُ لا يجوز الابتداء بشيءٍ من ذلك إلا في أثناء قراءة كتابه، أو سُنَّة رسوله. ولهذا قال الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه: من وصف شيئاً من ذات الله عزَّ وجلَّ مثل قوله: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَرْئُولَةٌ﴾ [المائدة: ٦٤]، فأشار بيده إلى عنقه قُطعت يده، وكذلك في السمع والبصر يُقَطع ذلك منه؛ لأنه شَبَّه الله تعالى بنفسه^(٣).

الثالثة: روى الأئمة - واللفظ للبخاري - عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «احتجَّ آدمُ وموسى، فقال موسى: يا آدم أنت أبونا، خيبتنا وأخرجتنا من الجنة، فقال له آدم: يا موسى، اصطفاك الله عزَّ وجلَّ بكلامه، وخطَّ لك بيده^(٤)، أتلومني^(٥) على أمرٍ قَدَّره الله عليَّ قبل أن يخلقني بأربعين سنة، فَحجَّ آدمُ موسى ثلاثاً^(٦)».

(١) في (م): ربتهم.

(٢) في أحكام القرآن له ١٢٤٩/٣.

(٣) التمهيد ١٤٥/٧.

(٤) بعدها في (د) و(م) لفظة: يا موسى.

(٥) في (خ) و(ز) و(ظ): تلومني.

(٦) صحيح البخاري (٦٦١٤)، وهو في مسند أحمد (٧٣٨٧)، وصحيح مسلم (٢٦٥٢) وسلف قسم منه

قال المهلب: قوله: «فحجَّ آدمُ موسى» أي: غلبه بالحُجَّة.

قال الليث بن سعد: وإنما صحَّت الحُجَّة في هذه القصة لآدم على موسى عليهما السلام، من أجل أنَّ الله تعالى قد غَفَرَ لآدم خطيئته وتاب عليه، فلم يكن لموسى أن يُعَيِّرَه بخطيئته قد غَفَرها الله تعالى له؛ ولذلك قال آدم: أنت موسى الذي أتاك الله التوراة، وفيها علم كلِّ شيء، فوجدت فيها أنَّ الله قد قَدَّر عليَّ المعصية، وقَدَّر عليَّ التوبة منها، وأسقط بذلك اللومَ عني، أفتلومني أنت، والله لا يلومني؟.

ويمثل هذا احتجَّ ابن عمر على الذي قال له: إنَّ عثمان فرَّ يومَ أحد، فقال ابن عمر: ما على عثمانَ ذنبٌ؛ لأنَّ الله تعالى قد عفا عنه بقوله: ﴿وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ﴾^(١) [آل عمران: ١٥٥].

وقد قيل: إنَّ آدمَ عليه السلام أبٌ، وليس تعييره من برِّه أن لو كان مما يُعَيَّر به غيره^(٢)، فإنَّ الله تبارك وتعالى يقولُ في الأبوين الكافرين: ﴿وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان: ١٥]. ولهذا إنَّ إبراهيم عليه السلام لما قال له أبوه وهو كافر: ﴿لَئِن لَّرْتَنَّهُ أَلاَّزِمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا * قَالَ سَلِمْتُ عَلَيْكَ﴾ [مريم: ٤٦-٤٧]، فكيف بأبٍ هو نبيٌّ قد اجتباه ربُّه وتاب عليه وهدى؟!.

الرابعة: وأما من عمِلَ الخطايا ولم تأتِه المغفرة، فإنَّ العلماء مُجمعون على أنه لا يجوز له أن يحتجَّ بمثل حُجَّة آدم فيقول: تلومني على أن قتلْتُ أو زنيْتُ أو سرقْتُ وقد قَدَّر الله عليَّ ذلك، والأمةُ مُجمعةٌ على جواز حمد المُحسن على إحسانه، ولوم المسيء على إساءته، وتعدد ذنوبه عليه^(٣).

الخامسة: قوله تعالى: ﴿فَقَوْلِي﴾ أي: ففسدَ عليه عيشه، حكاة النقاش، واختاره

(١) أخرجه البخاري مطولاً (٤٠٦٦) وسلف بتمامه ٣٧٤/٥.

(٢) ذكره بنحوه أبو العباس القرطبي في المفهم ٦٦٧/٦ - ٦٦٨، ثم قال: وهذا نأي عن معنى الحديث، وعما سبق له.

(٣) التمهيد ١٨/١٥، والاستذكار ٨٨/٢٦.

القشيري. وسمعتُ شيخنا الأستاذَ المقرئَ أبا جعفر القرطبي^(١) يقول: «فَعَوَى»: ففسد عيشه بنزوله إلى الدنيا، والغَيُّ: الفساد. وهو تأويلٌ حسن، وهو أولى من تأويل من يقول: إنَّ^(٢) «فَعَوَى» معناه: ضلَّ، من الغَيِّ الذي هو ضد الرُّشد. وقيل: معناه: جهلٌ موضع رُشده، أي: جهلٌ أنَّ تلك الشجرة هي التي نُهي عنها، والغَيُّ: الجهل.

وعن بعضهم: «فَعَوَى»: فَبَشِمَ^(٣) من كثرة الأكل. الزمخشري^(٤): وهذا - وإن صحَّ على لغة من يقلب الياء المكسور ما قبلها ألفاً، فيقول في فَنِي وبَقِي: فَنَى وبَقَى، وهم بنو طَيِّ - تفسيرٌ خبيث.

السادسة: قال القشيري أبو نصر: قال قومٌ: يقال: عصى آدمُ وغوى، ولا يقال له: عاصٍ ولا غاوٍ، كما أنَّ من خاط مرةً يقال له: خاط، ولا يقال له: خياط، ما لم تتكرر منه الخياطة^(٥).

وقيل: يجوز للسيد أن يُطلق في عبده عند معصيته ما لا يجوز لغيره أن يطلقه^(٦). وهذا تكلفٌ، وما أضيف من هذا إلى الأنبياء فإمَّا أن تكون صغائر، أو ترك الأولى، أو قبل النبوة.

قلت: هذا حسن.

قال الإمام أبو بكر بن فُورَك رحمه الله تعالى: كان هذا من آدمَ قبل النبوة، ودليلُ

(١) هو أحمد بن محمد القيسي المعروف بابن أبي حجة، توفي سنة (٦٤٣هـ). بغية الوعاة ١/٣٨٣، وسلف ذكره ٥/٤١٢.

(٢) لفظة: إن، ليست في (م).

(٣) البَشِمُ: التخممة. النهاية (بشم).

(٤) في الكشاف ٢/٥٥٧.

(٥) وهو قول ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن ص ٣١٣.

(٦) تفسير الرازي ٢٢/١٢٨.

ذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾ فذكر أن الاجتباء والهداية كانا بعد العصيان، وإذا كان هذا قبل النبوة، فجائز عليهم الذنوبُ وجهاً واحداً؛ لأنَّ قبل النبوة لا شرع علينا في تصديقهم، فإذا بعثهم الله تعالى إلى خلقه وكانوا مأمونين في الأداء معصومين؛ لم يضر ما قد سلف منهم من الذنوب. وهذا نفيس، والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿قَالَ أَهِيطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِّي لَمَكْتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِينَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ نُنسئُ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى ﴿١٢٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قَالَ أَهِيطَا مِنْهَا جَمِيعًا﴾ خاطب آدم وإبليس^(١). «منها» أي: من الجنة وقد قال لإبليس: ﴿أَخْرِجْ مِنْهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾ [الأعراف: ١٨]، فلعله أخرج من الجنة إلى موضع من السماء، ثم أهبط إلى الأرض.

﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ تقدّم في «البقرة»^(٢)، أي: أنت عدوٌّ للحية ولإبليس، وهما عدوٌّان لك. وهذا يدلُّ على أن قوله: «أهبطا» ليس خطاباً لآدم وحواء؛ لأنهما ما كانا متعادين، وتضمن هبوط آدم هبوط حواء.

﴿فَأِمَّا يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِّي لَمَكْتُ بَصِيرًا﴾ أي: رشداً وقولاً حقاً. وقد تقدّم في «البقرة»^(٣).

﴿فَمَنْ أَتَّبَعَ هُدَايَ﴾ يعني: الرسل والكتب. ﴿فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ قال ابن عباس: ضمن الله تعالى لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه ألا يضلَّ في الدنيا، ولا يشقى في الآخرة، وتلا الآية. وعنه: من قرأ القرآن وأتبع ما فيه هداه الله من الضلالة،

(١) زاد المسير ٥/ ٣٣٠.

(٢) ٤٧٤/١.

(٣) ٤٨٨/١.

وفاه يوم القيامة سوء الحساب، ثم تلا الآية^(١).

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي﴾ أي: ديني، وتلاوة كتابي والعمل بما فيه. وقيل: عما أنزلت من الدلائل^(٢). ويَحْتَمِلُ أَنْ يُحْمَلَ الذِّكْرُ عَلَى الرَّسُولِ؛ لِأَنَّهُ كَانَ مِنْهُ الذِّكْرُ.

﴿فَإِنَّ لَكُمْ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ أي: عيشاً ضيقاً؛ يقال: منزلٌ ضَنْكٌ، وعيشٌ ضَنْكٌ، يستوي فيه الواحد والاثنان، والمذكر والمؤنث والجمع؛ قال عترة:

إِنْ يُلْحَقُوا أَكْرَزُ وَإِنْ يُسْتَلْحَمُوا أَشَدُّ وَإِنْ يُلْفَوُا بِضَنْكَ أَنْزَلَ^(٣)
وقال أيضاً^(٤):

إِنَّ الْمَنِيَّةَ لَوْ تُمَثَّلُ مُثَّلْتٌ مِثْلِي إِذَا نَزَلُوا بِضَنْكَ الْمَنْزِلِ
وَقُرِي: «ضَنْكِي» عَلَى وَزْنِ فَعْلَى^(٥). ومعنى ذلك: أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ جَعَلَ مَعَ الدِّينِ التَّسْلِيمَ وَالْقَنَاعَةَ وَالتَّوَكُّلَ عَلَيْهِ وَعَلَى قِسْمَتِهِ، فَصَاحِبُهُ يُنْفَقُ مِمَّا رَزَقَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِسَمَاحٍ وَسَهُولَةٍ، وَيَعِيشُ عَيْشاً رَافِعاً^(٦)؛ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَلَنَجْجِيَنَّهُمْ حَيَوَةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧]. وَالْمُعْرِضُ عَنِ الدِّينِ مُسْتَوِيٌّ عَلَيْهِ الْحَرَصُ الَّذِي لَا يَزَالُ يَطْمَحُ بِهِ إِلَى الْإِزْدِيَادِ مِنَ الدُّنْيَا، مُسَلِّطٌ عَلَيْهِ الشُّحُّ، الَّذِي يَقْبِضُ يَدَهُ عَنِ الْإِنْفَاقِ، فَعَيْشُهُ ضَنْكٌ، وَحَالُهُ مَظْلَمَةٌ؛ كَمَا قَالَ بَعْضُهُمْ: لَا يُعْرِضُ أَحَدٌ عَنِ ذِكْرِ رَبِّهِ إِلَّا أَظْلَمَ عَلَيْهِ وَقْتَهُ، وَتَشَوَّشَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ، وَكَانَ فِي عَيْشِهِ فِي ضَنْكٍ^(٧).

وقال عكرمة: «ضَنْكاً»: كسباً حراماً. الحسن: طعامُ الضَّرِيعِ وَالرَّقُومِ. وقولٌ

(١) أخرجهما الطبري ١٦/١٩١ - ١٩٢، وأوردهما ابن الجوزي في زاد المسير ٥/٣٣٠.

(٢) مجمع البيان للطبرسي ١٦/١٥٢ بنحوه.

(٣) ديوان عترة ص ٥٧، والكلام بنحوه في تفسير الطبري ١٦/١٩٢.

(٤) ديوانه ص ٥٨.

(٥) قرأ بها الحسن. القراءات الشاذة ص ٩٠.

(٦) عيشٌ أرفعٌ، ورافِعٌ، ورفيعٌ: خصيبٌ واسعٌ طيب. اللسان (رفع).

(٧) في (م): في عيشة ضنك.

رابعٌ: وهو الصحيح؛ أنه عذابُ القبر؛ قاله أبو سعيد الخدري، وعبدُ الله بن مسعود، ورواه أبو هريرة مرفوعاً عن النبي ﷺ^(١)، وقد ذكرناه في كتاب «التذكرة»^(٢). قال أبو هريرة: يضيقُ على الكافر قبره حتى تختلفَ فيه أضلاعه، وهو المعيشة الضنك^(٣).

﴿وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ قيل: أعمى في حالٍ وبصيراً في حال، وقد تقدّم في آخر «سبحان»^(٤). وقيل: أعمى عن الحجّة، قاله مجاهد. وقيل: أعمى عن جهات الخير، لا يهتدي لشيءٍ منها^(٥). وقيل: عن الحيلة في دفع العذاب عن نفسه، كالأعمى الذي لا حيلة له فيما لا يراه.

﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى﴾ أي: بأيّ ذنبٍ عاقبتني بالعمى. ﴿وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا﴾ أي: في الدنيا، وكأنّه يظنُّ أن^(٦) لا ذنبَ له. وقال ابنُ عباس ومجاهد: أي: «لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى» عن حُجَّتِي «وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا» أي: عالماً بحجّتي^(٧). القشيري: وهو بعيدٌ إذ ما كان للكافر حجّةٌ في الدنيا.

﴿قَالَ كَذَلِكَ أَنْتَ أَيْتُنَا﴾ أي: قال الله تعالى له: ﴿كَذَلِكَ أَنْتَ أَيْتُنَا﴾ أي: دلائلنا على وحدانيتنا وقدرتنا. ﴿فَنَسِينَهَا﴾ أي: تركتها ولم تنظر فيها، وأعرضت عنها. ﴿وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾ أي: تترك في العذاب؛ يريد جهنم.

(١) النكت والعيون ٤١٣/٣، وقول أبي سعيد الخدري وابن مسعود رضي الله عنهما أخرجه الطبري ١٩٦/١٦ و١٩٨. وحديث أبي هريرة ؓ أخرجه أبو يعلى في مسنده (٦٦٤٤)، والطبري في تفسيره ١٩٨/١٦ - ١٩٩، وابن حبان في صحيحه (٣١٢٢).

(٢) ص ١٣٣.

(٣) أخرجه الطبري ١٩٧/١٦.

(٤) ١٧٩/١٣.

(٥) النكت والعيون ٤٣١/٣.

(٦) في (م): أنه.

(٧) أخرجه الطبري ٢٠٠/١٦ - ٢٠١ عن مجاهد.

﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ﴾ أي: وكما جزينا من أعرض عن القرآن، وعن النظر في المصنوعات والتفكر فيها، وجاوز الحد في المعصية. ﴿وَلَمْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِ رَبِّهِ﴾ أي: لم يصدق بها.

﴿وَالْعَذَابُ الْأَخْرَجُ أَشَدُّ﴾ أي: أفظع من المعيشة الضنك وعذاب القبر. ﴿وَأَبْقَى﴾ أي: أدم وأثبت؛ لأنه لا ينقطع ولا ينقضي.

قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْجِدِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى ﴿١٢٨﴾ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزِمَامِ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾ فَأَصْبَرَ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحَ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى ﴿١٣٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾ يريد أهل مكة، أي: أفلم يتبين لهم خبر من أهلكنا قبلهم من القرون، يمشون في مساكنهم؛ إذا سافروا وخرجوا في التجارة وطلب المعيشة، فيرون بلاد الأمم الماضية والقرون الخالية حاوية، أي: أفلا يخافون أن يحل بهم مثل ما حل بالكفار قبلهم.

وقرأ ابن عباس والسلمي وغيرهما: «نهدي لهم» بالنون^(١)، وهي أبين. و«يهدي» بالياء مشكل لأجل الفاعل؛ فقال الكوفيون: ﴿كَمْ﴾ الفاعل. النحاس^(٢): وهذا خطأ؛ لأن «كم» استفهام، فلا يعمل فيها ما قبلها. وقال الزجاج^(٣): المعنى: أو لم يهد لهم الأمر بإهلاكنا من أهلكناه. وحقيقة «يهدي» يدل على الهدى؛ فالفاعل هو الهدى، تقديره: أفلم يهد الهدى لهم. قال الزجاج: «كم»: في موضع نصب بـ ﴿أَهْلَكْنَا﴾.

(١) ذكرها عنهما أبو حيان في البحر المحيط ٢٨٨/٦، وذكرها الزجاج في معاني القرآن ٣٧٩/٣، وابن عطية في المحرر الوجيز ٦٩/٤، والزمخشري في الكشاف ٥٥٨/٢. دون نسبة.

(٢) في إعراب القرآن ٦٠/٣. وما قبله وقول الزجاج الآتي منه.

(٣) في معاني القرآن له ٣٧٩/٣.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا﴾ فيه تقديم وتأخير، أي: ولولا كلمة سبقت من ربك وأجل مسمى لكان لزاماً؛ قاله قتادة^(١). واللزام: الملازمة، أي: لكان العذاب لازماً لهم. وأضمر اسم كان.

قال الزجاج^(٢): ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ عطف على «كلمة». قتادة: والمراد القيامة؛ وقاله القتيبي. وقيل: تأخيرهم إلى يوم بدر^(٣).

قوله تعالى: ﴿فَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ أمره تعالى بالصبر على أقوالهم: إنه ساحر، إنه كاهن، إنه كذاب، إلى غير ذلك. والمعنى: لا تحفل بهم^(٤)، فإن لعذابهم وقتاً مضروباً لا يتقدم ولا يتأخر. ثم قيل: هذا منسوخٌ بآية القتال^(٥). وقيل: ليس منسوخاً؛ إذ لم يستأصل الكفار بعد آية القتال، بل بقي المَعظم منهم.

قوله تعالى: ﴿وَسَيَحِبُّ مُحَمَّدٌ رَّبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ﴾ قال أكثر المتأولين: هذا إشارة إلى الصلوات الخمس: ﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ﴾ صلاة الصبح، ﴿وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ صلاة العصر، ﴿وَمِنْ أَمَّاوِيِّ اللَّيْلِ﴾ العتمة، ﴿وَأَطْرَافِ النَّهَارِ﴾ المغرب والظهر^(٦)؛ لأن الظهر في آخر طرف النهار الأول، وأول طرف النهار الآخر؛ فهي في طرفين منه، والطرف الثالث: غروب الشمس؛ وهو وقت المغرب^(٧).

وقيل: النهار ينقسم قسمين فصلهما الزوال، ولكل قسم طرفان، فعند الزوال طرفان؛ الآخر من القسم الأول، والأول من القسم الآخر؛ فقال عن الطرفين أطرافاً

(١) النكت والعيون ٤٣٢/٣، وأخرجه الطبري ٢٠٧/١٦ - ٢٠٨.

(٢) في معاني القرآن له ٣٨٠/٣.

(٣) النكت والعيون ٤٣٢/٣، وكلام القتيبي في غريب القرآن له ص ٢٨٣.

(٤) المحرر الوجيز ٦٩/٤.

(٥) ذكره البغوي في تفسيره ٢٣٦/٣، وابن الجوزي في النسخ والمنسوخ ص ٤٠.

(٦) المحرر الوجيز ٧٠/٤.

(٧) تفسير الطبري ٢٠٩/١٦، وتفسير البغوي ٢٣٦/٣.

على نحو: ﴿فَقَدْ صَعَتَ قُلُوبُكُمْ﴾ [التحريم: ٤]، وأشار إلى هذا النظر ابنُ فورك في «المشکل»^(١).

وقيل: النهارُ للجنس، فلكلِّ يوم طرف؛ وهي التي^(٢) جُمِع، لأنَّه يعودُ في كلِّ نهار. وآناء الليل: ساعاته، وواحدُ الآناء: إنِّي وإِنِّي وأُنِّي^(٣).

وقالت فرقة: المرادُ بالآية صلاةُ التطوُّع؛ قاله الحسن^(٤).

قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾ بفتح التاء، أي: لعلَّكَ تُثابُّ على هذه الأعمال بما ترضى به.

وقرأ الكسائي وأبو بكر عن عاصم: «تُرْضَى» بضمِّ التاء، أي: لعلَّكَ تُعْطَى ما يُرْضِيكَ^(٥).

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفِثَنَّهُمْ فِيهِ وَرَزَقُ رَبِّكَ حَيْبًا وَبَقِيًّا ۗ وَأَمْرٌ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَأَصْبَحَ عَلَيْهَا لَا تَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ﴾ قد تقدَّم معناه في «الحجر»^(٦). و﴿أَزْوَاجًا﴾ مفعول بـ «مَتَّعْنَا».

و﴿زَهْرَةَ﴾ نصب على الحال.

وقال الزجاج^(٧): «زهرة» منصوبة بمعنى «مَتَّعْنَا» لأنَّ معناه: جعلنا لهم الحياة

(١) ونقله المصنف عنه بواسطة ابن عطية في المحرر الوجيز ٧٠/٤.

(٢) في (م): وهو إلى. والمثبت من النسخ الخطية، وهو الموافق للمحرر الوجيز ٧٠/٤ والكلام منه.

(٣) نزهة القلوب ص ٨٦، وتهذيب اللغة ٥٥٢/١٥.

(٤) النكت والعيون ٤٣٢/٣.

(٥) المحرر الوجيز ٧٠/٤، وقراءة الكسائي وأبي بكر في السبعة ص ٤٢٥، والتيسير ص ١٥٣.

(٦) ٢٥٣/١٢.

(٧) في معاني القرآن له ٣٨٠/٣. ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس في إعراب القرآن ٦١/٣.

الدنيا زهرة، أو بفعلٍ مضمر، وهو «جعلنا» أي: جعلنا لهم زهرة الحياة الدنيا؛ عن الزجاج أيضاً.

وقيل: هي بدلٌ من الهاء في «به» على الموضع، كما تقول: مررتُ به أخاك. وأشار الفراء^(١) إلى نصبه على الحال؛ والعاملُ فيه: «مَتَّعْنَا». قال: كما تقول: مررتُ به المسكين؛ وقدره: مَتَّعْنَاهُمْ بِهِ زهرةً في الحياة الدنيا وزينةً فيها.

ويجوزُ أن تنصبَ على المصدر مثل: ﴿صُنِعَ اللَّهُ﴾ [النمل: ٨٨] و﴿وَعَدَ اللَّهُ﴾ [الروم: ٦]، وفيه نظر. والأحسنُ أن ينصبَ على الحال، ويحذفَ التنوين لسكونه وسكون اللام من الحياة؛ كما قرئ: ﴿وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ﴾^(٢) [يس: ٤٠] بنصب النَّهَارِ بسابق، على تقدير حذف التنوين لسكونه وسكون اللام، وتكون «الحياة» مخفوضةً على البدل من «ما» في قوله: ﴿إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ﴾، فيكون التقدير: ولا تمدنَّ عينك إلى الحياة الدنيا زهرةً، أي: في حال زهرتها.

ولا يحسنُ أن تكون «زهرة» بدلاً من «ما» على الموضع في قوله: ﴿إِلَى مَا مَتَّعْنَا﴾؛ لأنَّ «لِنُفْتِنَهُمْ» متعلقٌ بـ «مَتَّعْنَا»^(٣).

و«زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» يعني: زينتها بالنبات. والزَّهْرَةُ؛ بالفتح في الزاي والهاء: نُورُ النبات. والزَّهْرَةُ؛ بضمِّ الزاي وفتح الهاء: النِّجْم. وبنو زهرة بسكون الهاء؛ قاله ابن عَزِيز^(٤).

وقرأ عيسى بن عمر: «زَهْرَةَ» بفتح الهاء^(٥)، مثل: نَهْرٌ وَنَهْرٌ. ويقال: سراجٌ زاهرٌ

(١) في معاني القرآن ١٩٦/٢، ونقله المصنف عنه بواسطة مكِّي في مشكل إعراب القرآن ٤٧٤/٢ والكلام منه.

(٢) نسبها أبو حيان في البحر ٣٣٨/٧ لعمارة بن عقيل.

(٣) مشكل إعراب القرآن ٤٧٤/٢ - ٤٧٥، وللکلام تمة فينظر فيه.

(٤) في نزهة القلوب ص ٢٥٦.

(٥) وقرأ بها يعقوب من العشرة. النشر ٣٢٢/٢، وذكرها عن عيسى بن عمر ابن خالويه في القراءات الشاذة ص ٩٠.

أي: له بريق. وزهرُ الأشجار: ما يَرُوق من ألوانها. وفي الحديث: كان النبي ﷺ أزهرَ اللون^(١)، أي: نيرَ اللون؛ يقال لكلُّ شيءٍ مستنير: زاهر، وهو أحسن الألوان^(٢).

﴿لِفَتْنَتِهِمْ فِيهِ﴾ أي: لِنَبْتَلِيهِمْ. وقيل: لنجعلَ ذلك فتنةً لهم وضلالاً^(٣).

ومعنى الآية: لا تجعل يا محمد لزهرة الدنيا وزناً، فإنه لا بقاء لها.

«وَلَا تَمُدَّنَّ» أبلغُ من: لا تنظرنَّ، لأنَّ الذي يمدُّ بصره، إنَّما يحمله على ذلك حرصٌ مقترن، والذي ينظر قد لا يكون ذلك معه^(٤).

مسألة: قال بعض الناس: سببُ نزول^(٥) هذه الآية، ما رواه أبو رافع مولى رسول الله ﷺ، قال: نزل ضيفٌ برسول الله ﷺ، فأرسلني عليه الصلاة والسلام إلى رجلٍ من اليهود، وقال: «قل له: يقولُ لك محمدٌ: نزلَ بنا ضيفٌ، ولم يُلَفَ عندنا بعضُ الذي يُصلِّحه، فبعني كذا وكذا من الدَّقِيقِ، أو أسلفني إلى هلالِ رجب» فقال: لا، إلَّا برهن. قال: فرجعتُ إلى رسول الله ﷺ فأخبرته، فقال: «والله، إني لأمينٌ في السماء، أمينٌ في الأرض، ولو أسلفني أو باعني لأدَّيتُ إليه. اذهب بدرعي إليه»^(٦) ونزلت الآية تعزيةً له عن الدنيا.

قال ابن عطية^(٧): وهذا معترضٌ أن يكون سبباً؛ لأنَّ السورة مكية، والقصة

(١) قطعة من حديث أخرجه أحمد (١٣٣٨١)، ومسلم (٢٣٣٠) (٨٢) من حديث أنس ؓ.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر (زهر).

(٣) الوسيط للواحدى ٢٢٧/٣.

(٤) المحرر الوجيز ٧٠/٤.

(٥) لفظة: نزول، من (م).

(٦) أخرجه بهذا اللفظ الواحدى في أسباب النزول ص ٣١٤، وأخرجه الطبري مختصراً ٢١٤/١٦. وفي

إسناده موسى بن عبيدة الرِّبَدي، قال أحمد: لا يكتب حديثه، وضعفه النسائي وابن عدي. ميزان

الاعتدال ٢١٣/٤ وحديث رهن النبي ﷺ درعه عند يهودي صحيح، وسيرد.

(٧) في المحرر الوجيز ٧٠/٤.

المذكورة مدنية في آخر عُمر النبي ﷺ؛ لأنه مات ودرعُه مرهونة عند يهودي^(١) بهذه القصة التي ذكرت؛ وإنما الظاهر أن الآية متناسقة مع ما قبلها، وذلك أن الله تعالى وبَّخهم على ترك الاعتبار بالأمم السالفة، ثم توعدهم بالعذاب المؤجل، ثم أمر نبيه بالاحتقار لشأنهم، والصبر على أقوالهم، والإعراض عن أموالهم وما في أيديهم من الدنيا؛ إذ ذلك منصرم عنهم؛ صائرٌ إلى خزي.

قلت: وكذلك ما روي عنه عليه الصلاة والسلام أنه مرَّ ببابل بني المصطلق وقد عَيسَت في أبوالها^(٢) من السَّمَن، فتقنَّع بثوبه ثم مضى؛ لقوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِمْ آزْوِينَآ مِّنْهُمْ﴾ الآية^(٣).

ثم سلَّاه فقال: ﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ أي: ثوابُ الله على الصبر وقلةُ المبالاة بالدنيا أولى؛ لأنه يبقى والدنيا تفتنى.

وقيل: يعني بهذا الرزق ما يفتح الله على المؤمنين من البلاد والغنائم. قوله تعالى: ﴿وَأَمْرٌ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ﴾ أمره تعالى بأن يأمر أهله بالصلاة ويمثلها معهم، ويصطبر عليها ويلتزمها. وهذا الخطابُ للنبي ﷺ، ويدخلُ في عمومهِ جميعُ أمته^(٤)، وأهلُ بيته على التخصيص.

وكان عليه الصلاة والسلام بعد نزول هذه الآية يذهبُ كلَّ صباح إلى بيت فاطمة وعليَّ رضوان الله عليهما فيقول: «الصلاة»^(٥).

(١) أخرجه أحمد (٢١٠٩)، والترمذي (١٢١٤)، والنسائي ٣٠٣/٧.

(٢) في النسخ الخطية: بأبوالها، والمثبت من (م) قال ابن الأثير في النهاية (عبس): وإنما عدَّاه بفي؛ لأنه أعطاه معنى انغمست.

(٣) ذكره أبو عبيد في غريب الحديث ٩/٣، ولم نقف على من أخرجه. قال أبو عبيد: وعيست في أبوالها: يعني: أن تجف أبوالها وأبعارها على أفخاذها، وذلك إنما يكون من كثرة الشحم.

(٤) المحرر الوجيز ٧١/٤.

(٥) أخرج أحمد (١٣٧٢٨) والترمذي (٣٢٠٦) من حديث أنس بن مالك ؓ أن رسول الله ﷺ كان يمر باب فاطمة سنة أشهر إذا خرج إلى صلاة الفجر يقول: «الصلاة يا أهل البيت ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ =

ويروى أَنَّ عُرْوَةَ بنَ الزبير رضي الله عنه كان إذا رأى شيئاً من أخبار السلاطين وأحوالهم بادرَ إلى منزله فدخله، وهو يقرأ: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ الآية إلى قوله: ﴿وَأَبْقِ﴾، ثم ينادي بالصلاة: الصلاة يرحمكم الله؛ ويصلي^(١). وكان عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه يُوقظ أهل داره لصلاة الليل، ويصلي وهو يتمثل بالآية^(٢).

قوله تعالى: ﴿لَا تَسْأَلُكَ رِزْقًا﴾ أي: لا نسألك أن ترزق نفسك وإياهم، وتشتغل عن الصلاة بسبب الرزق، بل نحن نتكفل برزقك وإياهم؛ فكان عليه الصلاة والسلام إذا نزل بأهله ضيق؛ أمرهم بالصلاة^(٣). وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ﴾ [الذاريات: ٥٦-٥٧].

قوله تعالى: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ أي: الجنة لأهل التقوى، يعني: العاقبة المحمودة. وقد تكون غير التقوى عاقبة، ولكنها مذمومة، فهي كالمعدومة.

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِمْ أَوْلَمْ تأْتِهِمْ بَيِّنَةٌ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى ﴿١٣٦﴾ وَكَلَّا أَنَا أَنهَلَكْنَهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِمْ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنُنَبِّئَ عَائِلَتِنَا مِنْ قَبْلِ أَنْ نَنْزِلَ وَنَخْرُجَ ﴿١٣٧﴾ قُلْ كُلُّ مَرْصُومٍ فَتَرِيصُوا ﴿١٣٨﴾ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى ﴿١٣٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ يريد كفار مكة، أي: لولا يأتينا محمداً بآية توجب العلم الضروري، أو بآية ظاهرة؛ كالناقة والعصا، أو: هلاً يأتينا بالآيات التي نقتربها نحن كما أتى الأنبياء من قبله.

= عَنْكُمْ الرِّصَصَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرُهُمْ وَتُطَهِّرُكُمُ اللَّهُ ﴿١٣٣﴾ [الأحزاب: ٣٣]. ولم نقف على من ذكر أن ذلك بعد نزول الآية المذكورة أعلاه.

(١) أخرجه الطبري ١٦/٢١٧.

(٢) أخرجه بنحوه مالك في الموطأ ١/١١٩، ومن طريقه عبد الرزاق في مصنفه (٤٧٤٣). والكلام من المحرر الوجيز ٤/٧١.

(٣) أخرجه الطبراني في الأوسط (٨٩٠) من حديث عبد الله بن سلام رضي الله عنه. قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٦٧/٧: رجاله ثقات.

قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةٌ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ يريد التوراة والإنجيل، والكتب المتقدمة، وذلك أعظم آية؛ إذ أخبر بما فيها^(١). وقُرئ: «الصُّحُفِ» بالتخفيف^(٢).

وقيل: أو لم تأتهم الآية الدالة على نبوته بما وجدوه في الكتب المتقدمة من الإشارة^(٣).

وقيل: أو لم يأتهم إهلاكنا الأمم الذين كفروا واقترحوا الآيات، فما يؤمنهم إن أتتهم الآيات أن يكون حالهم حال أولئك^(٤).

وقرأ أبو جعفر وشيبة ونافع وأبو عمرو ويعقوب وابن أبي إسحاق وحفص: «أَوْ لَمْ تَأْتِهِمْ»؛ بالتاء؛ لتأنيث البيئتين. الباقرن بالياء^(٥)؛ لتقدم^(٦) الفعل، ولأن البيئتين هي البيان والبرهان، فردوه^(٧) إلى المعنى، واختاره أبو عبيد وأبو حاتم^(٨).

وحكى الكسائي: «أَوْ لَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةٌ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى» قال: ويجوز على هذا «بَيِّنَةٌ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى».

قال النحاس^(٩): إذا نَوَّنت «بَيِّنَةٌ» ورفعت، جعلت «ما» بدلاً منها، وإذا نصبتهما فعلى الحال؛ والمعنى: أو لم يأتهم ما في الصُّحُفِ الْأُولَى مَبِينًا.

(١) تفسير البغوي ٣/٢٣٧.

(٢) القراءات الشاذة ص ٩١، والكشاف ٢/٥٦٠ عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) تفسير الرازي ٢٢/١٣٧.

(٤) تفسير الطبري ١٦/٢١٨.

(٥) السبعة ص ٤٢٥، والتيسير ص ١٥٣، والنشر ٢/٣٢٢.

(٦) في (خ) و(ز) و(ف): لتقديم، وفي (ظ): لتذكير، والمثبت من (د) و(م).

(٧) في (د): فيردوه، وفي (ز) و(ظ): فرده، والمثبت من (خ) و(ف) و(م).

(٨) الحجة للقراء السبعة للفارسي ٥/٢٥٣ بنحوه، والكشف عن وجوه القراءات لمكي ٢/١٠٨ بنحوه.

(٩) في إعراب القرآن ٣/٦١. وما قبله منه.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ﴾ أي: من قبل بعثة محمد ﷺ ونزول القرآن ﴿لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا﴾ أي: هَلَّا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا^(١).

﴿فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَنْ نُنزِلَ وَنُخْرِجَ﴾. وقرئ: «نُذِلُّ وَنُخْرِجُ» على ما لم يُسَمَّ فاعله^(٢).

وروى أبو سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ في الهالك في الفترة والمعتوه والمولود قال: «يقول الهالك في الفترة: لم يأتيني كتاب ولا رسول، ثم تلا: ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا﴾ الآية، ويقول المعتوه: رب، لم تجعل لي عقلاً أعقلُ به خيراً ولا شراً، ويقول المولود: رب لم أدرك العمل، فترفع لهم نارٌ، فيقول لهم: ردوها وادخلوها. قال: فيردُّها أو يدخلها^(٣) من كان في علم الله سعيداً لو أدرك العمل، ويمسكُ عنها من كان في علم الله شقيماً لو أدرك العمل، قال: فيقولُ الله تبارك وتعالى: إِيَّاي عَصَيْتُمْ، فكيف رُسلي لو أتتكم^(٤) ويروى موقوفاً عن أبي سعيد قوله^(٥)؛ وفيه نظر؛ وقد بيناه في كتاب «التذكرة»^(٦)، وبه احتجَّ من قال: إِنَّ الأَطْفَالَ وَغَيْرَهُمْ يَمْتَحِنُونَ فِي الآخِرَةِ.

(١) الوسيط للواحد ٢٢٨/٣.

(٢) القراءات الشاذة ص ٩١ عن ابن عباس ومحمد بن الحنفية.

(٣) في (ظ): فيردونها ويدخلها.

(٤) أخرجه البزار (٢١٧٦ - كشف)، والطبري ٢١٩/١٦، وابن عبد البر في التمهيد ١٢٧/١٨ قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٤٣٨/٧: وفيه عطية، وهو ضعيف. وقال ابن عبد البر بعد ذكر أحاديث الباب: وهي كلها أسانيد ليست بالقوية، ولا يقوم بها حجة، وأهل العلم ينكرون أحاديث هذا الباب؛ لأن الآخرة دار جزاء، وليست دار عمل ولا ابتلاء... الاستذكار ٤٠٤/٨.

(٥) قال ابن عبد البر في التمهيد ١٢٨/١٨: من الناس من يوقف هذا الحديث على أبي سعيد ولا يرفعه، منهم أبو نعيم الملائني.

(٦) ص ٥١٤، وينظر ما سلف ٤٤/١٣.

«فَتَّبِعْ» نصب بجواب التحضيض^(١). «آيَاتِكَ» يريد: ما جاء به محمد ﷺ. «مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ» أي: في العذاب، «وَنُخْزَى» في جهنم؛ قاله ابن عباس. وقيل: «مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ» في الدنيا بالعذاب، «وَنُخْزَى» في الآخرة بعذابها.

﴿قُلْ كُلُّ مُتَرَبِّصٍ﴾ أي: قل لهم يا محمد: كلُّ مُتَرَبِّصٍ، أي: كلُّ المؤمنين والكافرين منتظرٌ دوائرَ الزمان ولمن يكون النصر.

﴿فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى﴾ يريد: الدين المستقيم والهدى؛ والمعنى: فتعلمون بالنصر من اهتدى إلى دين الحق. وقيل: فتعلمون يوم القيامة من اهتدى إلى طريق الجنة^(٢). وفي هذا ضربٌ من الوعيد والتخويف والتهديد ختم به السورة.

وُقِرَى: «فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ»^(٣). قال أبو رافع: حَفِظْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ ذكره الزمخشري^(٤).

و«مَنْ» في موضع رفعٍ عند الزجاج^(٥). وقال الفراء^(٦): يجوزُ أَنْ يَكُونَ فِي مَوْضِعِ نَصْبٍ مِثْلَ: ﴿وَأَلَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾ [البقرة: ٢٢٠]. قال أبو إسحاق^(٧): هذا خطأ؛ لأنَّ الاستفهامَ لا يعملُ فيه ما قبله، و«مَنْ» هاهنا استفهامٌ في موضع رفعٍ بالابتداء، والمعنى: فتعلمون: أأصحابُ^(٨) الصراطِ السَّوِيِّ؛ نحن أم أنتم؟

(١) في (د) و(ز) و(ظ) و(ف) و(م): التخصيص، والمثبت من (خ).

(٢) النكت والعيون ٤٣٤/٣، وفيه وفي (خ) و(ز): أهدي، بدل: اهتدى (في الموضعين).

(٣) في (د) و(ظ): يعلمون.

(٤) في الكشاف ٥٦١/٢، وهي قراءة شاذة.

(٥) في معاني القرآن له ٣٨١/٣، ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس في إعراب القرآن ٦١/٣ - ٦٢.

(٦) في معاني القرآن له ١٩٧/٢، ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس

(٧) هو الزجاج.

(٨) في (د) و(م): أصحاب، وفي (ف): من أصحاب.

قال النحاس^(١): والفراء يذهب إلى أن معنى ﴿مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السُّوَّى﴾: مَنْ لم يضلَّ، وإلى أن معنى ﴿وَمِنْ أَهْتَدَى﴾: من ضلَّ ثم اهتدى.

وقرأ يحيى بن يَعْمَرُ وعاصم الجحدريُّ: «فَسَتَعْلَمُونَ»^(٢) مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السُّوَّى بتشديد الواو؛ بعدها ألفُ التانيث على فُعَلَى بغير همزة، وتانيثُ الصراطِ شاذٌّ قليل، قال الله تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦]، فجاء مذكراً في هذا وفي غيره، وقد ردَّ هذا أبو حاتم قال: إن كان من السُّوءِ وجب أن يُقال: السُّوءَى، وإن كان من السُّوءِ وجب أن يُقال: السُّيَّا بكسر السين، والأصل: السُّوَيَّا^(٣).

قال الزمخشري: وقرئ: «السُّوءِ» بمعنى: الوَسَطِ والعدل، أو المستوي^(٤).

النحاس^(٥): وجوازُ قراءةِ يحيى بن يَعْمَرِ والجحدريِّ أن يكون الأصل «السُّوءَى»، والساكنُ ليس بحاجزِ حَصِينٍ، فكأنه قَلَبَ^(٦) الهمزة ضمةً، فأبدلَ منها واواً كما يُبدلُ منها ألفٌ إذا انفتح ما قبلها.

تَمَّتْ، والحمد لله وحده.

(١) في إعراب القرآن ٦٢/٣.

(٢) في (د) و(ز) و(ف) و(م): فيعلمون.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٦٢/٣. وقراءة يحيى بن يعمر والجحدري ذكرها أيضاً أبو حيان في البحر ٢٩٢/٦.

(٤) الكشاف ٥٦٠/٢، ونسبها أبو حيان في البحر ٢٩٢/٦ إلى أبي مجلز وعمران بن حدير.

(٥) في إعراب القرآن ٦٢/٣.

(٦) في (خ) و(د) و(ز) و(ف): قبل، والمثبت من (م) وهو الموافق لإعراب القرآن للنحاس، ووقعت العبارة في (ظ): فكأنه لما كان قبل الهمزة ضمة أبدل منها واو.